1030
Harlequin

عجیب

رومانس

ایزابیلا

میریام ہاپکنز

samoer.com
www.iilib.com

روايات عبير

ابن الخالة

ميريام ماكغريغور

ميريام ماكغريغور تقيم في نيوزيلندة. كتبت ثمانية من الكتب التاريخية قبل أن تنشغل إلى تأليف الروايات العاطفية سنة ١٩٨٠. منحتها السنين العديدة التي امضتها في مزرعة للخراف والماشية تبصراً في الحياة الريفية. تقيم الآن عند شاطئ وستشستر، من ضواحي دانيدن، حيث يقع مكتبها، المشرف على خليج هوك في جاوبي المحيط الباسيفيكي. تستمتع بالرسم الزيتي والمائي وتقوم باعمالها المنزلية والاعتناء بحديقتها، بينما تخطط الإطار لقصصها العاطفية الجديدة.

«أين فيكتور؟»

هزّت رأسها بذهول. «آسفة، أخشى أن تكون مخطئاً. لا أعرف أحداً يدعى فيكتور.»

«لا تحتالي عليّ، أيتها السيدة الصغيرة.» أحدث صريراً من وراء شفتيه المطبقتين. «لا داعي لاخفاء صداقتك له عني.»

تورد وجه فيونا غضباً. «إنك تجعل نفسك قمة الغباء، مهما تكن يا سيد!»

«الإسم هو هاميلتون... جيلز هاميلتون. إنني ابن خالة فيكتور... ومن الواضح، أنك فتاته الصهباء.»

الفصل الأول

لمحت فيونا ماك كي جيلز هاميلتون لأول مرة من خلال نافذة المطبخ حيث تقع شقتها المطلة على شارع تشارلز.

مشت منذ دقائق قليلة مضت من المخزن عند المنعطف، وبما أنها اشترت أكثر مما نوت عليه، أصبح الكيس البلاستيكي مثقلاً بحمولته. شعرت بالتعب، وفورت وهي ترمي به فوق المقعد. أن فنجاناً من الشاي هو كل ما تحتاجه.

بينما كانت تملأ الغلاية الكهربائية لاحظت الرجل الطويل الذي وقف في الفسحة المعشوشبة إلى جانب الطريق. زاد من تناسق بنيته الرجولية القوية، التفصيل الحسن لسرواله الرمادي الشاحب وقميصه المقلّم بالوردي الأبيض والرمادي. استرعى انتباهها أن بعد الإيحاء من أن هناك عدداً محدداً في طريقة مشيته. حطت نظرة ثانية بأن هناك رجلاً واقفاً وحده، إلى أين ينظر من ورائه، لكن على مستوى منخفض، امتد مرج كبير أخضر حدد بأشجار نفايو المستديرة المتضاربة ألوانها ما بين الأزرق والأخضر وهي إحدى نباتات نيوزيلندة الأصلية. احتشدت إليها أوتالاً مستوردة من استراليا، انتهى الآن موسم أزهارها الذهبية الصفراء، بينما بجوارها أشجار صنوبر نورفولك الشاهقة. أوراقها الصلبة الأبرية الشكل تذكر فيونا بمكنسة مدفأة منقلبة على عقبها. تلألأت من وراء الأشجار المياه الزرقاء لخليج هوك وهي تتلاطم برفق فوق رمال شاطىء وستشور في نابير.

شعرت فيونا بالقلق وهي تتابع مراقبة الغريب عبر الطريق.

www.liilas.com

وفيما يتحرك ليحملق في جهات مختلفة، أدركت أنه للحظة من الوقت كانت شقتها أيضاً عرضة لتفحصه الدقيق. ثم، تحرك نزولاً نحو المنبسط الأدنى واختفى بين الأشجار، خمنت أنه ربما يبحث عن كلبه.

كان هذا الافتراض شيئاً طبيعياً، لأن الناس يجدون في هذه المنطقة السلوى بالسير على الأقدام، الاستمتاع بالنزهات أو اللحم المشوي وتناول الشاي تحت ظلال الأشجار قرب الواجهة المائية. افسح سهولة الوصول إلى الشاطىء المجال لرسو المراكب، وإيقاف السيارات.

كانت شقة فيونا تقع في الطابق الأرضي من الواجهة الأمامية للمبنى، وشاهدت الناس يروضون كلابهم من نافذتها حيث كانت الحيوانات تجري في حالات كثيرة للاستكشاف تاركة أصحابها يصفرون لعودتها من دون جدوى.

غالباً ما كانت تضحك وهي تراقب صاحب إحدى تلك الحيوانات يتسكع فوق العشب بحثاً عن حيوانه المراوغ، وشاركت في مرات عديدة في القلق مع أهل طفل صغير تجول بعيداً. لكنها، علمت لاحقاً، بأن الرجل الذي رافقته لم يكن رب عائلة ولا مالك كلب.

أبعدته عن تفكيرها بعد أن اختفى، ثم أعدت الشاي وحملته إلى حيث تعمل. الشراب الساخن مقرون بقطعة من البسكويت مع الشوكولاتة وفترة قصيرة من الراحة جعلتها تشعر بالانتعاش، وسحبت ثوباً صغيراً ثم تابعت خياطته بيدها.

بعد فترة قصيرة انبعث ظل من باب المدخل دفعها إلى النظر نحو الأعلى، ثم سرعان ما ميزت السروال الرمادي الباهت والقميص البيضاء والرمادية. جعلتها الصدمة من وصوله تحملق

في وجهه من دون أي تعليق، وأدركت خلال هذه الدقائق القليلة بأن الذي تراه هنا هو واحد من أجمل الرجال الذين رأتهم في حياتها.

شعره الأسود متموّج، وتشع القوة من ملامحه. ينم فمه المتحرك عن روح مرحة، برغم أنه بدا جدياً في هذه اللحظة. أدركت أن عينيه البنيتين الداكنتين تتفحصان مظهرها بكل تفاصيله، تسافران ببطء فوق قامتها النحيلة، وتلاحظان اللمعان الأحمر في شعرها الكستنائي اللون المنسدل فوق كتفيها.

ارتبطت عيناها الخضراوان بعينيه لدقائق عدة وهي تنتظر منه الكلام. بعد ذلك، فيما استمر بصمته، جمعت نفسها، وضعت غطاء البلوي فوق علبة الخياطة المفتوحة إلى جانب الكرسي ونهضت. «هل أستطيع مساعدتك؟» سألته بصوت هادىء، لم يبد أي تلميح عن دهشتها.

«أين فيكتور؟» جاء صوته حاداً مع أن صوته العميق له طابع رنان.

حملقت به، بعينين واسعتين وبارتباك كلي: «فيكتور؟ من يكون فيكتور؟ هل هو كلبك... أو غلامك الصغير؟» سألته، وهي تفكر بالناس الذين سمعتهم يصفرون أو ينادون خلال نزهاتهم في المنطقة. «سابقي عيني مفتوحتين لأجله...»

اعتلت وجهه ظلال من الانزعاج. «هل عليك الادعاء وأنت تدركين جيداً بأنه ليس غلاماً ولا كلباً؟»

هزّت رأسها حائرة وقالت: «آسفة، أخشى أن تكون مخطئاً. لا أعرف أحداً يدعى فيكتور.»

اجتاز المدخل بنفاد صبر إلى داخل شقتها ثم جابهها عن قرب،

www.liilas.com

جعلها طول قامته تبدو صغيرة. «لا تحتالي عليّ، أيتها السيدة الصغيرة.» أحدث صريراً من وراء شفتيه المطبقتين. «لا داعي لاخفاء صداقتك له عني. فأنا لست الثائه الذي يسكن الطابق العلوي.»

احمرت وجنتا فيونا غضباً وقالت: «إنك تجعل نفسك في قمة الغباء، مهما تكن يا سيداً»

تابع محملقاً بها: «الاسم هو هاميلتون... جيلز هاميلتون. إنني ابن خالة فيكتور. أعلم بأنك على صداقة معه، مع أنه كان حريصاً عليك... حتى انه لم يطلعني على اسمك... اعترف لي بكل ما يتعلق بعلاقتك مع الرجل المتزوج في الطابق العلوي.» التوت شفته وبينما طنت كلماته الأخيرة باحتقار. «ومن الواضح، أنك فتاته الصغيرة.»

كانت ترتجف من الغضب وتجد صعوبة في تصديق ما سمعت وسألته: «هل تلمح بأنني لست أفضل مما يجب؟»

«ألمح؟ لا. إنني أقول لك. حتماً إنه الوقت الذي يجب أن يقوم أحد ما بذلك. سوف أسحب فيكتور من أذنه وآخذه إلى المنزل، أو تقولين لي الآن عن مكان وجوده.»

تمالكت فيونا أعصابها فيما أصبح الفضول سيد الموقف. «ما الذي يؤكد لك بأنه على مقربة من هنا؟» سألته.

«أنتِ، طبعاً. هذا بالإضافة إلى أنه كان يقيم في هذه الشقة. لكن كان ذلك قبل موت المالك السابق وقبل...» توقف لينظر إلى ما حوله، واقترب من مجموعة ثياب الأولاد المعروضة على قاعدة النافذة الثالثة. تفحص الفساتين الجميلة التي صُنعت للفتيات الصغيرات، والملابس التي أعدت لصغار الصبيان، المطرزة ببراعة.

التفت وشار إلى لوح الكي وآلة الخياطة المجهزة للعمل، ثم

حملق في الطبقات الثلاث لعلبة الخياطة التي امتدت لتكشف عن مشجب للمطرزات القطنية الملونة.

«هذا ما يطلقون عليه الصناعة المنزلية.» أعلنت له ببرود: «وهذا ليس من شأنك... لكنه رخص لي ببيع ما أصنعه فقط في هذا المكان.»

عبس، غمرت ظلال من الشك تعابير وجهه. «ملابس أولاد؟ غريب، ظننت بأنك ممرضة من نوع معين.»

«الذي يبرهن بأنك لا تعرف شيئاً عني.» أشارت بحدة.

أجاب قائلاً: «أعرف أكثر مما تظنين.»

سئل ماذا؟» سألت ببرود.

سئل، إنك في الواقع لم تقيمي هنا إلا منذ بضعة أشهر فقط. مكتمنية، ما اسمك؟»

فيونا ماك كي.» انصاعت الكلمات بسرعة وقبل أن تقدر في ما إذا كانت ستطلب منه أن يهتم بشؤونه أم لا.

تابع كلامه قائلاً: «كذلك أعلم أن هذا العقار قد بيع بعد موت السيدة إيفانز إلى مزارع سئم نوع الحياة ذلك. وعندما تمّ البيع اضطر فيكتور إلى إيجاد أي مسكن آخر. لم يسره الأمر، لأن الشقة كانت تناسبه جداً. كان راضياً بقربه من البحر حيث يستطيع أن يبحر للصيد بقاربه الصغير لساعات عدة، وأحب هدوء وسكون وستشور بمنظر مرفأها حيث باستطاعته مشاهدة سباق اليخوت في نهاية عطلة الأسبوع.»

توقف ليتفرس بها، عيناه ترتاحان فوق فمها المقوس الجميل وهو يتابع: «ومن الواضح لماذا يستأجر هذا الرجل شقة لامرأة مثلك. فالظاهر أن له زوجة لا تفهمه... ولكن هذا ما يقوله الجميع، طبعاً.»

www.liilas.com

برقت عينا فيونا بنيران خضراء وهي تستشيط غضباً. «لقد مللت جداً من سخافة تلميحاتك، يا سيد هاميلتون! فليس لديك أي سبب في أن تقترح...»

قاطعها بغضب: «بأن إقامة فيكتور في هذه الشقة قد انتهت لتحل مكانه فتاة جذابة مثلك؟ هل تنكرين علاقتك بالرجل الذي يسكن الطابق العلوي؟»

«طبعاً لا، وفهمت تلميحاتك بوضوح... لكنك بعيد جداً عن الحقيقة. وعلى سبيل المثال، أنا لا أستأجر هذه الشقة...»

لوى فمه وقال: «أنتِ لا تدفعين إيجاراً طبعاً. ستقومين بما يعرف بالتسوية مع السيد المقيم في الطابق العلوي. تعيشين هنا مقابل تقديم الخدمات. أنت كما يقولون كمكتة المحلاة.»

بدأت فيونا تفقد السيطرة على أعصابها، علا صوتها وأصبح غير ثابت وهي ترد بحدة: «سيد هاميلتون، لا مشكلة سكنى لابن خالتك ولا مكان وجوده يهمانني. ولست مجبرة على تحمل سخريتك الوضيعة، لذلك هل تنسحب وتتابع بحثك في مكان آخر؟»

«أتريدين مني الرحيل؟» تشدق في الكلام.

قالت: «أطلب منك الخروج من شقتي.» وشعرت بالضياع لعدم معرفتها طريقة معالجة هذا الوضع الذي يزداد سخافة بسرعة.

رماها بنظرة ثاقبة. «هل آخذ الأمر تأكيداً على عدم وجود فيكتور هنا؟»

إيماءة نافدة للصبر من ذراعها شملت مساحة المطبخ. «يا إلهي، هل أنت أعمى لدرجة لا تستطيع النظر بنفسك أيها الرجل...؟»

قطع صوت سعال رجل غير متوقع صادر من الغرفة الثانية، عليها السؤال. مما جعل جيلز هاميلتون يطلق هتافاً حاداً ويتقدم ماراً بفيونا نحو الممر القصير الذي يؤدي إلى

غرفة النوم الوحيدة في الشقة وغرفة الحمام وغرفة الغسيل.

وقف عند باب غرفة النوم، أخذ نفساً طويلاً وقال: «حسناً، حسناً، حسناً، حسناً، من لدينا هنا؟ فيكتور بروملي بدمه ولحمه! أتق بأنك مرتاح جداً أيها الصديق القديم؟»

حملقت فيونا من خلفه لرؤية الرجل المستلقي فوق سريرها. سببت لها رؤيته صدمة، جردتها من الكلمات حتى أن الغضب لم يلن لسانها. «لم أعرف بوجوده هنا.» صاحت بسخط.

«لا؟» هزأ جيلز هاميلتون، وهو ينظر إليها بعينين مليئتين بالاحتقار. «كنت تخدعيني، أيتها الكاذبة الصغيرة الناقمة اللعينة.» شحب وجه فيونا وقد سجل عظمها الإهانة. «لم أكذب عليك. لم أعلم بوجوده هنا!» صرخت، ثم شقت طريقها مروراً به لتقف إلى جانب السرير. «كيف تجرؤ على أن تستلقي فوق سريري؟» صرخت بالرجل الفكي، إلى وسادتها. «انهض عندي الحال وإلا سأتصل بالشرطة! أيها الدخيل المتطفل!»

ضحك جيلز هاميلتون وقال بلهجة ساخرة: «تمثيل رائع. لسوء الحظ، غير مقنع على الاطلاق. تقول له أنك دخيل متطفل وتكذب حضوره، بعد أن دعته.»

حملقت فيونا بالرجل فيكتور باحباط. «ألا تستطيع القول له إنني لم أدعك إلى هذا المكان؟»

قابل فيكتور حملقتها بتصرف خالٍ من التعبير وقال: «لقد كنت تعباً. احتجت إلى النوم.»

«كذبتي ثم أدعك إلى هنا.» أصرت، بدت محبطة أكثر.

حملق بها مرة أخرى من دون جواب.

صرخت بغضب: «عظيم جداً، سأعالج هذا الوضع حالاً. سأتصل بالشرطة، ستنقلكما أنتما الاثنان معاً!»

www.liilas.com

تركت الغرفة واتجهت نحو الهاتف، ولكن قبل أن تطلب رقم الطوارئ، كان جيلز هاميلتون قد أصبح إلى جانبها ويده فوق رسغها بقبضة حديدية.

قال بخشونة: «لا تفعلي هذا. سوف أشرح لكِ لاحقاً. لكن دعيني فقط أنقله إلى المنزل. صدقيني، هناك تفسير.»

كان تعبير وجهها كئيباً وهي تقول بمرارة: «لا تهمني شروحاتك.» بعد ذلك، حررت يدها عن الهاتف تحت ضغط يده العنيفة، وتابعت: «لست معتادة على التعرض للإهانات التي صببتها علي ولا أشعر بأني أستطيع تصديق أي شيء ستقوله لتبرير أتصرفك.»

صر على أسنانه وقال: «على الرغم من ذلك، سوف تصغين إلي.»

قالت: «هذا ما تظنه. أنت مضطرة إلى سماع أي شيء مما ستقوله.»

«ما الذي يجعلك غير عاقلة؟» سأل، وهو يدقق في ملامحها: «هل هو عيناك الخضراوان أم شعرك الكستنائي؟»

التقت نظراتهما وقالت: «لا. إنه استعاضي العميق من تسميتي كاذبة، وتشكيك غير المبرر بأني مقربة أكثر مما ينبغي من الرجل الذي يملك هذا المبنى.»

«إصغي إلي الآن. إن فيكتور هو الذي سبب هذه المشكلة. سأعطي تفسيراً بالنيابة عنه.»

«أفضل سماع التفسير من فيكتور نفسه.»

هزّ رأسه وقال: «أخشى أن فيكتور غير بارع في شرح المسائل التي تخصه.»

«لا أفهم.» قالت ببرود.

«ستفهمين عندما نقوم بحديث إضافي. سأتصل بك في الساعة السابعة وأخرج معك للعشاء.»

«لا، شكراً لك. الطعام سوف يخنقني.»

تجاهل ملاحظتها وهو يقترب منها ويحملق في وجهها المضطرب وقال: «قد يساعد هذا في تقديم تعويض...»

قاطعته فيونا: «عن إهانتك؟ يا إلهي، أنت تأخذ المسائل باستخفاف...»

قاطع صوت فيكتور كلماتها: «أنا هنا، يا جيلز. هل كنت تبحث عني؟» جاء السؤال ملطفاً.

التفتت فيونا لتنظر إلى الرجل الذي سبب كل هذا الازعاج. وقفت عند مدخل المعشى، واستنتجت بأنه يكبر ابن خالته بعشر سنوات أو أكثر على الأقل. كان هناك تشابه تام بالطول والحضور بجانب، مع أنه لم يكن بوسامة الرجل الأطول. «ما السماء ماذا تفعل في شقتي؟» استشاطت غضباً.

توجه نحوها وسحب يديها الاثنتين. «لكن كنت تعليمين بوجودي هنا... أليس كذلك؟» كان غامض التصرف وهو يلقي سؤاله.

«لا، لم أعلم.» وخطفت يديها بعيداً وهي مدركة بأن جيلز هاميلتون يراقب باهتمام. غير عابئة بالتعبير الذي علا وجهه، حيث بدا تعبير الاتهام على وجهه مرة أخرى.

فهم: «لا تزعجي نفسك في الاستمرار على إنكارك. فيكتور يعتمد عليه عادة في قول الحقيقة. أنت حقيقة تدهشينني، يا آنسة ماك كي. هل هو كلبي؟ سألتِ. هل هو غلامي الصغير؟ ستلقين عينيك مفتوحتين من أجله، هذا ما وعدت به. يا له من قول لمعين كاذب!» كاد يصرخ.

www.fiifas.com

شعرت بالضعف تحت انقضاض غضبه الشديد، واغتاظت وهي تشعر بلسعة من الدموع توخز جفنيها.

بعد ذلك كان لفيكتور التأثير المهدئ على ابن خالته: «لماذا أنت متزعج بهذا الشكل، يا جيلز؟ لقد جئت فقط إلى هنا طلباً للنوم.»

«لكنك تعلم جيداً بأنك لم تعد تقيم هنا.» ذكره جيلز، فجأة كان صوته لطيفاً وهو يحاول بجهد إخماد نيران غضبه.

هزّ فيكتور رأسه، ثم غمغم: «لا... لقد نسيت.»

«حسناً، إذاً أين تقيم؟» أصرّ جيلز.

«معك... في منزلك في نابير هيل.»

«من يهتم بنا؟»

عبس فيكتور مفكراً، ثم انجلى وجهه. «إيدي وأغنز غرين.» أعلن بإشارة نصر.

«هذا صحيح. الآن، كيف يهتمان بنا؟» وضع جيلز السؤال بانتباه، وكأنه يطرحه على طفل.

تردد فيكتور، ثم قال: «أغنز تطهو وتقوم بالأعمال المنزلية، بينما يعمل إيدي في الخارج. إنه ينمي خضارنا.»

تنهد جيلز بارتياح. «هذا صحيح. الحمد لله عادت ذاكرتك بمكيال عادل. لنفترض الآن العودة إلى أغنز؟ ستعد فنجاناً من الشاي ومن ثم باستطاعتك الحصول على قيلولة أخرى.»

«نعم، أود ذلك.» تثاءب فيكتور بتعب ثم توجه نحو الباب كانت خطوته بطيئة وكتفاه متهدلتين.

تقدم جيلز إلى الأمام ووضع يداً فوق ذراعه. «لم تشكر السيدة على ضيافتها، أيها الصديق العجوز.»

بدأت فيونا بالاعتراض: «لم أستضف...»

أسكتها جيلز بإيماءة منه. «أرجوك، دعني الأمر يسير

بهدوء.» نصحها ثم تابع: «من الحكمة أن لا نربكه.»

تقدم فيكتور نحوها، ويده ممتدة. «أشكرك للسماح لي بالنوم المنعش هذا. كنت بحاجة إليه. لقد كنت متعباً بالفعل.» اعترف بصوت رنّان يشبه بغرابته نبرات جيلز المذبذبة.

أخذت يده، ثم ابتسمت له. أدركت أن هناك خطباً ما في هذا الرجل، لذلك تكلمت بهدوء: «من المبهج أن أقدر على تقديم المساعدة لك... مع أنني ما زلت أستغرب دخولك إلى الشقة. أعني تماماً أنني أقفلت الباب عندما ذهبت إلى الحانوت عند المنعطف.»

قال: «لقد نسيت أمر الباب الخلفي الذي يؤدي إلى المطبخ. لقد قمت بذلك قبل اليوم.» توقف بينما نظرت إليها عيناه البنيتان متفحصتين فلاحظ ملامحها الواضحة، أنفها المستقيم والانتباه ما بين عينيها الخضراوين. «أنت في الحقيقة شيء يستحق النظر إليه.» طق ببساطة وأضاف: «سوف أعود لرؤيتك مجدداً.» ثم امتدت يداه إلى كتفيها، وأدناها منه، وانحنى ليقبل وجنتيها المتوردتين.

أطلقت تنهيدة حادة ثم رمقت جيلز هاميلتون.

قال بلهجة ساخرة: «غريبان تماماً، ها؟ إذا كان هناك من لا أستطيع احتماله، يكون الأنثى الكائنة.»

«هناك الباب.» اندفع صوتها بنبرات جليدية: «اخرج بلطف... ولا تجرأ على الاقتراب مني مرة أخرى، أياً منكما!»

«سوف أعود.» ردّ بعزم. «يجب أن نتكلم.»

سألت غاضبة: «بشأن ماذا؟ فأنا لا أتمنى أن تكرر على مسمعي بأنني كائنة. ولا أريد زيارة أخرى منه.»

«من أجل هذا يجب أن نتكلم. أستطيع أن أشتم رائحة مشكلة آتية مع الريح. سأمر عليك في الساعة السابعة من هذا المساء.»

www.liilas.com

بدت كلماته آمرة أكثر من أن تكون دعوة موجهة، وبعدها قاد جيلز ابن خالته فيكتور بعيداً عن الشقة.

ذهبت فيونا إلى نافذة المطبخ لمراقبتهما وهما يجتازان الطريق نزولاً نحو موقف مغطى بالحصى قرب شاطىء البحر. بعد دقائق قليلة، شقت سيارة جاكوار بيضاء طريقها نحو الطريق العام ثم انطلقت مسرعة في اتجاه نابير هيل.

جعلتها المواجهة مع جيلز هاميلتون وابن خالته تشعر برعشة مع أنها كانت تعلم أنه عليها إنهاء التوءمين الصغيرين للتوأمين في الشقة المقابلة، لكنها وقفت عاجزة عن القيام بما يتوجب عليها. لو كان أحد ما بحاجة إلى الراحة، قد تكون هي شخصياً. لكن عندما دخلت غرفة النوم واجهت الغطاء المتجعد وانبعاج الوسادة بفعل استلقاء فيكتور. ثارت، وهزّت الوسادة، سوت الغطاء وعادت إلى عملها.

جلست لمتابعة التطريز الذي قطعه جيلز هاميلتون، في محاولة لمحو صور الرجلين معاً. مع أنها عملت بثبات، كانت ذكرى الاتهامات التي أطلقها من عينيه تتلوى بألم في مخيلتها.

تمتمت بصوت مسموع: «يذهب هذا الرجل إلى الجحيم إذا كان يظن بأني سأخرج معه هذه الليلة. ليفكر مرة أخرى. فلا طريقة ستجعلني أقفز وأركض عند سماع صفيره».

أدارت المذياع بصوت أعلى بقليل، آملة أن يمحو الصوت كل الأفكار عن الوجه الوسيم الذي يحوم في مخيلتها وساعدها التركيز قليلاً في محو صورة جيلز هاميلتون، وأنهت العمل في الثوبين أخيراً.

سيحتفل توني وبني غداً بعيد ميلادهما الأول، شعرت وهي تقطع الخيط الأخير بأنهما سيبدوان على التأكيد انيقين

بالثوبين اللذين صنعتهما لهما. زينت القميصين الأبيضين بتطريز بحري، ليتجانسا مع السروالين البحريين الفضفاضين، وضمنت وهي تلف الهديتين جوربين بحريين صغيرين.

سارت بعد وقت قصير إلى شرفة جيرانها ورنت جرس الباب، تساءلت وهي تصغي إلى الخطوات الآتية من الداخل عما لو انفرج بالحادثة الأخيرة إلى سو، والبغ لكن الباب فتح قبل أن تتخذ أي قرار، وتلقت ترحيباً من السيدة الشقراء التي هي في أواخر العشرينيات من عمرها.

«فيونا!» لمعت عينا سو عند مشاهدتها. «ادخلي. كنت على وشك تحضير فنجان من القهوة بعد أن أطعمت التوأمين الصغيرين المتثلجين.»

ضحكت فيونا وهي تعطيها الرزمة. «إذا استمرا على هذا المنوال عندئذ سيعرفان بالفطيرة والعصيدة!»

«ما هذا؟» نظرت سو إلى الرزمة وهي ترشدها إلى غرفة الجلوس حيث كان الصبيان منشغلين بمجموعة متنوعة من الألعاب. «انتبهي إلى خطواتك. أنا نرتها حوري على شاحنة ونستهين في المطبخ الآن. ما هذا؟» سألت متفحصاً وهي تشير إلى الرزمة «يجب أن لا تلتفتي لغاية العيد، لكن يمكنك أن تلقي نظرة بسرعة.» قالت لها فيونا.

لمعت عيناها من الفرح. «لقد صنعت لهما هدية؟»

«شيء صغير فقط جعلته من أجلهما.» قالت فيونا بتواضع سيالغ فيه.

فكت الرزمة بأصابع متلهفة، ثم تفرست في المحتويات ببهجة. «شكراً لك يا فيونا! سيبدوان لطيفين بهما... وسيرتديانهما

www.liilas.com

غداً بالتأكيد. ستحضر بعض الأمهات صغارهن للتمتع بالحلوى والمشجات. ألا تشاركينا؟»

«لا، شكراً لك. هنالك بعض الطلبات علي انجازها، مع أنني كنت أود رؤية التوأمين في عيد ميلادهما الأول.»

«قد تكونين أكثر حكمة لو بقيت بعيداً.» ضحكت سو. «على أي حال، إنني عازمة على إطلاع الأمهات على نوعية ثياب الأطفال الجميلة التي تخيطينها بنفسك، لذلك تأكدي من أن لديك الكثير من هذه المنتوجات.»

بدأت فيونا بتوجيه الشكر لها: «هذا لطيف جداً...»

لوّحت سو لها للتلزم الصمت. «اعتبري ذلك مقابل بسيط لهذين التوبين الصغيرين.» تردد، ثم رمقت فيونا بتفحص وهي تسألها: «هل رأيت فيكتور برومللي وابن خالته يتركان مكان إقامتك في وقت متأخر من بعد ظهر هذا اليوم؟»

تجنبت فيونا عينيها. «نعم، لقد جاءا لوقت قصير.» لم ترد الكشف عن التفاصيل غير المسرة عن المواجهة.

قالت سو: «ابن الخال هذا من النوع الذي يجعل الفتاة تنظر مرتين.»

«هذا ما تعتقدينه؟ ما كنت ألاحظ ذلك.»

«لا بد وأنك عمياء، يا فتاتي العزيزة! كيف ترين الخياطة؟»

لقد جاء باحثاً عن فيكتور، الذي قام بزيارة قصيرة.» قالت فيونا بطريقة مرتجلة، بينما شعرت بأن هذا النوع من التفسير ضروري. توقفت وحملت بني من فوق الأرض وكأنها تغير الموضوع. «من يكون الصبي الصغير المنتفخ؟» سألت وهي تقبل خديه المتوردين والمنتفخين.

انتحب توني فوراً كي يلفت الانتباه فيما سألت والدته فيونا من

خلال ضجيجه: «إذاً تعلمين بأن فيكتور عاش في شقتك؟»

ضحكت فيونا من عرض غيرة توني وقررت أنه من الصواب إعادة بني إلى الأرض. «نعم، لقد علمت بهذا الأمر. هل تعرفينه جيداً؟» جاء سؤالها مصادفة.

هزت سو رأسها: «نادراً ما نراه. لم نكن، غاري وأنا، من زمرته. كان في منتصف سنيه الأربعين وربما كان يرانا شابين مضجرين ومزعجين، نحلق هنا وهناك في كل عطلات نهاية الأسبوع.»

«سيقطع التوأمان جناحاك.» ابتسمت فيونا، ثم وعلى الرغم منها صدر عنها السؤال: «ما نوع العمل الذي يقوم به؟»

«إنه محام مع وقف التنفيذ، وعلى حد قول السيدة إيفانز المالكة السابقة للمنزل، إنه عازب ملتزم.»

تردد فيونا قبل أن تسأل: «هل قابلت ابن خالته جيلز هاميلتون؟»

«مرة واحدة فقط. إنه محام أيضاً، وأعتقد أنه عازب ملتزم هو الآخر. إنهما شريكان في مؤسسة واحدة. وكما تقول السيدة إيفانز، إنها مهنة العائلة. بدأت منذ سنين بعيدة مع جدهما. فكرت بأنه عالم فيكتور.» توقفت سو، ثم سألت: «هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين قهوة؟ هناك الكثير منها في الابريق.»

هزت فيونا رأسها: «لا، شكراً لك. سأخرج هذه الليلة، لذلك من الأفضل أن أعود إلى المنزل وأسرح شعري. حمداً لله، لقد غسلته هذا الصباح.» وكان هناك قوة غريبة اتخذت القرار بالنيابة عنها وأسرعت إلى المنزل وأخذ عقلها يقلب ما بداخل خزانة الملابس.

لقد قال جيلز الساعة السابعة، لذلك عليها الاستعداد لمرافقته بدلاً من الاستمرار في تصرفها الرافض. يجب أن نتكلم، قال. على الأقل تستطيع الاصغاء إليه حتى لو لم تكن مهتمة بشكل خاص

www.liilas.com

ولكن ماذا كان يقصد حين قال، أشتم رائحة مشكلة آتية مع الريح؟ بدت الأمور بأكملها غريبة، واستيقظ فضولها فجأة. تحركت بسرعة الى الاستحمام والعناية بشعرها. ارتدت فستاناً من اللون المشمشي الفاتح ومحاكاً من قماش الشيفون الرقيق، انحدرت التنورة عن خصرها بثنيات لطيفة وتطايرت حول ساقيها وهي تسير. اعتنت بمساحيق وجهها وبعد أن وضعت القرطين اللؤلؤيين والعقد اللؤلؤي، عاينت نفسها في المرآة الطويلة. «هذا الفستان هو النجاح.» تمتمت إلى صورتها في المرآة. «إنه بالفعل يزيدك رونقاً.»

خمنت بأنه دقيق في مواعيده وكانت الساعة السابعة تماماً عندما رن جرس الباب. تملكها خوف رهيب مما ينتظرها، لكنها رفعت ذقنها عالياً وهي تفتح الباب لتجد جيلز هاميلتون وهو مرتدياً بدلة سوداء أنيقة.

وجهه غير مبتسم، نظر إليها للحظات عدة قبل أن يتكلم، ويقول بالقضاب: «ستحتاجين إلى معطف.»

شعرت بعدائه تجاهها، لكنها لم تعلق وهي تتناول معطفاً صوفياً أنيقاً من خزانتها المصنوعة من خشب الكافور. لفت به كتفيها، وأدركت وهو يفتح باب سيارة الجاكوار البيضاء لها بأن الهواء أصبح مثلجاً. تأملت، على الأقل لقد فكر بها.

جرى بينهما أكثر من عدة تعليقات مؤدبة وهما يغادران وستشور واتجها إلى ما وراء نادي نابير للملاحة حيث الأعضاء يرسون يخوتهم. كانت هناك مراكب كبيرة يملكها صيادو السمك، وبعد أن اجتازا بضعة محلات اقتربا من الشاطىء حيث يوجد خط طويل من أشجار الصنوبر بين الأعشاب التي نبتت على حافة الشاطىء.

في معظم الرحلة علت الأرض عن يمينهما لتشكل مساحة سكنية كبيرة، لكن، بعدما تجاوزا ميناء نابير حيث سفن المستوعبات عبر البحار تحمل وتفرغ، تكورت الطريق عند مدخل بلاف هيل ودخلا المدينة. وعند مارين بارييد استمت أغصان أشجار الصنوبر القديمة لتظلل خط السيارات المتوقفة، بينما من جهة مواجهتهما للبحر كانت توجد احواض للأزهار، ما زالت تشع تحت أنوار المساء بألوان الزهر، الأصفر، الأزرق والبنفسجي.

تحول جيلز إلى مكان خال من السيارات عند نهاية الصف. فتح لها الباب، ثم قادها عبر الطريق حيث احواض أزهار البنفسج التي رفعت وجوهها المفعلية قرب مدخل فندق ماسونيك والتي ملأ شذاها الهواء. تخيلت فيونا أن بعضها يبتسم لها... أو هل تتجهم بعضها؟

طرحت هذه الأفكار الغريبة بعيداً، ورافقت جيلز إلى القاعة، حيث قادها إلى زاوية منفردة مجهزة بمقعدين مريحين ومائدة صغيرة. وبعد أن استقرت على أحد المقعدين، نظر إليها بشجاعة: «شيري، أو شيئاً أقوى؟»

جاهدت لتبدو نعمة: «الشيري سيكون رائعاً، شكراً لك... آخذه مع بعض الثلج.»

تركها واتجه نحو المقصف وعاد بعد قليل يحمل لها وله الشراب. أحدث الثلج رنيناً وهو يرفع كأسه. «هذا التفهمك للوضع.»

«تعني، بما يتعلق بفيكتور؟ يجب أن أقر بأني فضولية.» قالت له.

«سنناقشه عند تناول العشاء حيث نتعرف أكثر إلى بعض. إلى أن يحين ذلك الوقت ستشعرين بارتياح أكثر وسيكون عقلك أكثر تقبلاً.»

www.liilas.com

«هل تلوّح بأني أشعر الآن بالحرج؟» سألت.

«الناس الذين يعيشون بعنق كأسهم يفضحون، في العادة، حالة توترهم الغاضبة.» أشار بجفاف.

«أنت سريع الملاحظة، يا سيد هاميلتون.» علقت بنبرة تجانست مع نبرته. وبهدوء وضعت الكأس فوق المائدة.

«هذا أفضل.» صفق استحساناً. «لا أود رؤيتك تسكبين الشراب فوق ثوبك الجميل.» توقف، ثم سأل ملمحاً: «هدية، أليس كذلك؟»

فاجأها السؤال، فأجابت مراوغة: «ما الذي جعلك تفكر هكذا، يا سيد هاميلتون؟»

«آه، إنه شيء أخبرني فيكتور به.»

«هل يسمح لي بسؤال إضافي؟» سألت مبتسمة.

وافق برقة. «أظن ذلك.» قال لي فيكتور بأنه قابل فتاة محببة إلى القلب، لكن لسوء الحظ وجدها متعلقة بالشاب الذي يقيم في الطابق العلوي.»

أفلتت منها قهقهة. «الشاب الذي لا تفهمه زوجته؟»

«هذا صحيح. وقد ذكر أنها صهباء مع أنني أعتبر شعرك كستنائياً. شعر جميل، إذا كان يحق لي قول هذا.»

«شكراً لك. يجب أن تراه تحت أشعة الشمس. يميل إلى الاحمرار أكثر.» توقفت مفكرة، ثم سألت: «هل أخبرك فيكتور عن تلك الفتاة اليوم؟»

«لا. حدث ذلك منذ أسبوعين ماضيين. كان مستاءاً من هذا الوضع. كان لديه أفكاراً تبعدها عن الشاب المقيم في الطابق العلوي، لكن لن يكون الأمر سهلاً مع رجل يلقي بهدايا مثل هذا الثوب. يجب القول بأنك تبدين مذهلة حقاً به.»

«شكراً لك.» قالت فيونا باتزان، بعد لحظة صمت ثابعت: «هل

أنت متأكد بأني حقاً الفتاة التي أشار إليها فيكتور؟ ألا تظن بأنها مسألة خطأ في الهوية؟»

قال عابساً: «بعد أن وجدته فوق سريرك؟ لا بد وأنك تمزحين إذا ما تابعت التمسك بهذا العذر!»

ابتسمت بعذوبة: «أتابع ذلك لأني أراه حقيقة، يا سيد هاميلتون. أتمنى لو تصدقني.»

وقف فجأة. «أتمنى لو أستطيع تصديقك. سأحضر مزيداً من الشراب. وفيما أنا عند المقصف فكري بإمكانية مخاطبتي بجيلز. يجب أن لا يكون الأمر بهذه الصعوبة.»

«تعني لشخص سهل مثلي.» أجابت بحدة.

أدارت وهي تراقبه ينحني إلى المقصف بأنه رجل متين صنع قراراً، من الصعب تغييره. فكر كيفما شئت، يا سيد هاميلتون، قالت في نفسها. أما بخاطبتك بجيلز، فلست متأكدة من ذلك. سأبقي على مسافة في ما بيننا، أخذت على نفسها عهداً بغضب صامت.

عند عودته وضع الكأس إلى جانبها فوق المائدة وسألها: «حسناً، هل أحكمت الرأي؟»

رفعت الكأس وحملقت بالسائل، هل من الضروري أن تكون غير لبقة لهذا الحد؟ على الرغم من عزمها الأخير، قالت باعتدال: «نعم... يا جيلز.»

«عظيم.» قال برضى واضح. «أنا متأكد من أنك لا تنادي فيكتور بالسيد بروملي... ولا للشاب المقيم في الطابق العلوي السيد مهما كان.»

«بالفعل. لم أنادِ فيكتور بشيء.» قالت له. «أما بالنسبة للسيد المقيم في الطابق العلوي...» بدأت تضحك إلى أن لم تستطع السيطرة على مرحها.

www.liilas.com

انتظر جيلز إلى أن أخمدت قهقهاتها، ثم انحنى إلى الأمام ونقر على المائدة الصغيرة بينهما. وقال بملل طفيف: «أود معرفة ما الذي تجدينه مضحكاً... ولا يهمني كيفما تنادين... صديقك في الطابق العلوي. ينحصر اهتمامي بفيكتور. لا أريد رؤية ابن خالتي يصاب بصدمة عاطفية أو نفسية.»

لمست فيونا الدموع المترقرقة في عينيها من تأثير الضحك وسألت: «هل أنت حارس ابن خالتك؟»

بقي وجهه جدياً. «لقد ألقى هذا الدور على كاهلي مؤخراً، وأستطيع التأكيد لك بأن عقدة واحدة كافية حقاً من دون تكوم أخرى فوق تلك.»

«هل تعني بأن فيكتور لا قدرة له على الاهتمام بنفسه؟» تساءلت وهي تتذكر الغموض الذي لاحظته في تصرفه.

عبس جيلز. «لأكون صريحاً، إنه في حالة ضعف تتركه جاهزاً للتحليق خلف فتاة جميلة بانتظار الفرصة الرئيسية.»

«هل تعني أنا؟» سألت، عازمة على الحفاظ على هدوئها.

«حسناً، إنك تبدين الفتاة التي وصفها فيكتور، ووجدته بنفسي في شقتك... فوق السرير.» توقف وهو ينظر إليها نظرة ذات معنى. «كما أن علاقتك بالسيد المقيم في الطابق العلوي من المحتمل أن لا تستمر إلى الأبد.»

قالت فيونا: «لقد أعطاني هذا الثوب في مناسبة عيد ميلادي الرابع والعشرين.»

قطب جيلز، وقال: «هل قام حقاً بذلك؟ ما اسم الشاب؟»

«في الحقيقة، إنه ماك كي، مثل اسمي.»

ارتفع حاجباه. «حسناً، إنها صدفة.»

ابتسمت له بعذوبة. «ليس في الحقيقة، باعتبار أنه والدي.»

الفصل الثاني

كاد جيلز أن يسقط كأسه ففيما كان يهم بالوقوف عن مقعده، سال منه القليل وهو يحملق بها. «والدك؟ لماذا لم تقولي هذا من البداية؟ لقد ضحكت من قلبك على غبائي.» اتهمها بغضب.

«وأنت كنت تهينني منذ اللحظة التي تقابلنا فيها.» ردت فيونا بسرعة. «كيف تجرؤ على الاصرار بأنني على علاقة مع رجل متزوج؟ أنت لا تعرف شيئاً عني، وصدقت الأقاويل فيكتور في المحال، وهو الأخر لا يعرفني.»

«رأيته يقبلك.» قال مدافعاً.

«ليه جرأة بغيضة! لم أشاهده مرة في حياتي قبل بعد ظهر هذا اليوم، وبالنسبة لاستلقائه فوق سريري ...» انكمشت ملامحها.

تحولت ملامحه إلى المعاندة، وأصر قائلاً: «ما زلت أعتقد بأنه كان عليك اطلاعي قبل هذه الساعة.»

نظرت فيونا إليه بوقار وسألته: «وهل كنت ستصدقني؟ وهل تصدقني الآن، بما اننا وصلنا إلى هذه المرحلة؟»

«نعم، لأنه أمر يمكن اثباته أولاً.» ورمقها بفضول. «ما زلت لا أستطيع تخيل لماذا تكلمت الآن. كان بامكانك أن تبقيني جاهلاً الأمر بقية السهرة. لربما وجدتها مزحة لتبقيني على غبائي مدة أطول.»

«ليس من عادتي خداع الناس. هذا غير لائق.»

www.liilas.com

«إذاً ما الذي غيّر رأيك، الآن؟»

شرحت له: «اهتمامك بفيكتور. لقد بدوت قلقاً عليه، لذلك شعرت بأن الوقت حان لاطلاعك بأنه بالنسبة لي، لا داعي للقلق. ظننت بأن الحقيقة سترفع الاعباء عن خواطرك.»

هزّ رأسه بعبوس وقال: «إنه فقط أحد الأعباء. من المؤكد أن هناك امرأة في مكان ما قد تحاول استبدال فيكتور بعاشق يقيم في الطابق العلوي. حالة فيكتور المادية جيدة.»

«لقد ذكرت أنها صهباء برغم انك ترى شعري كستنائياً.»

قال: «أعترف بأن هذه النقطة حيرتني.»

«قلت لك بأنها مسألة خطأ في الهوية.» أجابت بسرعة.

بدا شاكاً. «الذي أستطيع قوله إنني آسف على الاحراج الذي سببته لك. سأحضر غداً وأقابل والدك. يجب أن نبلغه بالوضع المستجد قبل أن يحضر فيكتور ويقلك مرة أخرى.»

تنبهت فيونا بخوف وسألته: «هل تعتقد بأنه سيقوم بزيارة أخرى؟»

«سادهش إن لم يفعل.»

«حسناً. أخشى أن لقاء والدي لن يحدث قريباً. فهو ووالدتي في رحلة بعيدة، يزوران أقارب لهما في اسكوتلندا. لن يعودا إلا في آخر هذا الشهر.»

«ألم تكن عندك الرغبة في الذهاب معهما؟» سأل جيلز بهدوء.

ترددت، ثم أقرت: «فضلت البقاء في المنزل بسبب العمل. سأذهب أجلاً بعد أن أدخر المال الكافي لذلك.»

«ألم يكن باستطاعة والدك تقديم المساعدة لك؟» جاء السؤال هادئاً.

«لقد سبق وكان تحت ضغط مادي عندما اشترى منزلنا. وكذلك

أنا. إنني أدخر المال الكافي لشراء هذه الشقة. لذلك السبب لا أدفع إيجاراً.»

قال لها: «أغلب العقارات الواقعة على الشاطىء الغربي تكلف مجهوداً كبيراً.»

اعترفت قائلة: «حتى هذه لا تختلف من هذه الجهة. على أي حال، نحن لسنا أناس أثرياء، لكن والدتي لم تكن في حالة صحية جيدة فعزم والدي على توفير هذه الرحلة لها.» تساءلت، لماذا تقضي بهذه المعلومات لهذا الغريب؟ وبمسعى لتغيير دفة الموضوع قالت بعد ذلك: «والآن ألم يحن الوقت لتخبرني عن هذا الوضع مع فيكتور؟»

«سأخبرك بعد العشاء. حان الوقت لننتقل إلى غرفة الطعام.» وضع يداً فوق ذراعها حين تركا القاعة. جعلها تصرفه هذا تشعر بتغير جذري في موقفه، وعلمت بأنه شيء ممتع عندما يبتعد عن عدم استحسانه السابق. اقتيدا إلى مائدة تشعرهما بالحميمية، معزولة، وقد أضفى النور الخفيف جمالاً فوق جمال وجهها، مع أنها لم تدرك ذلك.

بعد وقت قصير توقف النادل عند مائدتهما. كان رجلاً أشقر الشعر في أوائل العشرينيات من عمره، وفيما يناول لائحة الشراب لجيلز، أرسلت فيونا له ابتسامة ودودة.

«مرحباً يا بيتر. هل ما زلت تستمتع بهذه الوظيفة؟» سألته.

ابتسم لها، وقال: «كثيراً. سأكون دائماً ممتناً لوالدك الذي أوصى بي بشكل حسن. أمل أن يتمتع برحلته، ووالدتك أيضاً.»

شرحت لجيلز عندما ترك مائدتهما: «إن بيتر هو ابن الجيران الذين عرفناهم قبل مجيئنا إلى وستشور. يطمح لامتلاك فندق خاص به.» ابتسمت له، ثم قالت ببساطة: «فرصتك الكبيرة الآن

www.liilas.com

لتثبت مكان اقامة والدي. ستوفر لك الوقت من البحث مع المصادر الرسمية.»

«لاتية لي بالقيام بهذا.» قال بوضوح.

لكن طرأ على فيونا عزم مؤزر، وعندما قدم الشراب وجهت ابتسامة رائعة إلى بيتر وهي تقول: «كنت أتساءل في ما لو تستطيع كاثي العثور علي عندما تحضر إلى نابيير.»

«سألتها فوراً على الطريق.» أكد بيتر لها وهو يسكب الشراب. «سبق وعرفت بأنك في الشقة ووالديك في الطابق العلوي.»

ابتسمت في داخلها، وهي تشعر برضى أكبر بجواب بيتر. وكأنه قرأ ما كان يجول في فكرها تقريباً، ثم لاحظت... النمط المتوهم الذي ظهر حول فم جيلز.

مع ذلك، شرحت قائلة: «إن كاثي هي شقيقة بيتر.»

«ينبغي شيء ما بأنه جاء بالجواب الصحيح.» قال بعد أن ترك بيتر المائدة. «حسناً، لقد وصلت رسالتك إلى مكانها المحدد.»

«أنا سعيدة لذلك.» قالت فيونا ببساطة؛ وروحها المعنوية ترتفع. «الآن، لقد وعدتني بأن تطلعني على كل شيء عن فيكتور. أليسنا هنا من أجل هذا بالفعل؟» نظرت إليه بترقب.

فكر ليضع دقائق ثم قال: «من الصعب معرفة من أين أبدأ. فيكتور هو ابن شقيقة والدتي الكبرى. إنه في الثالثة والأربعين من عمره. لم يتزوج قط. ذلك كان من جراء ما يسمى الفشل في الحب.»

«هل كان لديه صديقات؟» تساءلت فيونا، وهي تراقب ظلال الأنوار الخفيفة التي تلاعبت فوق وجهه فيما هو يتكلم.

أطلق جيلز ضحكة وجيزة وقال: «آه، نعم، كان لديه صديقات. حبه الأول لم يبادله عاطفته. لكن كان ذلك عندما كان يكافح

لاجتياز امتحاناته في كلية الحقوق ولم يكن لديه المال الكافي للانغماس في الملذات. ما من حاجة للقول، تركته من أجل شخص آخر مؤمن مادياً أكثر منه. تحطم فؤاده، لكنه نذر على نفسه أن يصبح ثرياً.»

«هل نجح؟» سألت فيونا، لكنها ندمت بسرعة على طرحها هذا السؤال مخافة أن يظن جيلز بأنها هي الأخرى تفكر بالمادة.

«آه، نعم، نجح، لكن ذلك أخذ وقتاً طويلاً بالطبع. الصديقة الثانية خرجت معه في عطلة نهاية الأسبوع ولكن مع شخص آخر خلال الأسبوع. وتحطم فؤاده مرة أخرى عندما اكتشف أنه كان يعرف على الكمان الثاني للشخص الآخر.»

«مسكين فيكتور.» تمتمت، وثورات صوتها تفيض بالعاطفة.

«لا ضرورة للقول هذا، لقد أمضى وقتاً طويلاً لتجاوز الأمر مع كل فتاة، لكن أشك أن يكن الفتيات المناسبات له في ما لو تأملنا في مجرى الأحداث.»

سألته: «هل أنت خبير بالنموذج الملائم له؟ كيف باستطاعتنا التأكد من هذه الأمور؟»

بدا جيلز ضجراً، وقال: «ليس المرء بحاجة إلى ذكاء متوقد ليدرك بأن حب الثاني كان غير ملائم على الاطلاق. كانت متزوجة، لكنه اعتقد...؟» ما تركت زوجها من أجله.»

«وهل فعلت؟» سألت فيونا، واتسعت عيناها قليلاً.

«لحسن حظ فيكتور، ربح زوجها مبلغاً ضخماً من المال في اليانصيب، واختارت رأيها بين عشيقها وضحاياها.»

ضحكت فيونا. «يقولون إن المال يتكلم. يبدو أنه يقول الكثير في علاقات فيكتور.»

www.liilas.com

تابع جيلز: «لم يعد يعوز فيكتور شيء. عندما اجتاز الامتحانات انضم إلى الشركة التي تأسست منذ سنين عديدة بواسطة جدي من أبي، وأثبت نفسه بأنه محام بارع... وعلى الأقل، دام هذا الحال حتى وقت قريب، وقد ورث طبعاً من جدنا المشترك لأمي وأمه. لكن الآن بعد أن وصل إلى حالة مادية آمنة، فهنالك، على سبيل المثال، الصهباء.»

نظرت فيونا إليه عبر حافة كأسها وقالت: «كيف تعرف بأنها ليست مناسبة له؟ لم تلتق بها بعد، يا سيد ح. أ.»

عبس وسأل: «ماذا تقصدين بسيد ح. أ.؟»

«حارس ابن الخالة.»

بدت بحاجة للتعرف إليها.» قال بصوت خشن. «وأرجو أن تفهمي بأنني أطلب الخير من صميم قلبي لفيكتور، الذي أعرفه أن مسلك فيكتور يشير بأن اختياره للنساء كان ضعيفاً. والآن بما أنه وافر الثراء نسبياً، بدأ بالتورط مع امرأة لا تروق لي اوراق اعتمادها.»

قالت فيونا: «لكن إذا كان يحبها...»

«المسألة هي، هل تحبه، أم تحب ماله؟»

شعرت فيونا باهتمام بمصلحة الرجل الأكبر سناً. «لا أظن أن لك الحق في أن تدس أنفك في علاقات فيكتور.» قالت بشيء من القسوة.

قال جيلز بجفاف: «قد يكون هذا صحيحاً في ما لو يرى بنفسه الأمور بوضوح. لسوء الحظ، لقد أصبح عاجزاً عن القيام بذلك منذ الحادثة التي تعرض لها.»

«حادثة؟» انتظرت لتسمع المزيد.

«لقد وقعت عند التلال الواقعة بين نابير وبحيرة توبر. كان

يقود سيارته كعادته بسرعة جنونية، عندما انخفقت السيارة في انعطافها. اندفعت فوق نهر، تدحرجت عدة مرات فوق نتوءات شاهقة، والله أعلم كيف خرج منها حياً. وحدث أن شرطي السير كان يلا ... لطلب المساعدة وجاءت سيارة الاسعاف ونقلته إلى مستشفى نابير.»

«هل تأذى كثيراً؟» سألت فيونا.

«بعض العظام المكسورة، وأضرار في الرأس هي الآن السبب الأساسي لمشكلاته. في الواقع، لم يعد بعد إلى العمل.»

«إلى أي حد أثرت عليه؟» سألت، وتذكرت حالة فيكتور الماضية.

«بالإضافة إلى أوجاع الرأس فقد تسبب له بفقدان الذاكرة. إنهم يعطونه فترات لاسترجاع الماضي، والحال على ذلك، بعد ظهر هذا اليوم، لقد جئنا إلى الشاطىء الغربي لمشاهدة راكبي الأمواج المتكسرة ينزلقون بأشرعتهم. لا بد وأنك رأيتهم من نوافذ غرفتك.»

«نعم. لأشرعتهم ألوان محببة تذكرني بالفراشات الرائعة... ويجرون بسرعة...»

«أمضيت دقائق قليلة في التحدث مع أشخاص أعرفهم.» تابع جيلز: «وعندما التفت وجدت أن فيكتور اختفى.»

«لقد قال إنه شعر بالتعب وجاء ليرتاح في المنزل.» تذكرت فيونا. «ويظهر أن ذلك حدث اثناء ذهابي إلى الحانوت عند المنعطف.»

«نعم، لقد ظن بأنه ما زال يقيم هناك، لذلك دخل من الباب الخلفي، عبر المطبخ وإلى داخل غرفة النوم.»

«أشك أن يكون قد لاحظ أقمشة الأطفال الموضوعة على حافة

www.liilas.com

النافذة في القاعة.» أخذت تفكر ليضع دقائق قبل أن تقول: «هل كانت إحدى صديقاته السابقات صهباء؟»

«الأولى فقط...» قطع جيلز كلامه وكأنه رأى النور فجأة. «طبعاً، هذا الذي دفعه إلى المرأة الحالية. أفهمت الآن لماذا يجب أن أنتبه له، على الأقل إلى أن يصبح ذهنه متوازناً أكثر؟ لا أود له أن يضع خاتماً في اصبعها خلال احدى نوبات فقدان الذاكرة.»

هزت رأسها، وبدأت تدرك مشكلة فيكتور أكثر وقالت معترفة: «نعم، فهمت ما تعنيه.»

«ألا ترين أن عودته إلى شقتك مرجحة؟»

«ولكن سافهم على الأقل لماذا وصل. لن أقفل الباب في وجهه.» قالت بهدوء.

حملق بها بنظرة ثاقبة وقال: «لا. إذاً ما الذي ستفعلينه؟»

«سأ... سأشجعه على الجلوس وأعد قسطاً من الراحة. سأكون طيبة...»

قال بنبرة ساخرة: «طيبة؟ بأي طريقة ستكونين لطيفة معه؟»

فتشت فيونا على جواب فيما هي تحملق في صحن الطعام وقالت بضعف: «حسناً، سأحضر له فنجاناً من الشاي.»

«وإذا حاول عناقك؟»

«هذا شيء غير محتمل.» قالت وهي تحشد كل كبرياء عندها. «على أي حال، سأعالج الأمر عندما... وإذا... حدث!»

«بطريقة تجعله ينقطع عن الصهباء؟»

«هل تخشى من أنني سأجهز نفسي لأكون حب فيكتور التالي؟» سألت بنبرة باردة. «إن كان هذا، فباستطاعتك نسيانه.»

«أتذكر بأنه قبلك بعد ظهر هذا اليوم، ستكون في المرة المقبلة أبعد من الوجنتين.»

ملطفاً توقف عن التأكيد بأنه سيكون هناك مرة أخرى!» قالت بسرعة وهي تشعر بتورد يعلو وجهها. «سيقيد على بعد ذراع.» أضافت بغطرسة.

ومضت عينه من الضوء. «هل أنتِ متأكدة من ذلك؟» سأل بلطف.

«أكثر من متأكدة. أكره الرجال الذين يأخذون المرأة كأمر مسلم به، يسبب لي الرجال المتعصبون ألماً.» أضافت بالقناع.

ارتفع حاجبا جيلز السوداوان وهو ينظر إليها باستفهام. «هل تنادين بالمساواة بغضب شديد من الرجال؟ أصدق بصعوبة أن الفتاة التي تمضي وقتها بصنع ملابس الأطفال لا تلجأ إلى غريزة الأمومة. بالتأكيد لها معتقداتها بالزواج وهي تتوق في داخلها لمباطة الأثواب لأولادها!»

«آه، نعم، ولكن ليس قبل أن ينتج عملي نجاحاً يجب أن أثبت لي أستطيع العيش من جهودي. يمكن تسميتها بنوع من الغرور، إذا أحببت.»

«اثبات... لمن؟» راقبها عن كثب.

«لنفسي، طبعاً.» وأطلقت ابتسامة نحوه. «أنا صائنة نفسي، أنت تفهم. أنا عازمة على أن أكون آمنة مادياً من عرق جبيني.»

«هل أنت بطريقك إلى النجاح، أيتها الآنسة المستقلة؟» كان هناك نغمة من المرح في صوته.

«حسناً، ببطء شديد فقط.» اعترفت متنهدة. «أنا لست معروفة تماماً، ذلك لأني جديدة بعض الشيء في هذه المنطقة، ولأنه مرخص لي فقط ببيع ما أنتجه، ففي مسكني البضائع محدودة. لم يكن لدي الوقت الكافي لأطوره أكثر.»

«هل منحت نفسك اسماً تجارياً؟ لم ألحظ أي نوع من اللافتات على باب شقتك.» قال جيلز، مظهراً اهتماماً أدهشها.

www.liilas.com

هزت رأسها. «أخشى أني كنت بطيئة جداً في ما يختص بهذه المسائل. لقد انشغلت تماماً بالخياطة فتاهت عن فكري.»

نظر إلى أصابعها النحيفة في يدها الصغيرة. «أخبريني متى استحوذت الخياطة على محور تفكيرك؟»

«منذ أن كنت طفلة. اعتدت مراقبة أمي وهي تصنع الثياب، وعلمتني صناعة الفساتين لألعابي من قطع القماش الصغيرة المتبقية. عندما كنت في المدرسة الثانوية جرت منافسة اقترنت مع يوم احتفال على أن تمنح جائزة لأفضل قطعة صنعت في الصف.»

«لا تقولي، دعيني أخمن. قطعتك هي التي فازت؟»

«لم أفز بها فقط. لقد بعتها. كانت هناك سيدة متحمسة لشراء الفستان الصغير، ونصحتني المعلمة بأن أدعها تشتريه. كانت حكيمة، لأن هذه الهبة أصبحت حافز العمل. وقبضت بعدها بأني بحاجة إلى متجر حيث أستطيع بيع ثياب الأطفال.»

«أهذه هي فرصتك الأولى لتقومي بالتأسيس؟» سأل جيلز، وعيناه البندقيتان الداكنتان ترتاحان فوق نعومة عنقها.

«نعم. الآن ما زلت ممزقة بين البقاء مع والدتي، التي هي بحاجة إلى مساعدتي، وبين العثور على وظيفة... في المدينة... حيث أتدرب على العمل في مخزن يبيع ملابس الأطفال.» توقفت فيونا وابتسامة رضا تشع فوق وجهها. «قيامي بذلك يجعلني احظى بالأمرين. أضمن صناعتي المنزلية وكذلك أبقي بجانب والدتي.»

«هل أنتِ صادقة كفاية لتعترفي بأن كفاحك هو من أجل أن تبقي رأسك فوق المياه؟» سأل، ربما بتعاطف أكثر مما أراد أن يظهره.

نظرت إلى الأسفل نحو يديها، ثم عضت شفتها. «ربما إلى حد ما، لكني عازمة على المحافظة عليه إلى أن أبلغ القمة. لغاية الآن لا احتاج لأي مساعدة من والدي، وقد دفعت حصتي من الضرائب. طبعاً، هناك مصاريف أخرى للعائلة...» توقفت، مرتعبة من نفسها. «يا إلهي، يبدو وكأنني سابدأ بالعويل!»

«يبدو في الحقيقة أنك بحاجة إلى حارس... شخصاً ينظمك بإجراءات فعلية أكثر ويهتم بصعوباتك المادية.» علق جيلز.

نبرة ثابتة زحفت إلى صوتها: «لا، شكراً لك. سوف أتخبط بمفردي إلى الأمام.»

في هذه الدقيقة رفع نادل طبقيهما، وبينما كان جيلز يملأ كأسيهما من الشراب حاولت فيونا تغيير دفة الحديث عنها. كان هناك سؤال يعبث في ظاهرها جاء الآن ليخرج بانفتاح. وبعد دقيقة تردد، سألت: «هل يجيز لي أن أسأل عن حالتك الاجتماعية، يا جيلز؟ هل أنت متزوج، أو ربما مخطوباً لإحداهن، التي لا فكرة لديها من أنك خرجت معي هذا المساء؟»

«لا هذا ولا ذاك.» قال بحدة وكأنه اشمأز من الاقتراح الأخير. «ولن يتغير الوضع في فترة اهتمامي بحالة فيكتور النفسية الحاضرة.»

«تعني في فترة حمايته من قبضة النساء المكرات. وإلى أي مدى تنتظر منه الابتلاء بنوبات فقدان الذاكرة؟»

«لا يعلم أحد بالتأكيد. يقول الأطباء إن الوقت فقط يحدد كل شيء، لكنهم على الأقل متفائلون من الانحسار التدريجي.»

«وحينها تنتهي مهمتك، يا سيد حارس.» فرحت بنعومة.

عبس من فكرة طرأت في رأسه. «أمل أن لا تظني بأني لا أتمنى لفيكتور امرأة تتفهمه وتحبه لذاته.»

www.lifas.com

«لا، طبعاً لا....»

«لكن قبل أن يتم ذلك يجب أن يكون عقلياً متوازناً، ويعرف ما الذي يقدم عليه. لا أود من الصهباء أو أية امرأة أخرى، أن تصطاده في لحظات لا تكون الحماية مؤمنة له.»

«أي واحدة أخرى؟ أتمنى أن لا أكون على لائحة شكوكك.»

قالت فيونا بهدوء حيث سجل هذا الشك في عقلها. «على أية حال، عرفته في الشقة شريراً مستبداً، مسيولاً.»

«ملابلاته فوق وجهك الفاتن تجعلني أتساءل في ذلك.» قال، وعيناه تجولان فوق ملامحها. «مع ذلك، إذا عانيت من أية مشكلة معه فارجو منك الاتصال بي في الحال.» سحب بطاقة من جيبه الداخلية. وقدمها لها عبر المائدة.

«شكراً لك. لكن أشك في أن تكون ضرورية.» وتلامست أصابعهما وهي تأخذها منه.

بدا أكثر ارتياحاً فجأة: «حسناً. هذه قصة فيكتور. الآن أخبريني لماذا وجد والدك أنه من الضرورة بيع المزرعة.»

غطت عينيها غمامة من الحزن وقالت: «مسكين والدي، شعرت بالأسف لحزنه، لأنه كره مغادرتها. والإجابة عن السؤال هي في كلمات قليلة. إصابة في العمود الفقري، جعلت من الصعب عليه الاهتمام بالمزرعة بالإضافة إلى معظم الأعمال الواجب القيام بها في المزرعة. والانحناء والانتصاب يسببان له الألم. وكانت هناك أوقات حيث يتجمد في موضع واحد ويعجز عن التحرك. قال الطبيب بأن لا خيار له سوى تغيير نمط حياته، وهذا يعني ترك المزرعة.»

«هل شعرت ووالدتك بالأسف للمغادرة؟» سأل.

كانت محاولتها للابتسام محزنة. «آه، نعم. لقد انتقلت والدتي

إلى المزرعة كعروس، وكان المنزل الوحيد الذي عرفته. لقد غسلنا أدمغتنا لنصدق أنه فعلاً حان الوقت للتغيير، وذلك ما خفف من وقع المسألة بشكل كبير.»

«يصعب عادة قبول التغيير.» قال جيلز بتفهم.

«قالت والدتي بأنها تريد تغييراً حقيقياً، من تلال الريف إلى واجهة البحر. أحبت دائماً وستشور، وبما أن عرض منزل السيدة إيفانز للبيع جاء في الوقت المناسب فقد كنا قادرين على شرائه لماذا لم يشتر فيكتور المنزل، إذا كان مرتاحاً مادياً؟»

«لأن السيدة إيفانز توفيت عندما كان في المستشفى. لم يكن في وضع ملائم ليفكر في كيفية استخدام شرائه، ولا يستطيع المالك انتظاره إلى أن يتعافى للقيام بعملية الشراء. عندما خرج من المستشفى أخذته إلى منزلي ليعيش معي.»

«هذا لطف كبير منك.» أشارت فيونا.

«هراء! إنه ابن خالتي. أي سلوك آخر كنت تفضلين أن أسلكه؟ لم يكن باستطاعتي قذفه إلى شقة أخرى ليصون نفسه بنفسه، خاصة وأنه في الحالة التي كان بها... شديد العصبية والتوتر، وأشياء أخرى.»

«لا، طبعاً لا.» لم تعرف ما الشيء الآخر لتقوله، وبدأت تدرك بأن فيكتور مشكلة حقيقية، مشكلة ليس من السهل التغلب عليها. شعرت في الوقت نفسه أن الرجل الذي يجلس في مواجهتها لطيف بطبيعته، ولهذا السبب تميل إليه. طبيعياً، شعر أن واجبه التدقيق الكامل. بأي امرأة تحاول الاستفادة المادية من ابن خالته، وكان باستطاعتها التمني للرجلين الاثنين بأن لا تدوم هذه الحالة طويلاً.

www.liilas.com

أخيراً قالت: «أشعر بالأسف نحو فيكتور. يبدو أنه قد نال أكثر من حصته من خيبة الأمل.»

نعم باستطاعتك قول هذا ثانية.»

طبعاً فقط خيبات أمل شديدة، بل أيضاً الثاني منها مثل... التي جرت بعد ظهر هذا اليوم، عندما يعود إلى حالته الطبيعية ويكتشف أنه لم يعد يقيم في هذه الشقة. سيعلم بأنها كانت فقط أحد أحلامه المؤقتة.»

أصبح وجه جيلز متجهماً. «أرجو أن لا تأتني لعاطفتك اجتياز فطرتك السليمة. إذا عاد، عليك الاتصال بي في الحال.» جاءت كلماته جازمة.

أنهت فيونا قهوتها بصمت وهي تفكر بالأمر، ثم ابتسمت له ابتسامة واهنة وهي تقول بصراحة: «سأقوم بذلك في ما لو اعتبرته المسلك الصحيح لاتخاذه.»

مال قليلاً إلى الأمام، وهو يركز عليها نظرة ثاقبة، وقال بخشونة: «أصر عليك أن تقومي بهذا.»

اتسعت عيناها الخضراوان. «في الواقع، أنت تأمرني للقيام بهذا؟»

«بإمكانك اعتباره أمراً... من أجل منفعتك، بالطبع.» أضاف بعدم مبالاة.

اقشعرت في داخلها. «أنت ترتكب خطأ، يا جيلز. فأنا لست جيدة في تلقي الأوامر. أميل إلى اتخاذ الاتجاه المعاكس.»

«هل تنوين ذلك، فعلاً؟ في هذه الحالة ستكونين حكيمة في تجنبهم بما أقوله لك.»

أجفلت من نبرة صوته. «هل توحي بأن فيكتور قد يكون عنيفاً؟»

عبس بينما كان يفكر بالسؤال وقال: «ربما أكثر ازعاجاً من العنف.» ثم تابع، «ولن يكون لك أي أمل في الكفاح ضد قوته... إذا لم تفعلاً وسيلة معك.»

«التي لن ينالها.» ردت بعنف، وهي تضع محرمة الورق فوق المائدة ساندة ظهرها إلى الوراء مما يدل على انتهائها من وجبة الطعام.

نظر جيلز إليها مفكراً وهو يقول: «تبدين وكأنك متلهفة إلى العودة إلى منزلك... وكأنك اكتفيت من المحادثة لليلة واحدة.»

هذا حقيقي. إنها من دون ريب اكتفت من الحديث حول فيكتور، الذي بدا مثل حاجز بينهما. ولم يكن من السهل إيجاد رد على ملاحظته، لكنها تكلمت أخيراً بصراحة.

«كان لطفاً منك دعوتي إلى هذا المكان للعشاء يا جيلز. شكراً لك. أقدر لك هذا. لكن إننا نحتاج إلى الكلام...»

قال: «أردت شرح الوضع حول فيكتور. أنا واثق من أنك قد فهمت الرسالة.» كان في صوته نبرة حادة.

«تقول الرسالة بأن استقبله استقبالاً بارداً إذا عاد إلى الشقة.» قالت بإدراك حسي.

«هذا بالتأكيد ما سيفعله.»

«لكن ألا ترى؟ لن يحصل على ذلك طالما أنا معنية. لذلك لماذا أؤذيه؟ فأنا لست معتادة على أن أكون جافة، باردة مع الناس من دون سبب على الأطلاق. لذلك لن أعد بشيء.» نهضت، مشيرة بأنها مستعدة للرحيل.

تركا الفندق بعد دقائق قليلة ومشيا بمحاذاة أحواض الأزهار الميسرا الطريق. توقعت فيونا من جيلز أن يرشدها نحو السيارة،

www.lifas.com

لكن بالمقابل وجدت نفسها تنقاد عبر فسحة واسعة نحو ستار من الاشجار المصطفة.

حلّ المساء الآن، وتكسر غطاؤه الأسود بانوار المدينة... المتلألئة بانتظام بمحازاة الخليج. تزينت بمصابيح كهربائية ملونة على طول صف أشجار صنوبر نورفولك، أغصانها الطويلة توهجت... مثل صفٍ من أشجار الميلاد.

حملقت إليها وهي تدير ظهرها للبحر، مبتهجة بالزجاج الأحمر، الأزرق، الأخضر والأصفر الذي يشع عبر الظلمات الممتدة. وبعد ذلك أرسل الهواء موجة من العطر من احواض الأزهار القريبة وكان الطبيعة أرادت أن تقدم مزيداً من البهجة.

قال جيلز بنبرة منقطعة: «النافورة تتحرك. سنراها ليضع دقائق، وبعد ذلك أعود إلى المنزل.»

«المنزل؟» نظرت أمامها مباشرة. أيأخذها إلى المنزل باكراً في هذه الليلة اللطيفة؟ لكن كانت غلطتها بالطبع.

«هذا ما تريدينه، أليس كذلك؟» سألها وهما يمشيان نحو النافورة، بين ستار من الشجيرات واحواض الأزهار.

لم تقل شيئاً، لكنها كانت تشعر بالخيبة.

باختصار، لقد أصدر أوامره، وطالما هو معني، لا شيء له أهمية أكثر. أو لقيونا. وإذا كان معتاداً على النساء اللواتي يغشى عليهن تحت قدمه في محاولة للقيام بما يدعو إليه، عليه أن يفكر مرة أخرى طالما هي معنية. أكدت لنفسها بانه لا يعني لها شيئاً، مع ذلك، لسبب غريب داست الخيبة، إلى أن قالت لنفسها بانها غبية.

كانت النافورة على بعد مسافة قليلة فقط، وبينما وقفا يراقبان

تغير أشكال الماء وألوانها شعرت بان غضبها يزداد حدة. كان جيلز منزعجاً بشكل طبيعي لأنه لم يصل إلى أي نتيجة بإصدار أوامره المتعلقة بفيكتور، لكن هل كان بحاجة ليظهر لها ببساطة بانه لم يعد مهتماً برفقتها، وبانه راغب بشدة في أن يعيدها إلى شقتها؟

ازعجها هذا الادراك وجعلها تتحرك بعيداً عن النافورة لتحملق بالبحر، الذي لم يعد قاتماً كما كان. القمر الذي كان قد اختبأ سابقاً بين الغيوم، ظهر الآن ليطرح أنواراً فضية منقطة فوق المياه، وبينما كانت تتقرس بالجسم القمري الوهاج في الأعلى، أدركت بان جيلز أيضاً تحرك للوقوف إلى جانبها.

نظر نحوها وقال: «هل أنت دائماً مشاكسة عندما تطرح عليك الاقتراحات؟»

تابعت تفرسها بالوهج الفضي وقالت: «هناك فرق ما بين الاقتراحات والأوامر. عادة أفكر بشأن الاقتراحات. أعجز دائماً على مواجهة الأوامر. إنها تغضبني.»

«هل تلمحين إلى أنني أغضبتك؟» يلوح لي بان هذه السهرة لم تكن ناجحة كلياً.» قال بنبرة بدت وكأنها اعتذار.

التفتت فيونا لتواجهه وقالت: «لماذا لا تكون صريحاً وتقر بانك لم تصل للنجاح الذي تمنيته؟»

تمتم قائلاً: «يبدو أنني استعملت اسلوباً غير لائق في فتح الحديث معك.»

«هذا محتمل.» فكرت لعدة لحظات، ثم سألت بهدوء: «هل تصدر دائماً أوامر حول أمر قبل أن تظهر ملامحة؟ في هذه الحال، لماذا لا تترك لي حرية التصرف؟»

تنهد وقال: «يظهر أن لا خيار لي غير ذلك.» ثم تحرك بضع

www.liilas.com

خطوات على طول الممر، التفت وهو ينظر إليها مجدداً. «حسناً، هل نذهب؟»

هزت رأسها، عاجزة عن الكلام بينما خيبة الأمل تسيطر عليها من جديد. إنه حقاً لكتلة من رقتها لسهرة واحدة، فكرت بألم، وبمحاولة لنفض الوهن الذي سقط مثل غيمة سوداء، نظرت إلى الأعلى، إلى الصنوبرات الملونة. «إنها ممتعة للغاية» هتفت مذهولة.

تطلّع إلى الأعلى وقال موافقاً: «نعم، مصابيح قليلة تشكل فرقاً.»

أجبرت نفسها على الضحك وقالت: «ألم تعلم؟ إنها فقط مصابيح في النهار، بينما تختلف في الليل!»

كان مسروراً وسأل: «صحيح؟ كيف هي في الليل؟»

«إن سحر القمر، حولها إلى جواهر جميلة متألقة. الوحدات الخضراء هي حقاً زمرد أخضر، بينما الحمراء ياقوت دموي، الأنوار الزرقاء عقيق داكن والوحدات الكهرمانية هي الزبرجد. والوحدات البسيطة في الحقيقة، هي الألماس.»

«في الحقيقة أخبريني، لماذا تتجه عقول سيدات كثيرات نحو المال والمجوهرات... الألماس بالتحديد؟» سأل بنبرة ملؤها السخرية.

قالت معترضة: «من أتى على ذكر المال؟ ولماذا تتذكر هوس فيكتور السابق؟»

«لم أقل بأني عنيت ذلك.» قال بسرعة.

«ذلك واضح مثل عين الشمس!» قالت بحدة وغضب. «إنها واضحة مثل وضوح انزعاجك بسبب رفضي اغلاق الباب في وجهه. الذي لا أفهمه لماذا كلفت نفسك ازعاجاً... وكلفة... من

دعوتك لي إلى العشاء. كان باستطاعتك شرح الموضوع لي في الشقة.»

«لقد نسيت أن فيكتور كان معنا ذلك الوقت.» أشار بجفاف. «وكان من الضروري أيضاً أن آخذه إلى المنزل.»

«حسناً، كان باستطاعتك العودة إليّ لاحقاً واطلاعي على الأمر حول فنجان من القهوة.» كانت نبرتها ما تزال عنيفة.

«والآن أنت تتنسين شيئاً آخر. فهمت ذلك الوقت بأنك صهباء فيكتور. أردت التعرف إليك، وإذا كان بالامكان الاطلاع على خططك التي تتعلق بابن خالتي. هل فهمت، أنا صريح جداً معك.»

«لكنك تعلم الآن بأنك كنت تنزع لحاء الشجرة غير المناسبة. كل الذي فعلته بأنك عرفت شخصاً مختلفاً تماماً. يا لها من ليلة ضائعة لك!» بدأت فيونا بالضحك.

«أشك بأن تكون ضائعة كلياً.» قال من دون أن يعطي أي دليل على أنه يشاركها المرح. «عندما يصل فيكتور إلى باب منزلك تعرفين على الأقل لما أتى ونوع المشكلة التي سوف تعالجينها. ربما تعودين إلى منزلك لتجديه فوق سريرك تماماً.» حاول اغاظتها مطلقاً ضحكة خفيفة.

«طالما لا تتخيل بأنني «عوته إلى هناك.» قالت ببرود: «بدأت أرتاب من اتجاه تفكيرك.»

«ستكون مشكلتك الأساسية ما يعتقده هو وليس ما اعتقده أنا. أشك في أنك تستطيعين عدم الاهتمام برأيي بك.» أضاف وهو يفتح باب السيارة لها.

جلست في مقعدها من دون أن تجيب وصدمت فجأة بحقيقة غريبة وهي أنها فعلاً تهتم لرأيه بها، تساءلت لماذا يجب أن يكون هنا وهما يتركان المدينة حول الميناء في اتجاه وستشور.

www.liilas.com

قررت، أن السبب، في أغلب الظن، يعود إلى قلة عدد رفاقها الذكور منذ قدومها للعيش في ضواحي نابير. وافترضت أنها بعد أن ذهب والديها أصبحت وحيدة من دون أن تدرك ذلك. لقد بقيت مشغولة طبعاً... منشغلة تقريباً أكثر من أي وقت آخر في حياتها. الخياطة أبقتها منشغلة لعدة ساعات كل يوم، بالاضافة إلى الحديقة الصغيرة خلف المنزل لتبقيها منظمة، ولتبقي المرج الصغير اخضر، ولإزالة الغبار عن مسكن والديها.

من المؤسف أن الظروف المحيطة بهذه الأمسية لم تكن مختلفة، فكرت بشعور من الخيبة. كل المقومات من أجل بضع ساعات سارة كانت هناك، تتمثل في مرافق وسيم، حسن الهندام، دعاها إلى مطعم محترم. لقد اهتم بكل تفصيل من أجل راحتها، وعلمت أن مظهرها أسعده.

لكن كل هذه المظاهر الأنيقة كانت خادعة، لأنه في مكان ما كان يوجد شعور غير ملموس من النزاع، يزعج بهدوء، ليفسد أي مظهر من مظاهر الصداقة الحقيقية. أدركت أنه لم تكن هناك سعادة في رفقة بعضهما بعضاً، ولا تستطيع تذكر أي أثر من الظرف في الحديث. مهما يكن، فدافعه الوحيد لدعوتها هو لتقديم النصيحة لها بشأن حالة فيكتور العقلية... وليصدر أوامر تخنص بابن خالته.

«أنتِ عميقة التفكير.» وجه هذه الملاحظة فيما كان يقود سيارته بمحاذاة المياه حيث ترسو مراكب العيد التجارية.

توردت وجنتا فيونا ثم أقرت: «بدأت بالتوصل إلى قرار.»

«بشأن فيكتور؟ لقد أدركت بأنه يجب أن يرسل إلى المنزل لحظة ظهوره؟ يجب أن تكون في سيارة أجرة، ذلك طبعاً لأنه غير قادر على قيادة سيارة بعد.» كان في نبرته استحساناً.

أخذت نفساً عميقاً وهي تقول: «هذا ليس ما كان يجول في رأسي بالضبط. إذا كانت نوبات فيكتور الفاقدة للذاكرة تحضر به إلى الشقة وتجعله يحظى بالسعادة لوجوده هناك وإلى أن تزول عنه هذه النوبات، سأتابع عملي بينما يكون نائماً.»

الضوء المنبعث من لوحة أجهزة القياس في السيارة أظهرت أنه يزم فمه. «قد يكون في سريرك هذه الليلة.»

«هذه ليست مشكلة، لأن باستطاعتي النوم في الطابق العلوي في مسكن والدي.» التفتت نحوه بجدية وأضافت: «أنا متأكدة من انها الطريقة الأسهل للتعامل مع الوضع.»

«لقد وعدت بانك ستتصلين بي لاطلاعي بانه موجود هناك؟» «طبعاً.»

«وستتذكرين دائماً أنه تحت علاج وأن لا تعطيه شراباً.» «إنه يحمل عادة حبوب الدواء معه.»

«أنا لست راغبة في تقديم شيء له أقوى من الشاي أو القهوة.» أكدت له عندما توقفت السيارة أمام منزلها.

خرج من السيارة وفتح لها الباب، ثم أوصلها إلى شقتها. بقي غير مبتسم، وعندما شكرته مرة ثانية على الدعوة، هز رأسه فقط. ثم عاد إلى سيارته.

إنه غاضب مني. فكرت، وهي ترافقه بينما يبتعد بسيارته.

www.liilas.com

الفصل الثالث

استيقظت فيونا باكراً في صباح اليوم التالي، وفيما استلقت مصغية إلى الهدير الخافت الصادر عن حركة المدّ على الشاطئ، ادركت أن الأمور ليست على ما كانت بالأمس. في مثل هذا الوقت من البارحة لم تكن قد التقت جيلز هاميلتون. استلقت وعيناها مغمضتان، تراجع أحداث الليلة الفائتة.

لقد انتهت الليلة الفائتة إلى اسوأ مما كان متوقعاً لها. قالت لنفسها بحدة. وكل ذلك بسبب تصرفاتها الغبية التي أشارت إلى عزمها على مغادرة المطعم. وها هي الآن في وضح النهار تتذكر بالتهما ما كادا ينهيا وجبتهما وبأنها كانت فظة تماماً. والغريب في الأمر أنه لم يتردد باخذها إلى المنزل والتخلي عنها.

ستعتذر منه إذا سنحت لها الفرصة، قررت، ولكن في هذه الأثناء ستطرد هذين الرجلين من أفكارها. قد يصل أو لا يصل فيكتور إلى بابها، لكن إلى أن يحدث هذا لن تعتبره مشكلتها. وبالنسبة لجيلز المستبد، نوت أن تبقيه بعيداً كلياً عن تفكيرها، خاصة اليوم، حيث يجب أن تعطي الأولوية لمسائلها العملية.

مع ذلك، فقد كان إبعاده عن أفكارها يتطلب جهداً فيما تذكرت قسماً من حديث الليلة الفائتة. لقد أقرت له، بأن ملابس الأطفال التي تصنعها لم تصبح معروفة عند الأمهات الشابات في هذه المنطقة، لكن هذا يعود إلى فشلها في التسويق والاعلان عنها.

ابتسمت بحزن، متذكرة كلمات والدها: «أنت لست امرأة أعمال. أنت مثل والدتك تماماً. ناعمة كثيراً وسمحة ومحبة

مثلها. في الواقع تفضلين منح الأشياء بدلاً من بيعها.»

حسناً، ربما هذا صحيح، لذلك حان الوقت للتركيز على العمل، خاصة اليوم حيث الظروف مؤاتية لعرض بضاعتها. يحدث ذلك إذا تذكرت سو وعدها في احضار ضيوفها إلى الشقة، طبعاً. هل باستطاعتها التذكر وأمور كثيرة تملأ رأسها؟ أملت فيونا ذلك، لكن كبرياءها منعتها من أن تذكر سو بالأمر. لا، كما قال الوالد، إنها ليست سيدة أعمال، اعترفت لنفسها بحزن.

وثبت خارج السرير، أخذت حماماً وتناولت فطوراً سريعاً قبل أن ترتب الشقة، ثم حولت انتباهها إلى المخزون الموجود بين يديها. وضعت محتويات الأدراج الموجودة تحت طرف النافذة، للعرض. وأدركت أنها كانت متدهشة بسرور من الكمية التي استطاعت تجهيزها للمشاهدة لكن كان ذلك من قلة البيع.

معظم ثياب الأطفال مصنوعة من أقمشة لا تتطلب الكي، لكن هناك أيضاً فساتين فضفاضة للفتيات صنعت من قماش قطني، وقمصان ملوّنة للصبيان تشبه القميصين الأبيضين اللذين صنعتهما للتوأمين المقيمين في الشقة المقابلة. هناك أيضاً سترات مشغولة بالصنارة للأيام الباردة، بالإضافة إلى سترات ترتدى فوق الفساتين الصغيرة.

بعد أن انتهت، وقفت بالباب، لترى من زوايته الانطباع الأول الذي سيتكون لدى القادمين. برغم تأثير السجادة الذهبية اللون والستائر ذات اللون الكريمي الأصفر، شعرت باستفقاد شيء ما، ثم ادركت أن السبب هو عدم وجود ازهار.

تقع الحديقة الأساسية خلف المنزل، ومن هناك جمعت الخشخاش الايسلندي بالوان قاتمة من الأحمر، الزهري، الأصفر والبرتقالي. الياسمين الأبيض وبعض أوراق السرخس والقليل

www.liilas.com

من أوراق الخنشار الرقيقة. أكملت التنسيق الذي أحدث لوناً مشرقاً فوق الحاجز المعدني الذي يفصل المطبخ عن الأجزاء الأخرى للشقة، التي كانت تعتبرها حجرة عملها ومتجرها.

جلست لتعمل على ثوب النوم، مع أنها بذلت الحد الأقصى للتركيز على عملها، شردت خواطرها تكراراً نحو جيلز هاميلتون. ما كان لون عينيه؟ بندقيتين داكنتين، شعرت بأنها متأكدة، بينما تتذكر استحسانه لمظهرها عندما دعاها للخروج. حمداً لله أنه كان لديها ثوب لائق بدلاً من أن ترتدي شيئاً لا يؤثر بأحد.

ابتعدت أفكارها عن جيلز عند منتصف ما بعد الظهيرة، وقد تناهى إلى أسماعها أصوات السيارات التي وصلت إلى البيت المجاور. يمكن سماع نزرة الكبار، فيما الأمهات يحيين بعضهن البعض، وكان هناك مصحوباً مع جرعة حادة صدرت عن أحد الأطفال الذي انتزع لعبة من آخر. لكن الهدوء خيم بسرعة وخمنت بأن الجميع انهمكوا بتناول الطعام.

هل تتذكر سو؟ تساءلت بكآبة. لا، كيف يتوقع منها ذلك وهذه الحفلة تشغل تفكيرها؟ بدأت خيبة من الأمل تجتاح فيونا وهي تعمل على القطب القليلة الأخيرة في ثوب النوم الصغير. ولكن الأصوات المقتربة تدريجياً جعلتها تحبس أنفاسها.

«ها هي هنا، تعمل كالعادة» هتفت سو وهي تتقدم إحدى عشرة امرأة إلى الشقة.

كنّ مصحوبات بصغارهن، الذين تلطخت وجوه معظمهم بفعل الطعام. مع أن سو حاولت تقديم فيونا للأمهات، لكن اهتمامهن انصب أكثر على محتويات النافذة الناتئة. شحبت الأثواب وفُحصت من داخلها وخارجها، نوقشت الأسعار، فُتحت الحقائب

اليدوية وانتزعت دفاتر الشيكات. طفلة ذات شعر أجعد أحمر ألبست فستاناً قطنياً أخضر اللون، فضفاضاً، فور شرائه.

وفي خلال دقائق تمّ كل شيء. تفرقت الأمهات وأفرغت زاوية العرض. لقد اشترينّ كل شيء وضعته فيونا للعرض، حتى الأثواب الصغيرة التي أنجزتها مؤخراً. ولم يهملن ترك طلبات لأثواب مطرزة بألوان وقياسات مختلفة، وقمصان مثل التي صنعتها للتوأمين.

أصابها منظر الشيكات بالدوار، وأدركت أنها ستذهب غداً إلى المدينة، ليس فقط لتودعها المصرف، ولكن لتشتري أيضاً القمشة جديدة. لكن عليها أولاً أن تذهب إلى البيت المجاور وتشكر سو، التي لولاها لما حدثت هذه الأعجوبة.

أشرقت في اليوم التالي شمس تشرين الأول الدافئ بدفء، بينما انطلقت فيونا بسيارتها الصغيرة الصفراء إلى المدينة. شعرت بالابتهاج، والبدلة ذات اللونين البرتقالي والأبيض التي ارتدتها كانت تبرز البريق الأحمر في شعرها الكستنائي. وجدت موقفاً للسيارة تحت أشجار الصنوبر في المتنزه، مشت نحو مصرف نيوزيلاندة حيث أودعت الشيكات، تسوقت بعد ذلك بما يلزمها من أقمشة وأغراض.

ما أن انتهت حتى تجاوز الوقت فترة الظهيرة، فحولت خطواتها نحو مطعمها المفضل، مايبلز. وكما توقعت، كان المطعم مزدحماً عند فترة وجبة الغداء، وكانت على وشك أن تعود أدراجها عندما لاحظت فيكتور يجلس إلى إحدى الموائد. تألق النور فوقه على شعر رفيقته الأحمر التي كانت تثرثر بمرح.

www.liilas.com

تراجعت فيونا بسرعة، وهي تشق طريقها إلى مطعم أكبر معروف بستيروايز غاليري لأنه يعرض لوحات وقطعاً جيدة من الخزف. ذهبت إلى منصة الطعام وكانت تقرر ماذا تتناول عندما سمعت صوت رجل يتكلم بالقرب من أذنها. استدارت لتواجه جيلز، وجعلت مشاهدته وجنتيها تتوردان ونبضات قلبها تتسارع.

نظر إلى الطعام في طبقها. «هل باستطاعتي أن اقترح النقانق؟» ومن دون أن ينتظر جواباً استخدم الملقط لوضع احدها في طبقها. «والآن شاي أم قهوة؟»

«شاي، شكراً لك.» قالت وهي تشعر بالوهن متعجبة من نفسها لأنها لم تقل له إنها قادرة على القيام بهذه المسائل بنفسها.

دفع ثمن وجبتها، ثم أشار لها إلى المائدة التي كان يشغلها قبل وصولها. وعندما جلسا قال: «كنت منذ برهة في منزلك... في الواقع أبحث عن فيكتور، لكني لم أجد أحداً هناك.»

«باستطاعتك أن ترى أين أنا.» ابتسمت وأضافت: «أنا هنا، على وجه التحديد.»

«نعم، أستطيع بالتأكيد أن أرى أين أنت لكني أود معرفة مكان وجود فيكتور.»

هل يجب عليها أن تخبره؟ تساءلت. في هذه اللحظة كان فيكتور يتناول الطعام بسعادة مع فتاته الصهباء لما عليها أن تفسد الأمر عليه؟

تابع جيلز: «آغنز غرين، مديرة المنزل اتصلت بي في المكتب. وقالت إن فيكتور طلب سيارة أجرة وخرج من دون أن يقول كلمة واحدة. لم يعد لتناول وجبة الغداء، وشعرت بالقلق نحوه.»

جعلها الفضول تسأل: «ما الذي جعلك تذهب إلى وستشور بدلاً من الذهاب إلى حيثما تقيم الصهباء؟»

«لأني اعرف عنوان شقتك، وليس لدي فكرة عن مكان سكناها. عندما سألت فيكتور عن عنوانها، توترت اعصابه وأجاب، أن يعرف فهذا شأنه. أما شأني فهو اكتشاف المكان.»

«يبدو وكأنه بدأ يمل من مرافقتك له.»

«لأكون صريحاً، اعتقدت انني اعتني به فحسب.» قال بحزن وأضاف: «ومن الواضح أنه لا يُقدر ذلك.»

قالت فيونا بسرعة في محاولة لتغيير دفة الحديث: «جيلز، أدين لك باعتذار عن تصرفي بالأمس.»

رفع حاجبيه وسأل: «حقاً؟ من أجل ماذا تعتذرين، هل أستطيع السؤال؟»

«من أجل... من أجل إنهاء سهرتنا بصورة مفاجئة. لا بد وأنك ظننت بانني كنت فظة. أنا... أنا آسفة لذلك.»

عبس وكأنه يحاول تذكر ما حدث، ثم هز كتفيه قليلاً وهو يقول: «آه، نعم. أذكر أنك نهضت بصورة درامية توحي إلى برامدال الستارة. اعتبرتها تلميحاً بان لا أزعجك مرة أخرى. على أي حال، هذا لا يهم، لأنه سبق وبلغتك بالرسالة التي تتعلق بآمالي واهتمامي بفيكتور.» أضاف وكان هذا ما يهمه فقط.

قالت وهي تشعر بالغيظ: «لا أتذكر تماماً ما هو المتوقع مني بالتحديد.»

انحنى جيلز إلى الأمام، وفمه مشدود. «إذاً دعيني أتلفظ بها مرة أخرى. إذا جاء إلى الشقة يجب أن تعلميني في الحال، أو إذا شاهدته يتجول دون قيد يجب أن تتصلي بي. لقد أعطيتك البطاقة التي تضم أرقام هاتفي وعناويني.»

www.liilas.com

«نعم.» نبرته جعلتها تشعر بأنها تريد أن تصفعه. بعد ذلك، نظرت إلى طبقها وتساءلت ببراءة: «قد يتناول طعام الغداء في مطعم مايبلز ويتجوّل هنا وهناك دون قيد؟»

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها. «أعتقد ذلك... إلا إذا كان مع شخص يستطيع تفهم مشكلته.»

قالت فيونا: «في هذه الحالة، أظن أن فتاته الصهباء ستعتني به. وتطمئن إلى عودته إلى المنزل.» أضافت عندما طرأت الفكرة عليها.

عبس جيلز. «ماذا تقولين بالضبط؟ هل رأيته عند مايبلز؟»

هزت رأسها. «ذهبت إلى مايبلز قبل مجيئي إلى هنا. أجبرت على الخروج بسبب ازدحام المكان، لكنني لمحته وصديقته يجلسان إلى إحدى الموائد.»

«وتخبرينني الآن؟» قال موبخاً بصوت يحمل شهيقاً. «لماذا لم تخبريني في الدقيقة التي التقينا بها عند الصندوق؟»

«لأني لم أتخيل ما قد تستطيع فعله. هل كنت ستسرع إلى هناك وتثير عاصفة في المطعم؟»

«هذا صحيح. كنت سأقفز فوق الموائد صارخاً: أنا صائن ابن خالتي!»

«حسناً، هذا معقول.» وقهقهت وهي تتخيله يقوم بهذا العمل. «يا لها من فكرة ساحرة تكونينها عني!» أجاب بحدة.

مدت فيونا يدها عبر المائدة ووضعتها فوق ذراعه. «أرجوك، يا جيلز، لا تغضب لأنهما تناولا طعام الغداء معاً. ما الضرر من ذلك؟ اضف إلى ذلك أن فيكتور بدا سعيداً. كان مبتسماً، وأشك بوجود ما أسعده خلال الأشهر القليلة الماضية.»

«أعتقد أنك على حق.» وافق مكتئباً وأردف: «على أي حال،

أتمنى لو باستطاعتي الاتكال على توازنه العقلي.» توقف، ثم سأل بحدة: «كيف كانت تبدو، تلك الفتاة الصهباء؟ جميلة تخطف البصر على ما أعتقد. مثلثة بالمساحيق وشعرها أجعد كثيفاً وغير منتظم؟»

«إذاً اعتقادك خاطئ.» تدفق سخط فيونا وهي تدافع عن إحدى بنات جنسها. «كانت ترتدي بدلة زرقاء بسيطة لكن أنيقة. شعرها مستقيم، عقد بشريطة. طبعاً، كانت لمحة خاطفة، واعتقد أنها فتاة محترمة جداً.»

«قد تكون النظرات مضللة.» تذمّر في صوت خافت.

تكلمت فيونا باستنكار: «اصغ إليّ الآن، يا جيلز هاميلتون! أنت تميل كثيراً للقفز إلى الاستنتاج. لا تعرف شيئاً عن هذه المرأة، لماذا لا نبوئها ونحن نفتقد الأدلة الكافية لإدانتها؟»

«أعرف ما قاله لي فيكتور.» قال وفمه في شبه خط عنيد.

«الآن قل لي هذا... إذا كنت لا تستطيع الوثوق بأفعاله، كيف تستطيع الوثوق بكلامه؟»

بدا مرتبكاً. «افترضت... آيه... لأكون صادقاً، لم أفكر أبداً بهذا.»

«لقد ضحت.» قالت بنبرة فوقية هادئة وأضافت: «هل فهمت ما قصدته حول القفز إلى الاستنتاج؟ وبالنسبة لكونك لم تفكر بهذا... الذي أعرفه أن المحامين يفكرون بكل شيء.»

طبس في جميع الحالات.» أقرّ. «بالإضافة، نحن بشر فقط.» ابتسم بكآبة وهو يضيف: «والله يعلم بأن لدي عملاً كافياً يشغلني عن التفكير به.»

قالت له: «لكنك لا تفعل هذا. تملأك الهواجس عنه. لماذا لا تجد تسليات أخرى لك؟ لا بد وأن هناك العديد من الفتيات الراغبات

www.liilas.com

في الخروج معك. بالتأكيد هنالك واحدة... خاصة؟» نظرت إلى طبقها وهي تتكلم، آملة أن لا تكون قد بدت فضولية.

«هنالك واحدة باستطاعتها أن تمنحني مساعدة صغيرة... هذا إذا حدث وكانت راغبة، طبعاً.» جاءت كلماته اتفاقاً.

لكنها توانرت في أذنيها. إذاً لديه واحدة في ذهنه. ستكون غبية لو تصورت خلاف ذلك. أجبرت نفسها على الابتسام، وقالت بطريقة مرتجلة: «في هذه الحال، لماذا لا تتصل بها؟»

«لا حاجة لذلك. إنها معي في هذا المكان وهذه اللحظة.»

اتسعت عيناها. «أنت تشير إليّ؟» حاولت جهدها لتبقي صوتها عادياً.

انحنى إلى الأمام وتكلم بجدية: «لنتناول العشاء مرة أخرى... هذه الليلة.»

أخرت جوابها وهي تفكر ملياً بالسؤال. هل كان جيلز هاميلتون يطلب منها بالفعل الخروج... مرة أخرى؟

«حسناً؟» سأل بنفاد صبر.

نظرت إليه بعينين تملأهما الشكوك وقالت: «لست متأكدة بأنه ينبغي علينا تكرار الليلة السابقة. لم ننسجم مع بعضنا البعض، ويعود ذلك إلى عاتقك...» التزمت الصمت وهي تحاول كتم كلماتها.

تجهم وجهه واكمل: «عاتقي في القفز إلى الاستنتاج؟ هل عليك مواصلة ذكر شيء غير مستحب؟ ألا تجدين أن تلك الليلة كانت مختلفة؟ لم أكن أعلم وضعك. لن تكون هذه الليلة مثل ليلة أمس. سنذهب إلى مطعم غريت وول... هل يعجبك الطعام الصيني؟»

«كثيراً.» أجبرت على الاقرار.

«عظيم. سأمر عليك عند السابعة.» قال بطريقة تعلن اقفال الموضوع وتسوية الأمر.

«إنك تقفز إلى الاستنتاج مرة أخرى.» ذكرته بهدوء: «لم أقل بعد بأنني سأذهب.»

تكلم بشجاعة: «لديك ساعات عدة للتفكير بالموضوع سأتصل في الساعة السابعة، إما تكونين جاهزة للخروج إلى العشاء، أو تكونين جالسة تخيطين مثل آنسة صغيرة متزمتة.»

«استنتاج آخر.» ضحكت. «أرى بأني كنت مخطئة. كنت متأكدة من أن كل المحامين يركزون نوعاً ما على الحقائق، لا على مخيلاتهم.»

«هذا ليس خيالاً. إنه الانطباع الذي كونته عنك عندما رأيتك للمرة الأولى. شعر كستنائي انحنى فوق قطعة قماش صغيرة.»

«وهذا ما يجعلني آنسة صغيرة متزمتة؟ يا إلهي، يبدو أن رأيك بي قد تغير.» علقت، عاجزة عن مقاومة تذكيره بتصرفاته عندما أتى إلى شقتها.

نظر إليها بتأمل وقال: «أنت تدهشينني. لم أدرك بأنك ممن يحملون ضغينة.»

حملت كلماته لسعة، جعلتها تندم على تعليقها السابق، خاصة وأنها ليست من اللواتي يتنامى الحقد عندهن وهي لا تريد استغلال هذا الأمر كلياً، قالت: «في هذه الحالة سأحاول النسيان!»

«عظيم. افعلي هذا.» بدت نبرة صوته تشير بأنه غير مبالٍ إن نسيت الحادثة أو تعلقت بها وثارت غضباً. رمق ساعته وكأنه يشير إلى عدم أهمية الأمر وقال: «يجب أن أذهب... لدي موعد بعد نصف ساعة. سأرافقك إلى سيارتك... هذا، إذا كنت مستعدة

www.liilas.com

للعودة إلى المنزل، طبعاً. لن أجرؤ على القفز نحو الاستنتاج بأن الحالة هي كذلك. افترض بأن لديك سيارة؟»

«أنت محق هذه المرة في كلا الاعتبارين،» قالت فيونا، وهي تلتقط حقيبة يدها. «هذه الآنسة المتزمتة بحاجة للذهاب إلى منزلها لتبدأ العمل. لديها الكثير من الطلبات ولا تعرف من أين تبدأ.»

أدركت وهما يهبطان السلالم بأنها قللت تفحص حتى لوحة واحدة من الرسوم المعلقة على الجدار، بينما نسيت كلياً الخزف والسيراميك الملوّن. عندما تزور ستيروايز غاليري تسترعي هذه الأشياء انتباهها، في العادة، لكنها اليوم كانت على غير عادتها. لقد كانت مع جيلز، وقطع هذا كل أفكارها الأخرى.

عندما مشيا على طول شارع إيرسون نحو المنتزه لاحظت بأنه أخذ ذراعها وهما يعبران الشوارع التي تفرعت منه. أدركت، أنه كان منتبهاً، وشعرت بارتياح دافيء، ولاحظت أيضاً أن معظم الناس الذين يمرون برفيق، وجعلها تدرك بأنه من السهل السير مع أحد الأشخاص وأفضل من أن تكون بمفردها كانا يحملان كثيراً من الأمتعة وهي القائمة حديثاً إلى ضاحية لا تدعى الوحدة تسبب حكماً خاطئاً، فكرت محذرة نفسها.

عندما وصلا إلى سيارتها الصغيرة الصفراء أخذ جيلز المفتاح منها، فتح الباب ورآها تستقر خلف المقود وقال: «سأراك في الساعة السابعة.» قال بنبرة حاسمة.

«بشرط واحد فقط.» صوبت إليه نظرة من خلال النافذة.

ارتفع حاجباه الداكنان وهو يتشدق: «آه؟ وما قد يكون هذا الشرط، هل أستطيع السؤال؟»

«يجب أن لا تذكر فيكتور هذه الليلة. عليه أن يكون بعيداً عن بالك. هل هذا وعد؟»

«حسناً، إنه وعد. وها أنا أرسم إشارة فوق قلبي وأتمنى الموت.»

«عظيم. والآن أسرع بعبور المنتزه فيما هو خالٍ، أو سوف تموت.» حذرته، وهي تراقب السير.

«هل هذا يعني بأنك لا ترغبين بدعوتي متابعة تحت ملاحظة محملة كانت في طريقها نحو المرفأ؟» سأل بلهجة مرحة.

طبعاً، قبل أن أراك تكافح مع عيدان الخشب التي يتناول الصينيون بها طعامهم في غرين وول.» ابتسمت ابتسامة عريضة... ثم أضافت: «سأراك عند الساعة السابعة.»

تكلمت بهدوء من ورائه وهو يخطو مبتعداً: «أنت رجل عنيد، يا جيلز هاميلتون. الواقع أنه عندما تستقر فكرة في رأسك، يصبح من الصعب تبديلها.» شقت طريقها حول بلاف هيل التي شيدت مثل علامة حدود عند خط الشاطىء على خليج هوك. ما كانت تلاحظ السفن في المرفأ، ومع وصولها إلى وستشور أصبحت متوترة بما فيه الكفاية، حتى من دون أن تتأمل في ما قد تجلبه الليلة.

تركت السيارة على الممر خارج شقتها بينما نقلت وزنها إلى رف النافذة الخالي، ومع الانتهاء من ترتيب مشترواتها داخل الأدراج، وصلت بتأملاتها إلى افتراض واقعي. ستكون ليلة سارة ومن دون أية إشارة غير مرئية، أكدت لنفسها. ولا حاجة لها لتتوقع أي شيء بمعنى الرومانسية. هذا سيكون حتماً بعيد المنال.

ذكرت نفسها بأن الانطباعات الأولى هي التي تبقى عادة في ذهن المرء، وأن انطباعات جيلز الأولى نحوها لم تكن أفضل ما تمنته. ربما ما زالت تكمن في عقله الباطن. كانت الفكرة كافية

www.liilas.com

لتهدئتها وهي توقف سيارتها إلى جانب سيارة والدها الرمادية من نوع نيسان باوبيرد والتي كان من المفترض أن تستعملها أحياناً من أجل ترويض المحرك.

خلال الوقت المتبقي من فترة ما بعد الظهر، حاولت السيطرة على شرود افكارها كي تستطيع تفصيل أربع بدلات صيفية من دون أكمام للفتيات الصغيرات من أقمشة بألوان مشرقة من الأصفر، الزهري الداكن، البرتقالي والأخضر. بعد ذلك اعتنت بشعرها، ثم فتحت خزانة الملابس وتفحصت ملياً ما ستختار ارتداءه.

اكتأبت عندما تبينت أن مجموعة ملابسها ليست كبيرة ولا ترغب في ارتداء ثوب قماش الشيفون المشمشي مرتين متتاليتين. اختيارها التالي وقع على الثوب الأخضر ذي الكمين الطويلين. ياقته على الطراز الصيني. لم يكن في مرتبة الثوب الأحمر الذي ابتاعته من متجر علق عليها تزينة من الأثواب المتشابهة بألوان مختلفة، لكنه لامع شكلها النحيف والياقة الصينية ستكون ملائمة.

عندما وصل جيلز رمقها باستحسان، لكن وجهه غير المبتسم جعلها تشك بأن الأمور ليست على ما يرام. فيكتور، فكرت، لكنها لم تعلق ثم استرعى انتباهه رف النافذة الخالي.

«أين اختفت كل ملابس الأطفال؟» سأل.

«بيعت.» قالت بعدم اكتراث. «حتى إلى آخر قطعة في الأدراج.» أخبرته عن حفلة عيد ميلاد التوأمين وعن لطف جارتها في احضار الأمهات إلى الشقة.

عبر لها عن ارتياحه وقال: «حسناً، هذا سيبقي الذئب بعيداً عن بابك ليوم أو اثنين.»

تركت الملاحظة مشاعرها متوترة بشكل غامض مما دفعها إلى القول وقد اثيرت كبرياؤها: «الذئب لا يشم على عتبة بابي... على الأقل، ليس بعد، يا جيلز.»

التقت نحوها، وتعابير الجدية تعلو وجهه وقال: «يجب أن لا تخجلي من الكفاح كي تصلي إلى ما يؤمن لك العيش الكريم، يا فيونا. لقد سبق وقلت لي ما يكفي لأستطيع قراءة ما بين السطور.»

صبغ خديها تورد محرج. «السطور؟ عمّ تتكلم؟» ارتفع ذقنها قليلاً.

«أتكلم عن الواقع الذي يجبرك على الخياطة ليل نهار لتؤمني لنفسك المتطلبات الضرورية في الحياة.» صارحها بقسوة.

نظرت إليه معقودة اللسان. ففيما هي ترغب بشدة أن تتكبر، كانت تلومه في أن على ظهوره في الاستنتاج بأنها في ضيق اليم.

تابع بأسلوب رقيق: «هل أخذت بعين الاعتبار بأنك ستكونين أفضل لو عملت لمتجر ما براتب منتظم؟ لا أعتقد أن ذلك قد يمنعك عن العمل الحر، لكنها قد تزيل القلق من الاضطرار لانتظار الزبائن.»

علمت بطريقة غامضة بأن ملاحظاته ناجمة عن اهتمام بمصالحها، لذلك كظمت غضبها المضطرم وهي تتجاهل اقتراحه بقولها: «يبدو أنك في مزاج كئيب، يا جيلز. هل من خطب؟»

«وهل أنت بحاجة للسؤال؟» رد بسرعة موجزة.

تردّدت، ثم قالت: «أفهم أننا اتفقنا على عدم الخوض في هذا الموضوع. لكن هل السبب فيكتور؟»

ضاق فكه، ثم قال: «طبعاً إنه فيكتور. لم يعد إلى المنزل إلى الآن. لا أعرف عن مكانه شيئاً.»

www.liilas.com

تكلمت فيونا بحدة: «ستتوقف في الحال عن الاستمرار في القلق نحوه! لقد وعدت». ورسمت إشارة فوق قلبك وتمنيت الموت، تذكر؟»

«كيف أستطيع التوقف عن القلق بشأنه؟» قال بحدة. «أنتِ لا تعرفين فيكتور. إنه ماهر في جذب النساء إلى أحضانه. إنه والصهباء في هذا الوقت يندسان تحت الأغطية، على الرغم من الرجل المقيم في الطابق العلوي.»

«مزيداً من الاستنتاجات؟» سألت فيونا بعذوبة.

«نعم، أنت على حق.» أقر بألم. «هيا نذهب ونستمتع بوقتنا في غريت وول.»

ساعدها على الصعود إلى سيارته، ولم يتكلما إلا قليلاً وهما يقطعان مسافة الميلين ونصف حول الشاطئ، إلى المدينة. عبر مرة ثانية على موقف تحت صنوبر نورفولك القريبة، وقطعا المتنزه إلى غريت وول، الذي يقع تحت قبة ساعة البرج في زاوية مبنى.

عرض عليهما الاختيار ما بين قاعة يسمح فيها بالتدخين وقاعة أخرى لغير المدخنين ثم اقتيدا إلى قاعة غير المدخنين. توقف جيلز لبرهة وهو يقبض على ذراع فيونا. «حسناً، ساكون ملعوناً... هلا نظرت إلى الجانب الآخر!» تمتم في أذنها.

لقد سبق وشاهدت فيكتور ورفيقته، وهو، من الواضح أنه شاهدهما لأنه نهض واتجه نحوهما بابتسامة مشرقة تعلو وجهه.

«جيلز!» هتف بنبرة عبرت عن فرح صادق. «من المبهج رؤيتك هنا!» ثم بقي واقفاً ينتظر أن يتقدم إلى فيونا، والابتسامة ما زالت مرتسمة فوق وجهه.

تكلمت بسرعة: «لقد سبق وتعارفنا... ألا تذكر؟ أنا فيونا ماك كي. إنني أقيم في شقتك القديمة.»

«هل أنت فعلاً؟» حملق فيكتور بها مندهشاً، ثم التفت نحو جيلز وقال: «تعال إلى مائدتنا. أود أن تتعرف إلى كارين.» ثم تكلم إلى النادل الذي كان يتقدمهما: «هل هذا ملائم؟»

هزّ الرجل رأسه وقال: «نعم، يا سيدي... طبعاً، يا سيدي.»

«يجب أن يكون هذا ممتعاً.» تمتم جيلز بنبرة خافتة وهما يتبعان فيكتور إلى مائدة تقع عند زاوية كانت معدة في الواقع لأربعة أشخاص. «أمل أن لا تمانعي بمجرى الأحداث.»

ما كادت فيونا تسمعه وقد امتلأ عقلها بالخوف وهما يقتربان من المائدة. وبينما اقتربا من المائدة أصبحت مخاوفها حقيقية. وهي تدرك أن المرأة الجالسة إليها تلعس ثوباً أخضر مطابقاً لثوبها. مع ذلك، لا جدوى لها في أن تسمح لذلك في إفساد هذه السهرة، مهما تشعر هذه المرأة الأخرى، لذلك ابتسمت وقالت بأسلوب ودود: «مرحباً... أنا فيونا ماك كي. سيعتقدون اننا توأمين! من المدهش أننا لم نلتق في وقت حسومات مخازن بارنيت.» أضافت، وهي تشير إلى أحد المخازن الكبرى في المدينة.

ضحكت كارين. «هل تصدقين بأنني اشتريت ثوباً أسود أيضاً؟ كانت أسعارها مغرية ولم أستطع مقاومة الشراء.» كان صوتها بارداً على الرغم من الضحك.

قال فيكتور: «كارين، هذا ابن خالتي، جيلز هاميلتون. جيلز هذه الآنسة كارين نيلسون.»

ابتسمت كارين لجيلز. «حدثني عنك فيكتور. أفهم بأنه يقيم معك إلى أن يستطيع العودة إلى شقته.»

شعرت فيونا وهي ترافبهما بأن جيلز يفتقر للكلمات

www.liilas.com

مؤقتاً إلى أن سأل بصوت هادئ: «هل هذا ما قاله لك؟»

«نعم. في الوقت الحاضر هنالك امرأة تعيش فيها، لكنه ينوي القيام بجهد لاخراجها من الشقة. عندما يستطيع الانتقال إليها ويشعر بأنه في منزله من جديد. أتمنى له النجاح.»

كلمها جيلز بحزم وقال: «من الأفضل أن تفهمي بأن له أملاً طفيفاً أو لا أمل على الاطلاق في القيام بهذا، يا كارين. حدث وأن فيونا هي المرأة التي تقيم في هذه الشقة. بالفعل، هي تملك هذا القسم من المنزل، بينما والداها يملكان البقية منه.»

نظرت كارين بتساؤل نحو فيكتور وسألت: «هل هذا صحيح، يا عزيزي؟ لم تخبرني.» ثم حملقت بفيونا ببرودة.

لكن انتباه فيكتور كان مركزاً على فيونا. «أنت فتاة جميلة.» قال بصوت خافت. «لقد أعجبتني كثيراً.»

شعرت بالحرج الشديد، حاولت الحفاظ على هدوئها وقالت: «أرجو أن تتذكر بأنك أتيت مع كارين، يا فيكتور، ولست أنت مع جيلز.»

«هل أنت عازمة على الزواج منه؟» سأل فيكتور.

شعرت فيونا بوجنتيها تتلونان بلون قرمزي. وردت بحدة: «طبعاً لا!»

وعدها فيكتور: «حسناً، سأزورك دائماً.»

«أفضل أن لا تفعل.» ردت فيونا بجدية، ثم التفتت لترمق كارين مناشدة. «ألا تستطيعين الحفاظ عليه منتظماً؟ إنه لا يعني شيئاً من هذه الأقوال السخيفة.»

«إذا كنت تقيمين في الشقة التي يتحدث عنها فمن المحتمل أنه يعني.» قالت كارين ببرودة، ولمع بريق جليدي في عينيها الزرقاوين.

وصول طعام فيكتور وكارين في هذه اللحظة منع متابعة النقاش إلى حدود أبعد، لكن حالما تركت النادلة المكان شارك جيلز بالموقف وتكلم في صوت خافت إلى كارين وسألها بشكل طبيعي: «أعتقد بأن فيكتور أخبرك عن حادثته؟»

هزّت رأسها. «نعم، طبعاً، أعرف كل شيء عنها.»

«إذا ما مدى معرفتك بفقدان الذاكرة؟» تابع جيلز.

هزت كارين كتفيها غير مبالية وقالت: «أعتقد أني أعرف عنها بقدر ما تعرفه الممرضة العادية... ربما أكثر بعض الشيء.»

خانت جيلز الدهشة. «أنت ممرضة؟»

قاطع فيكتور، بنبرة حادة من الغضب وقال: «طبعاً إنها ممرضة. لماذا تتكلم عني وكأنني غير موجود؟ أستطيع القول بأنك مرح لعين!»

قام جيلز بمحاولة لملاطفته. «إهدأ، يا عزيزي الشاب... إنني أحاول فقط معرفة إذا كانت كارين تعرف أو لا تعرف شيئاً عن نوبات النسيان.» ابتسم لابن خالته. «تكلم إلى فيونا بينما تخبرني كارين بكل شيء عنها.»

لم تكن فيونا مسرورة. فهي لا ترغب في أن تكون مركز اهتمام فيكتور، لكنها فهمت أن هذه فرصة جيلز في الكشف عن بعض التفاصيل حول المرأة التي سبق وعرفت بفتاة فيكتور السمراء.

بالفعل كان شعر كارين ذا ظلال جميلة بدت وكأنها التقطت أضواءً من ذهب ستائر غريت وول المعلقة. مع ذلك، ظهر فيكتور ميلاً شديداً في الاصغاء إلى استجواب جيلز المعقول، لذلك لزم اللسان الصمت.

www.liilas.com

«أنت تعملين في المستشفى؟» سأل جيلز بأدب.

«لا. أنا أقوم بتمريض خاص.» أجابت كارين.

«آه، لسيد كهل؟» جاء السؤال باهتمام.

«لا، إنها شقيقته التي بحاجة إلى مساعدة... وعلى ذكر هذا الأمر لا أحد منهما عجوز. على الأقل، هما في الخمسينيات من عمرهما.»

«إذاً إنه إلى حد ما نشيط، إيه؟ الحياة ما زالت تنبض في هذا الرجل، إذا ما فهمت ما أقصد.» افترض جيلز.

نظرت كارين إليه بثبات لدقائق عديدة، بعدها نظرت إلى الأسفل نحو طبقها، وابتسامة خفية واهنة ترتسم فوق شفتيها. «أظن أن بامتطاعتك قول هذا.» أقرت أخيراً.

قررت فيونا وهي تراقبها، بأن كارين تكبرها أكثر مما افترضت أولاً. كانت هناك خطوط دقيقة حول العينين الزرقاوين، ويبدو من هذه الخطوط أنها تضع الصهباء في أوائل الثلاثينيات من عمرها. كما لديها طبع هادئ، أوحى بأنها عانت من احباطات في الحياة. وقطع فيكتور حبل أفكارها.

انحنى إلى الأمام وتكلم إلى جيلز بسرية: «الجماعة الذين تعمل كارين لديهم يقيمون في المبنى ذي الدورين في الطرف الجنوبي للمتنزه. شقتهم في الأعلى، بينما تقيم كارين في الطابق الأرضي. ألم أخبرك؟»

نظر جيلز إليه بابتسامة مشمئزة وأجابه: «لم تخبرني عن موقع المنزل. لقد منعت عني ذلك كي أبدو غبياً أمام فيونا.»

التقطت فيونا نظرته وأخمدت ابتسامة وهي تتذكر حيرة جيلز حول الوضع. لقد حدثت بسهولة، أدركت، باعتبار أنها وكارين تعيشان في شقق تقع في الطابق الأرضي من المباني.

تذمر فيكتور بصوت متهم: «ربما لم تصغ إلى ما قلته. أو ربما نسيت.»

تجاهل جيلز ملاحظته وعاد باهتمامه نحو كارين: «هذه السيدة... مريضة جداً، قلت هذا؟»

ابتسمت كارين. «لم أقل هذا. قلت إنها بحاجة إلى مساعدتي. على أي حال، أنا لا أناقش الأمراض المزمنة التي يعاني منها المرضى مع الغرباء. آسفة بشأن ذلك، لكنني متأكدة من أنك ستدرك أن ذلك غير أخلاقي.»

قال جيلز بلطف: «طبعاً، أفهم جيداً.»

قاطع فيكتور، وصوته ما زال متذمراً: «أعرف بأن ذاكرتي ليست جيدة مئة بالمئة، لكنها تتحسن.»

«طبعاً هي كذلك.» هداه جيلز. «ولكن إلى أن تتحسن بشكل تام، لا نريد أن تراك تقوم بأي عمل غبي.»

«غبي؟ مثل ماذا؟» سألت كارين وقد اتسعت عيناها قليلاً بينما لمحت نبرة صوتها بالتحدي.

«مثل الزواج قبل أن ينضبط عقله كلياً.» أعلن جيلز بصراحة.

«لن أستطيع الموافقة أكثر.» قالت له كارين باخلاص. «اكتسبت معرفة أكثر بفيكتور خلال الأشهر القليلة المنصرمة، وأصبحت مولعة به. لكن صدقني، إننا فقط صديقان مقربان.» ربتت على ذراع الرجل الأكبر بتعاطف: «أليس كذلك، يا عزيزي؟»

التفت فيكتور، الذي كان يدرس وجه فيونا متعمداً لينظر نحو كارين. «ماذا قلت؟ آسف، لم أكن مصغياً.»

«لقد كنت أقول لجيلز إننا فقط صديقان مقربان.» شرحت كارين بصبر.

«نعم، أعتقد ذلك.» افتقدت نبرة فيكتور الاهتمام.

www.liilas.com

«أنت تفهم بأن لدي صديقي العزيز جداً المقيم في الطابق العلوي؟» واصلت كارين بعناد.

هزّ فيكتور رأسه عرضاً وهزّ كتفيه قليلاً. «نعم، لقد أخبرتني عنه وعن شقيقته... أو زوجته، أو أي شيء.»

«شقيقته. افهمها جيداً، يا عزيزي.» قالت مؤكدة.

لكن فيكتور وضع الموضوع جانباً بينما تابع تفرسه في وجه فيونا. الأمر الذي جعل خديها يصبحان قرمزيين ببطء وهذا مما زاد من اهتمامه أكثر، ولم يبد أنه كان مدركاً لمراقبة جيلز من خلال جفنيه الضيقين. ولا حتى العبوس المرتسم فوق وجه ابن خالته الوسيم المنذر بأن يكف عن التحديق في وجه فيونا.

بالنسبة لكارين... تساءلت إذا ما كان هنالك عوام كامن تحت سطح هدوئها المتزن.

الفصل الرابع

تجاهلت فيونا الغضب الذي ارتسم فوق وجه جيلز. كيف يجرؤ على الامتعاض لأن فيكتور منحها قليلاً من الاهتمام؟ لا يحق له أن يستحوذ عليها، ولا بأي شكل، سوف تعلمه كيف يلتزم حدوده. قالت وهي مبتسمة لفيكتور: «هل أستطيع أن أسكب لك فنجاناً آخر من القهوة؟»

«شكراً، أود ذلك.» رد فيكتور بهدوء.

تفاضت كارين عن السبب الجوهري لعبوس جيلز المستمر الذي عمّ حاجبيه، وقالت وهي تكلمه بهدية: «في الحقيقة يجب ألاّ تقلق عليه كثيراً، إنه يتحسن بسرعة. أراه فارقاً به كل أسبوع.»

«كيف أمتنع عن القلق بشأنه؟» تمتم جيلز بصوت خافت.

«إنه يعلم بأن لديه اسقاطات في الذاكرة.» تابعت كارين، ثم التفتت إلى الرجل الأكبر لتحوذ على انتباهه. «ألا تعلم، يا فيكتور؟»

لكن فيكتور بدا وكأنه لا يستطيع تحويل انتباهه عن فيونا.

«فيكتور، أنت تعلم بأن لديك اسقاطات في الذاكرة؟» استمرت كارين بنبرة لطيفة.

ضحك ضحكة خافتة. «طبعاً أعلم. وأعلم أيضاً بأنها تدفع جيلز إلى حافة الجنون.» اعترف بمرح.

«بالتأكيد تفعل، أيها الرجل العجوز.» أقرّ جيلز بكآبة.

ابتسم فيكتور له وقال: «إذاً احذر، لعلي أصاب بالكثير منها

www.liilas.com

في المستقبل... مثل إيجاد طريقي إلى الشقة التي هي منزلي.»

التفت ليتابع التقرس في فيونا، ثم قال لها: «هل لاحظت أنك وكارين ترتديان ثوبين متشابهين تماماً؟»

ضحكت فيونا. «هل لاحظت؟ كيف أستطيع أن أتغافل عن ذلك؟ آه، نعم، كارين وأنا لاحظنا.»

«إذاً أخبريني كيف حدث وحصلتما على ثوبين مماثلين؟» تساءل فيكتور. «كرجل أنا مرتبك.»

«لأن المخازن الكبرى تبيع بزينة من الصنف نفسه.» شرحت فيونا. «ولأننا فتاتان فقيرتان تضطران للذهاب أيام الحسومات.» أضافت بمزاح. «أليس كذلك يا كارين؟»

«صحيح تماماً.» أجابت كارين، هزت رأسها بشكل كثيب. «الأسعار في المتاجر الأنيقة مرتفعة جداً.»

أخذ فيكتور المسألة بجدية. «هل هذا صحيح؟» قال وهو يأخذ يد فيونا إلى يده. «إذاً لا تلقي، أيتها الفتاة الصغيرة، سأشتري لك في المستقبل فساتين كثيرة بقدر ما تستطيعين ارتداءه.»

سحبت فيونا يدها من يده. «لن تفعل!» انفجرت غاضبة.

بدأ عضل صغير بالاهتزاز في جانب خد جيلز، لكنه تمالك نفسه وهو يكلم فيونا بهدوء: «لا تدعي هذا الكلام يزعجك. سوف ينس في خلال خمس دقائق أو نحوها.»

تكلم فيكتور باعتدال: «امنحها على الأقل نصف ساعة لتبقى في ذهني المشوش.»

قاطعت كارين بعنف: «هذا الرأس ليس مشوشاً مثلما جعلتنا نعتقد، يا فيكتور. أنا واعية لنقاط ضعفك العقلية، لذلك احياناً، يناسبك أن يظنك الآخرون سريع النسيان... أقصد سريع النسيان بدرجة أكبر مما أنت عليه في الحقيقة.»

خففت هذه الكلمات التوتر الذي كان يجيش في داخله. ابتسم جيلز وهو يلتفت إلى كارين ليقول: «يبدو أنك تعرفين ابن خالتي جيداً. متى التقيت به؟»

«بعد الحادثة.» أجابت كارين. «لقد اعتنيت به في المستشفى.»

دهش جيلز. «أهذا صحيح؟ لا أذكر انني رأيتك في العنبر. أنا متأكد من أنني كنت تذكرتك.» أضاف وهو ينظر إلى وميض شعرها الأحمر.

«كنت أعمل في النوبة الليلية. كان هذا قبل أن أحصل على عملي الحالي.» كان هذا تقريباً بعد صرف فيكتور. وفي أحد الأيام، فور أن باشرت به، كنت أستمتع بالجلوس على أحد مقاعد حديقة المنتزه عندما جاء رجلان يختبئان على طول الممر. أحدهما كان فيكتور.

«هل تعرف إليك؟» سأل جيلز بشك.

«لا. أنا تعرفت إليه. مديرة منزلك وزوجها أحضراه إلى المدينة، وبينما ذهبت أغذ إلى السوبر ماركت جلبه إيدي للمنتزه في الحديقة.»

«لقد اعتنيا، هذان الاثنان، به جيداً.» علق جيلز.

تابعت كارين: «بعد ذلك التقينا مراراً في المنتزه، خاصة عندما بدأ بالتحسن وأصبح يدرك مواعيد انصرافي من العمل.» توقفت لتنظر إلى فيكتور، الذي أعاد انتباهه إلى فيونا. ثم ابتسمت لجيلز وقالت محذرة: «لا تدعه يخدعك كل الوقت. هنالك أمور كثيرة باستطاعته تذكرها. كما قلت لك، إنه يتحسن بسرعة.»

«شكراً لك. سوف أتذكر هذا.» الإجابة كانت سريعة ومقتضبة تدل على ما يعانيه من ضيق في داخله.

www.liilas.com

في هذه اللحظة التفتت فيونا لتتكلم جيلز، لكن الكلمات تجمدت فوق شفتيها عندما رأت الخط المشدود حول فمه. هل هو غاضب منها؟ تساءلت وهي تشعر بالحيرة والغموض. هل كان ذلك بسبب الابتسامة المتجاوبة لكلمات الاعجاب الآتية من فيكتور، أو من مزاحه المزعج الساخر؟ «هل من خطب؟» سألت.

«لا تدعيه ينجرف بعيداً.» حذّر جيلز، بنبرة جافة.

عمّاذا تقصد؟ ينجرف بعيداً؟ إلى أين؟» سألت فيونا.

«عالياً إلى غيوم الأمل.» قال جيلز بسرعة. توقف، ثم سأل بهدوء: «هل ما زلت لا تفهمين؟»

تدخل فيكتور بسرعة: «إنه يخشى من أن اعتدي على حقوقه.»

«حقوقه؟» تردد صدى الكلمات التي جاءت مثل صدمة، وجعلتها تستقيم في جلستها. التفتت نحو جيلز ساخطة وهي تهتف: «أرجو أن تؤكد له بأن الذي تقوم به هراء.»

لكن بدلاً من أن ينفي كلام فيكتور هزّ جيلز كتفيه فقط وقال بغير مبالاة: «من المحتمل أنه يعتقد أننا متفاهمان.»

ازداد سخط فيونا. «ولكننا لم نتقابل إلا منذ يوم الاثنين الماضي فقط.» أشارت وهي تشعر بغضب كلي.

«لهذا السبب إنه مجرد تفاهم.» شرح جيلز بأناة وفي الوقت نفسه وجه إليها نظرة ثاقبة.

تحدت نظرته، وبقيت مشوشة الذهن، حتى هبط عليها الوحي. طبعاً... كم كانت غبية! جل ما كان جيلز يقوم به هو حماية فيكتور من أن يخطىء ويتورط معها. تصرف فيكتور نحوها نبهه إلى امكانية حصول ذلك. ولهذا السبب رفع درع الحماية.

يبدو أن كارين أيضاً خمنت الوضع. طقد حول فيكتور اهتمامه اليك.» همست لفيونا بصوت منخفض.

«لأنه يعرف بأنه لن يستطيع الحصول عليك ... ومن الممكن لأنني أقيم، متعرفين إلى» ردت فيونا من خلال أنفاسها المتقطعة.

«حسناً، أنا متأكدة من أن وجهك المحبب سيكون الدافع الرئيسي، لا ما ذكرت.» قالت كارين بسخاء: «على الرغم من ذلك، قد يكون ما ذكرت منطقياً لأنه في الحقيقة مهووس بهذه الشقة.»

قال جيلز بنبرة خشنة آمرة: «هل تسمحان أيتها الفتاتان بالتوقف عن الهمس؟ لا أنا ولا فيكتور نود تركنا في الظلمة...»

قاطع فيكتور: «لقد نلت ما يكفي من الظلمة. أما الآن فأنا في الخارج، في الضوء، حمداً لله.»

«طبعاً. أنت هكذا.» تدخل جيلز بلطف. «دعنا نجمعنا نهارك ثانية.»

اعتذرت كارين بسرعة: «آسفة للهمس، لكن فيونا وأنا احتجنا إلى كلمة على انفراد.» رمقت ساعتها. «يا إلهي، إنه تقريباً موعد نوم فيكتور. يجب أن أقله إلى المنزل.»

نظر جيلز إليها بفضول. «ألا يعانع صديقك المقيم في الطابق العلوي من كونك تخرجين معه؟»

ابتسمت كارين بسعادة. «آه، لا، إنه الرجل الأكثر تفهماً.»

«هل طلب منك الزواج؟» جاء سؤال جيلز.

«ليس بعد. كما أنني لست متأكدة بأني أريد الزواج. من الجميل أن نشعر بالحرية، إذا فهمت ما أعني.» وجهت إليه نظرة مباشرة.

«لن أستطيع الموافقة أكثر.» أجاب، بنبرة مؤكدة.

ضحكت كارين. «هذه النظرة إلى الأمور لا تعطي عمقاً كافياً

www.liilas.com

لما تسميه تفاهماً مع فيونا» نهضت وتكلمت إلى فيكتور: «عزيزي فيكتور، هل أنت جاهز لأقلك إلى المنزل؟»

«لا، ليس تماماً.» تابعت عينا فيكتور البنيتان تفحص ملامح فيونا إلى أن أصبحت وجنتاها متوردتين بفعل الاحراج.

تكلمت كارين بثبات: «حسناً، أخشى بأنك ستذهب على أية حال.» دارت حول المائدة، أخذت ذراعه، وفي دقائق كانا قد غادرا قاعة الطعام.

كان خروجهما بمثابة فرج لفيونا. مع ذلك، قالت لنفسها بأنه يجب عليها ألا تأخذ موقفاً مبالغاً فيه من تهور جيلز في إعلانه بأنهما متفاهمان. من الضروري أنه كان قراراً وليد اللحظة من جانبه، ومن دون أي تفكير. لكنها تتوقع منه الآن أن يقول شيئاً حول هذا الموضوع. شيئاً يكون بمثابة اعتذار، قررت.

لكن لم يصدر أي اعتذار من شفتيه. بالفعل، بدت خواطره مركزة على كارين، ولسبب غريب وجدت فيونا أن هذا مزعج للغاية.

«إذاً، فتاة فيكتور الصهباء أثبتت بأنها مفاجأة.» قال مغلقاً.

«فقط للذي لديه أفكاراً مسبقة.» قالت مشيرة. «أنا شخصياً أحبها. أجدها إنسانة طبيعية جداً.»

«نعم، ومن حسن حظ فيكتور أن تأخذه تحت جناحها.»

«إنه ربما اهتماماً بمريض تقوم على خدمته.» اقترحت فيونا.

«مع ذلك، أؤمن فعلاً بأنها تكنّ له العاطفة.» أضافت، متذكرة الحنان الذي بدا على كارين وهي تكلم فيكتور.

بدا على جيلز التفكير العميق وهو يقول: «حسن الحظ، يبدو أن الرجل المقيم في الطابق العلوي يحظى بأولوية عواطف كارين، وهذا يزيل مخاوفي بالنسبة لموقفها.»

نظرت فيونا إليه بثبات: «قول، محظوظة؟ أنا شخصياً أعتبرها تعيسة الحظ. ألا تستطيع خبرتها بالتمريض أن تجعل منها الزوجة المثالية لفيكتور؟»

«فقط إذا أحبا بعضهما البعض، وأشك في ما لو كانت مشاعر فيكتور نحوها عميقة، وإلا لكان نظر إليها بدلاً منك.» حملت عيناه ومضة متهمة.

«ربما كان يحاول أن يبعث الغيرة في قلبها.» اقترحت فيونا، وهي تعمل جاهدة على إيجاد سبب لاهتمام فيكتور بها.

كان جيلز مرتاباً. «أشك في أن حالته العقلية الحاضرة تسمح له بأن يخطط كهذا، لذلك لا تخطئي وتعتقدي بأن اهتمام فيكتور بك ليس جاداً. أنا متأكد من أنه كان صادق حقاً.»

«أتلقت بالفعل لدرجة أنك أعلنت بأننا متفاهمان.» اندفعت كلماتها متهمة.

«هل فاجأتك؟» سأل بنعومة.

«صدمتني، هو التعبير الملائم أكثر. لقد اهتززت كما يجب.» أقرت.

«نعم، حسناً أنا ممتن لأنك لم تنتصبي واقفة، تصيحين مستنكرة في كل أرجاء القاعة. من الأفضل أن نناقش هذه المسألة، لكن ليس في هذا المكان. هل نذهب؟»

تركا غريت وول واجتازا الطريق إلى حيث تلف السيارة منتظرة على طول المسافة الضيقة من موقف المنتزه. كان القمر عالياً في السماء، الهواء ساكناً والليلة دافئة. فتح جيلز باب السيارة، ثم تأكد من أن حزام المقعد قد ضبط، وقال: «طيلة رائعة جداً لتبديدها داخل المنازل. سنتكلم بجانب الشاطئ.»

«عظيم جداً.» تمتمت، وهي تتساءل عن المكان الذي سيجري

www.liilas.com

فيه الحديث، لأنه فضلاً عن ذلك كان الشاطىء قريباً ويفصلهما عنه المتنزه والشاطىء الصخري. كما أنها لم تسمح لنفسها بالتعبير عن السؤال وهما ينطلقان حول الشاطىء نحو وستشور.

وجاء الجواب واضحاً، لأنه بدلاً من أن يتحول نحو منزلها ترك جيلز الطريق وتوجه إلى موقف السيارات المحاذي للشاطىء والذي كان باستطاعتها رؤيته من نافذة مطبخها.

امتد البحر امامهما وقد اضفت عليه أشعة القمر لوناً فضياً لامعاً، وشعت من ورائهما انوار المنازل العديدة في منطقة نابير هيل السكنية. وفي عرض البحر برزت إلى يمينهما جزيرة صخرية صغيرة انشىء على طرفها المواجه للمحيط برج يحتوي على مدفع يطلق اشارة الانطلاق لسباقات اليخوت التي تجري في نهاية كل أسبوع. وأعلى البرج كان بمثابة منارة يومض ضوؤها بانتظام.

راقبت فيونا الومضات المتتابعة التي تخترق الظلام، وبينما كانت تفعل هذا انتظرت جيلز لينكلم. يبدو أنه ليس في عجلة ليبوح بما يجول في فكره، وأخيراً قالت: «أردت الكلام بجانب البحر. حسناً ها هي زاوية صغيرة من الباسيفيكي الجنوبي. هذه الأصوات العالية التي تسمعها هي الأمواج المتكسرة فوق الشاطىء. إذاً ما هو الأمر؟»

استنفد عدة دقائق للإجابة، لكنه التفت إليها أخيراً وسأل فجأة بصوت غريب: «هل تر غبين في مساعدتي؟»

فاجأتها الكلمات. «بأية طريقة؟» سألت بحذر، يخامرها شعور بأنه قد يكون هناك شيء أكثر من وراء هذا الطلب وإلا لماذا هذا التردد من ناحية جيلز؟

فكر للحظة، ثم أقر: «في الواقع سوف تساعدين فيكتور أكثر

مني. ربما كان من الأفضل أن أسألك في ما لو كنت تر غبين في مساعدة فيكتور؟»

«طبعاً. أنا متأكدة بأن فيكتور بحاجة إلى كل مساعدة ممكنة، مع أنني عاجزة عن رؤية ما قد أستطيع القيام به نحوه.»

«دعيه يلمس بأنك غير مستعدة.» قال جيلز. «أقصد عاطفياً.» تابع، مؤكداً شكوكها.

«سأجعله يفهم ذلك على الفور.» قالت بحدة. «إذا كان يعتقد...»

«كما فعلت هذه الليلة؟» قاطع بجفاف. «كانت هاتان العينان الخضراوان تعدانه بكل شيء ابتداء بالحساء والانتهاء بالحلوى.»

«لم تكونا كذلك!» أنكرت فيونا بحرارة، اشتعل خداها بفعل الغضب.

«بالنسبة لي بدت الرسالة واضحة كفاية.» تشدق.

«أنت تبالغ.» قالت بحدة.

«أبداً. لديك عينان جميلتان وبابتسامتك الساحرة كنت تمدينه بالضوء الأخضر.»

تجاهلت الاطراء وهي تقول بنبرة ثابتة: «إذا قام فيكتور بأي تصرف عاطفي نحوي سأوقفه عند حده على الفور وبذكاء...»

قاطعها بحزن: «لسوء الحظ، القول لفيكتور له تأثير ضئيل أو لا تأثير على الاطلاق. إنه لا يحسن التذكر بما قيل له.» توقف، ثم أضاف بأهمية: «إنه يميل لتذكر ما يراه مثل مشاهدة التلفاز من دون صوت.»

«تقصد أن تأثير الرؤية يبقى راسخاً فيه، حيث أن الصوت يدخل من أذن ويخرج من أخرى؟»

«هذا يلخص الوضع بلطف.» وافق.

www.liilas.com

قالت فيونا: «عليك أن تعذر ذهنيتي غير الواضحة، يا جيلز، لكنني لم أدرك بعد كيفية التصرف بحيث أستطيع مساعدتك أنت أو فيكتور. ما زلت أنتظر سماع ما هو المطلوب مني.»

لكن بدلاً من أن يجيب مباشرة قال: «طبعاً باستطاعتك أن تمنحيني رفضاً صريحاً وسوف أفهم جيداً، وإذا كنت تشعرين بأنك بحاجة لمزيد من التفكير حوله... حسناً، لا بأس بذلك.»

قالت بغضب: «جيلز، هل تتوقف عن الدوران حول الموضوع وتقول لي ما يجول في خاطرك؟»

أطلق نفساً عميقاً. «حسناً. هذا ما يجول في خاطري. أريدك أن تمكني فيكتور من رؤيته أن هناك تفاهماً في ما بيننا بالفعل.»

«آه، إذاً هذا ما كان يدور في مخيلتك عندما تلفظت... بذاك التعبير عند العشاء؟ أقر بأنه حيرني.»

«هذا ما أعتقده، لكن مراقبة ردة فعله لك جعلتني أدرك بأنه يجب القيام بشيء ملموس ليفهم بأنك غير مستعدة له على الاطلاق.»

بدأ التهور في طبيعته يوضح نفسه لي. طالما وهي تقول: «أنت على وشك القول بأن...» يصبح هذا التفاهم ملحوظاً أكثر بقليل في الواقع. ترى، هل لي أن أتصرف بأسلوب قد يخدعه؟

«هذا تماماً. من المريح معرفة أنك استوعبت الفكرة.»

التهبت من الغيظ. «غبية، ألست كذلك؟ آسفة لكوني متخلفة إلى هذا الدرك. فأنا لا أحصل على طلبات معاملة كل يوم.»

تجاهل جيلز استهزاءها وقال: «من الطبيعي، أننا نفهم أن ذلك لمصلحة فيكتور فقط. دور تمثيلي تقوم به في وجوده.»

ساذا يتطلب هذا الدور؟» سألت بارتياب.

تكلم بشكل طبيعي: «آه، فقط إيماءة عاطفية أو لمسة إذا حدث وكان يراقبنا. عناق واحد أو اثنين.» بدا صوته مملاً.

«هل أنت متأكد من أن هذا كل ما في الأمر؟» سألت مشككة.

«لا ريب. ستكونين حقاً بأمان معي، كما لا نية لي بأن أصبح متورطاً عاطفياً مع أحد. أحب حريتي.»

«هذا يعنيني أيضاً.» قالت بحدة أكثر مما نوت. «ولا أنا متحمسة كثيراً لهذه الفكرة.»

«لكنك ستفعلينها من أجلي... ولأجل فيكتور. طبعاً، ألا ترين بأنه لو تطلق بك سيكون عرضة للأذى كثيراً؟» حملت كلماته طابعاً توسلياً.

«يجب أن أفكر بالأمر.» تجنبت إعطاءه جواباً قاطعاً، فكرة عناق... أو اثنين... المقترحة جعلت قلبها يخفق بسرعة، وفتحت باب السيارة على نحو مفاجيء، خرجت تقف على الحصى الناعمة التي تغطي موقف السيارات.

وصلت بخطوات قليلة إلى هضبة صغيرة معشوشبة سمحت لها بأن تتفرس بالجزء الذي أضاءه نور القمر من الشاطيء، حيث تتكسر الأمواج برغوة بيضاء متدفقة. وبينما وقفت هناك تحدق، وتتأمل، أدركت أن هدفها يتموج نحو المياه، دفعت من ناحية، ثم سحبت إلى الوراء من ناحية أخرى. لكن حقيقة واحدة كانت مؤكدة. كان جيلز يحاول مساعدة فيكتور فقط، وستكون نموذجاً انسانياً بائساً لو رفضت منحه المساعدة التي طلبها.

لحق جيلز بها بعد عدة دقائق وقد تثاقل وجهه الوسيم وهو ينظر إلى وجهها. «أرجوك، لا تعتبري نفسك أنك استغللت. اعتبريها فقط صنيعاً حسناً لفترة شهر.»

www.liilas.com

«لشهر؟ هل تعتقد بأن المسألة ستستغرق شهراً ليدرك فيكتور الرسالة بأني... إيه... لست صالحة له؟» شعرت فيونا بذعر.

«من يعلم؟» توقف مفكراً قبل أن يضيف: «أعتقد أن ذلك سيتوقف على عدد البراهين التي قد نستطيع تقديمها له... وأيضاً كم ستظهر صادقة هذه البراهين. إذا كان ممكناً أن تضيفي بعض الشوق في تجاوبك معي، عندها أستطيع القول بأن الوضع سيصبح واضحاً له.»

«سكين فيكتور.» قالت، وقد غمرت العاطفة صوتها فجأة. «أشعر بالأسف الشديد لحالته.»

جاء رده هشاً: «أنا أيضاً آسف لفيكتور. لذلك أنا أود مساعدته من أجل أي أسباب أخرى تلهمينني أندفع إلى هذه الدرجة؟ لذلك... هل لك أن تشاركيني هذا المخطط؟»

ما زالت عاجزة عن إيجاد جواب، تركت فيونا الهضبة الصغيرة وذهبت إلى مستوى منخفض حيث امتدت أغصان شجرة نفايو لتقيء المقعد الخشبي. تلألأت أوراق شجيرة توباتا تحت نور القمر بجانب المقعد، قطفت ورقة، ثم طوتها إلى نصفين محدثة صوت صفيرٍ من خلال الثنية.

فقد جيلز صبره من جراء ما تفعل وقال متذمراً: «أنت لا تأخذين هذا الأمر بجدية.» ثم خطا إلى جانبها، قبض على ذراعها ثم دار بها لتواجهه. «حسناً؟» سألها بشكل هجومي.

نظرت إلى الأوراق المظللة العالية، ثم سألت: «هل عرفت بأن شجرة النفايو هي شجرة مخادعة؟ يبدو أن هذا هو المكان الملائم للقول بأني موافقة. فضلاً عن ذلك، نحن بصدد خداع فيكتور.»

قال جيلز مدافعاً: «كن من أجل مصلحته فقط. نحن لا نخدع

بعضنا البعض. كلانا يفهم بأن ملاطفاتنا وتوددنا لا تعني شيئاً... لا شيء على الاطلاق.»

«لا حاجة لتكرار هذا القول.» قالت ببرود. «لن أحاول مطالبتك بأي نوع من الالتزامات عندما تنجز هذه المهمة تماماً. لا داعي للخوف مني.»

«عظيم.» بدا راضياً وأضاف: «الآن أخبريني، ما الذي يجعل شجرة نفايو مخادعة؟»

«إنه منطقي جداً.» شرحت. «عندما حارب الأولون بعضهم البعض في هذه البلاد، استعملت الأوراق لوقف نزف الجروح، لكن اكتشف فوراً أن أوراق النفايو أذت أكثر مما نفعت لأنها كانت مليئة بالحويصلات الزهرية التي تنتج الكلوروفيل. يستطيع الجرح أن يتخيل تسمم الجرح، ويأوم المحارب الشخص الذي ضمد جراحه بأوراق نفايو. أحياناً كانت تستعمل عن عمد.»

«ولذلك لدينا الشجرة المخادعة.» تأمل. «أثق بأنك لن تسمحي لفكرة خداع فيكتور في أن تفسد أداءك المسرحي في التجاوب معي.»

«سأفعل جهدي لتقمص الدور.» تمتمت فيونا.

«حتى أفضل الممثلين والممثلات بحاجة إلى التمرين قبل أن تدور الكاميرات بالفعل.» ذكرها. «ربما تجربة واحدة تجنبنا الوقوع في الخطأ.»

تراجعت إلى الوراء مبتعدة عنه، منقبضة فجأة بتوتر عصبي. «هل تظن أن ذلك ضروري؟» سألت، وفي الواقع مدركة للارتجاف في صوتها.

«أكثر من ضروري إذا كنت عازمة على التصرف بتوتر. لا نريد من فيكتور أن يتمزق وجداه من الضحك.»

www.liilas.com

«عظيم.» رفعت وجهها وقدمت خداً له.

«هل هذا أكثر ما تستطيعين القيام به؟» سأل بهدوء. «ألا تعرفين كيف يُقبّل الرجل؟ ألا تعرفين لأجل ماذا شفتاك... أقصد بمعزل عن هذه الابتسامة الساحرة التي تومض بسرعة؟»

«أخشى بأنني لست ضليعة في هذه الأمور. أقصد، بأنني لست من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يندفعن نحو الرجل.»

«في هذه الحال يجب أن تتعلمي.» قال جيلز برقة، وأحاطها بذراعيه ثم جذبها قريباً منه. وعانقها برقة ثم سأل بلهجة تحمل تسامحاً ساخراً: «والآن، هل كان هذا مفزعاً؟»

حملقت به من دون كلام. لم يقبل شفتيها، وكانت شاعرة بخيبة أمل أعمق من أن تعترف بها. هل كان هذا النطاق من عرض عواطفهما من أجل مصلحة فيكتور؟

أحنى رأسه مرة أخرى، وعانقها بلطف جعل أنفاسها تتسارع. لكن العذاب تعمق لدرجة جعل الدم يندفع في عروقها، وزحفت ذراعاها حول عنقه على الرغم من أي مقاومة سالفة كان من الممكن أن تكون لديها.

جعل تصرفها جيلز يتمتم باستحسان: «هذا أفضل! بدأت الآن بالاسترخاء... مع ذلك أظن أن بعض الحماس قد يجعل المشهد أكثر اقناعاً.»

حاولت الانسحاب بعيداً عنه. «أنا... أنا أظن أن هذا يكفي لأمسية واحدة.» لهثت وهي تشعر بالم يوخز أعماقها. «ربما حان وقت عودتي إلى المنزل. المنزل يقع مباشرة فوقنا، لذلك أستطيع المشي بسهولة فوق الممر المعشوشب إلى الطريق ومن ثمّ أعبره إلى المنزل.»

«تبدين وكأنك تحاولين الهرب مني.»

«لا، بالطبع لا. إنها فقط... إنها...» لازمها الصمت، عاجزة عن الاقرار بأنها شعرت بإثارة داخلية وكانت عاجزة عن السيطرة عليها.

جذبتها ذراعاه مجدداً نحو صدره. «حسناً، أعرف تماماً ما تشعرين به. إنك وببساطة غير معتادة على أن يعانقك أحد، وكان لهذه الملاطفات تأثير عليك. القليل المزيد منها وستعتادين عليه. لن يعني شيئاً.» قال مؤكداً لها بصورة طبيعية.

لكن فيونا لم تكن مقتنعة بأن القضية كذلك. كان رجلاً مدمراً، صورته مزروعة في ذهنها إلى الأبد على السيطرة على أفكارها، ولم تكن لها أي نية في الوقوع تحت سلطان رجل يقيم حريته على ما يرام.

عمل هذا الادراك مثل تحذير شد من عزمها لإنهاء هذه الليلة بأسرع ما يمكن. لذلك ابتعدت عنه إلى الوراء مجدداً وقالت: «هل تنوي مرافقتي إلى المنزل سيراً على الأقدام، أم هل نستقل السيارة؟»

«سأقلك إلى المنزل.» أعلن فجأة. «الصندال ذو الكعب العالي لن يساعدك على تسلق المنحدرات المعشوشبة.»

فتح باب السيارة لها، قبل القليل وهما يغادران المكان نحو شارع تشارلز. تحوّل بعد دقائق إلى الممر الخاص بالمبنى الذي تقطنه وتوقف بجانب باب شقتها. أكدت له لمحة سريعة نحو الداخل بأن كل شيء على ما يرام.

«شكراً لك. لقد كانت سهرة جميلة.»

هزّ رأسه: «سنكررها ثانية، عندما نستطيع أن نكون بمفردنا.»

ارتد بسيارته على الممر بسرعة وانطلق خارجاً، وراقبت

www.liilas.com

فيونا من نافذة المطبخ الأضواء المختلفة حول المنعطف وتذكرت آنذاك أنه لم يقبلها قبلة الوداع، ولأسباب لم تعرف كنهها شعرت بخيبة أمل مريرة.

في صباح اليوم التالي قامت بمسعى لدفع كل الأفكار التي تتعلق بجيلز هاميلتون عن رأسها. العمل كان الجواب، قررت وهي التي تحتاج بشدة إلى التركيز على تحويل الأقمشة التي ابتاعتها إلى أثواب قد ترضي الأمهات.

ستبدأ بخياطة الملابس الرياضية ثم الأزياء التي يرتديها الأطفال في المناسبات ثم ثياب النوم.

نعم، لديها الكثير لتشغل عقلها، حمداً لله. على الأقل لديها ما يكفي لتبقى جيلز بعيداً عن أفكارها كلياً، بصرف النظر عن هذا كله كانت هناك أوقات يتسلل فيها إلى أفكارها من دون إنذار، وقد تجد نفسها تتساءل في ما لو كانت عيناه بنفسجيتين داكنتين... أو كانتا بلون أخضر... زيتوني؟ وعندها يكون من الصعوبة سحب أفكارها إلى العمل الذي بين يديها.

هكذا مرّ أسبوع، واملأ طرف النافذة الفارغ تدريجياً بالأزياء الصغيرة، وعلى الرغم من بيع معظمها تقريباً فور وضعها على الرف، بقيت فيونا تشعر بخواء داخلي ضايقها باستمرار.

وجاء يوم سمعت فيه صوت محرك جزازة عشب يصدر من مكان قريب جداً وكأنه حديقة منزلها الخلفية. أصغت بتكاسل لوقت قصير، ثم أدركت أن عطلة نهاية الأسبوع زحفت من دون أن تشعر بها، لذلك قد يكون هذا الصوت صادراً عن جيرانها، زوج سو، ليشذب الحديقة الخلفية من منزلهما.

تابعت خياطتها بالافتراض الذي ركز بثبات في ذهنها، لم تعد تنتبه للصوت الذي يعلو وينخفض فيما تعبر الجزازة طول

المرجة وعندما خيّم السكون بعد وقت قصير دهشت لرؤية فيكتور يدخل الشقة.

«لقد شذبت حديقتك.» قال. «كنت دائماً أقوم بذلك للسيدة إيفانز. استمتعت بالقيام بها مرة أخرى.»

نهضت لتواجهه. «هذا لطف كبير منك. شكراً لك، يا فيكتور.» سمعت صوت الجزازة، لكن ظننت أنه غاري من الشقة المقابلة. كيف وصلت إلى هنا؟» سألت، وهي تختلس النظر عبر النافذة تبحث عن سيارة بينما تتساءل في ما لو قادها وهو في حالة لا تسمح له بذلك.

«جئت بسيارة أجرة. استطال العشب في الحديقة كثيراً... والآن أنا عطشان.» أضاف باهتمام.

ابتسمت. «هل ترغب بفنجان شاي، أو ربما تفضل شراباً بارداً؟» وقررت أن هذا أقل ما تستطيع عمله.

«فنجاناً من القهوة، شكراً لك. هل أستطيع غسل يدي؟»

«طبعاً. تعرف طريقك نحو الحمام. هناك منشفة نظيفة فوق المشجب.»

ذهبت إلى المطبخ ووضعت الغلاية فوق النار، وهي تعضّ شفتها مفكرة. هل ينبغي أن تتصل بجيلز وتخبره أن فيكتور هنا؟ كان هذا ما طلب منها فعله، مع ذلك يبدو وكأنه عمل فظّ بعد أن شذب حديقتها. على أي حال، لماذا لا يجزّ العشب إذا كان راغباً بذلك؟ هل على جيلز أن يوجه حياته إلى هذا الحد؟ وما الذي جعل جيلز يؤكد بأن كل شيء سيكون كما توقع؟

جعل هذا التفكير فيونا تشعر بالتمرد، وبدأت تجهز الصينية بأفضل ما لديها من فناجين وأطباق ووضعت حلوى الزبيب التي صنعتها بالأمس في طبق وقطعتها، ثم حملت الصينية إلى طاولة

www.liilas.com

صغيرة في غرفة عملها. «تعال واجلس، يا فيكتور.» دعته. «هل تأخذ الحليب والسكر؟»

«كلاهما، شكراً لك.» راقبها وهي تسكب الشاي، ثم قال: «أنت لطيفة جداً.»

ابتسمت وهي تمده بالحلوى. «آه، لا، أنت الشخص اللطيف، يا فيكتور. ما الذي دعاك إلى المجيء للعمل في الحديقة اليوم؟»

عبس وكأنه يحاول العثور على جواب، وقال أخيراً: «كنت معتاداً دائماً على أن أشذبها أيام السبت. شعرت وكأنني أريد القيام بذلك مجدداً.»

«هل السبب هو الحنين إلى الماضي؟» تساءلت. وهي تشعر بالفرح لأنها لم تكن هي نفسها، التي جذبته إلى الشقة.

قال فيكتور بتنهيدة مريح: «لا يعرف جيلز بأني هنا. تسللت منه بمهارة.»

كانت فيونا مهتمة. «كيف فعلت هذا؟» سألت.

ابتسم فيكتور وقال: «طلبت سيارة أجرة لتلقاني عند زاوية الشارع.»

«هل فعلت هذا، بالفعل؟» صدر الصوت من مدخل الشقة، وفي الدقيقة التالية خطا جيلز إلى داخل الغرفة. «كما حدث، شاهدتك أغتنز من نافذة في الطابق العلوي. فهمت من لون السيارة من أي وكالة طلبتها، لذلك كان من السهولة معرفة اتجاهك.»

غضبت فيونا. «صحيح، يا جيلز، قد يظن أي شخص أنه ارتكب جريمة!» هتفت بحرارة. «كل الذي فعله أنه جزّ العشب. إنه عمل كان يقوم به دائماً يوم السبت... إذا كنت تفهم قصدي.»

«فهمت. حسناً، هذا مريح.» ظهر جيلز مرتاحاً بوضوح، ثم

أضاف: «لقد تأكدت بأنك سوف تجيء لتسرق فتاتي، يا فيكتور.»

«فتاتك؟ يؤسفني أن أقول إنك بطيء جداً في تحيتها بقبلة.» علّق فيكتور بنبرة جافة.

قال جيلز: «إنني عازم على أن أعوض الوقت الضائع.» بدا وكأنه أجبر على هذا القرار. حضن فيونا وقبل خديها ومن ثم عانقها.

«هل ستأخذ فنجاناً من الشاي... يا عزيزي؟» سألت وهي تلهث عندما ابتعد عنها.

«فتاة جيدة.» بدأت تفهمين ما أحتاج سماعه.»

«تقصد تقديم الشاي، طبعاً.» قالت وهي تسكب فنجاناً آخر من الشاي، كانت يداها ترتعشان وهي تقوم بذلك.

لحق جيلز بها. «كم من الوقت مضى عليه هنا؟» سأل بصوت خافت.

حملقت به ببرود، ثم همست: «إذا لم تخرس سأفرغ هذا الشاي فوق عنقك...»

«عظيم، سنتكلم لاحقاً.» قال بصوت خشن.

لم تبدر أية إشارة عن فيكتور تشير إلى أنه قد لاحظ الغيظ المبطن الذي يبدو في سلوك جيلز، لكن بالنسبة لفيونا كان أكثر من واضح. أزعجها لدرجة جعلت شيطان العناد يرفع رأسه، وبالنتيجة كانت نعمة بشكل خاص مع فيكتور بمتابعتها تقديم المزيد من الشاي والكعك له.

رمق ساعته أخيراً وقال: «يجب أن أغادر. إنني أتوقع اتصالاً من كارين. هل تمانعين في طلب سيارة أجرة؟»

«طبعاً لا.» تمتمت فيونا، خائفة لأن اللحظة التي سيغادر فيها فيكتور سينصب غضب جيلز فوق رأسها. ولم تكن مخطئة بهذا

www.liilas.com

الظن، لأنه حالما نقلت سيارة الأجرة فيكتور، أطلق جيلز العنان لغضبه.

«لماذا لم تتصلي بي لتعلميني بوجوده هنا؟» سأل. «لقد طلبت منك ذلك بالتحديد.»

«لم أعلم بوجوده إلى أن انتهى من الحديقة.» دافعت. أبقت نقتها مرتفعاً قليلاً عن العادة.

«وبعدها اضطررت إلى استضافته وتقديم الشاي والكعك له؟»

«من الطبيعي. كان هذا أقل ما يمكن فعله بعد أن جزّ العشب لي. وهذا لطف كبير منه.» وضعت يداً فوق ذراعه. «بالتأكيد لا تتوقع مني أن أكون غير مضيافة معه، يا جيلز؟»

«ألا تفهمين أن هذه الزيارة ستكون بمثابة قمة جبل جليدي، والمخفي، الأتي أعظم، سوف ترين.»

«هراء! لا أصدق أنه حتى كان مستعداً لرؤيتي ولو قليلاً. ألم يغادر لأنه يتوقع اتصالاً من كارين؟ كما أظن أن زيارته قد يكون سببها إحدى... اسقاطاته الذهنية نحو الماضي، لكن ليست خطرة جداً.»

نظر جيلز إليها مشككاً. «ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟» سأل.

«لأن اليوم هو السبت لقد أخبرني بأنه كان يشذب دائماً الحديقة للسيدة إيفانز يوم السبت... السبب الذي دفعه إلى المجيء إلى هنا. ولا أصدق أنه كان مقتنعاً بتأكيدك بأنني فتاتك. بطيء هذا ما دعاك به، لكن هذا مفهوم، لأني طبعاً لست فتاتك.»

قادته خطوة إلى مقربة منها. «هل هذا يعني بأنك تتراجعين عن وعدك في أن نبدو وكأننا فعلاً متفاهمان؟»

«بالتأكيد لا! لكن إذا كان هذا الوضع بيننا لكنت عانقتني قبل

أن تلوم فيكتور.» توقفت لتضحك ثم أردفت: «حتى فيكتور بامكانه أن يلمس هذا بنفسه.»

«كل ذلك يشير إلى حقيقة واحدة. إنني بحاجة إلى مزاولة ضمك بين ذراعي أكثر، وبعدها يصبح التأثير ذاتياً.»

«إنك تجعل الأمر يبدو وكأنه فحص طبي إلى حد كبير.» تذمرت، من دون أن يكون باستطاعتها القول لماذا أزعجتها هذه الحقيقة.

«المزاولة تخلق الكمال فقط.» ذكرها جيلز، وهو يعانقها.

منحتها خشونة سترته سعادة غريبة عندما مال نحوها، وسرعان ما جاءت بهجة غير متوقعة من إحساسها بخده يرتاح تجاه جبهتها.

هل كان متأثراً بالطريقة نفسها؟ تساءلت. هل جرت الدماء في عروقه متسارعة كما دفعت في عروقها؟ أصغت إلى أنفاسه، بحثت عن أقل اشارة من العاطفة تحركه، لكن لم يكن هناك شيء يشير إلى أن لها القدرة على إثارته. بالإضافة إلى ذلك كانت تعرف بأنه من غير الممكن أن يكون بارداً.

لكن ما الذي تستطيع توقعه أيضاً؟ إنه شيء يقوم به لحماية ابن خالته لا غير، وحالما تدخل هذه الحقيقة في رأسها الغبي يكون الأمر أسهل لادراك الوضع ووضعه في المنظور. وينبغي عليها ألا تسمح له في رؤيتها تباشر بالاستمتاع عندما تكون بين ذراعيه. هذا سيجعلها تبدو غبية حقاً.

دفعتها الأفكار والأوهام للمحافظة على الاتزان في تجاوبها معه، واندفعت عنه قائلة: «إنها بالتأكيد مزاولة كافية.»

نظر نحو وجهها، ثم سأل بلا مبالاة: «هل ترغبين ببعض الخضار الطازجة؟»

www.liilas.com

طرفت فيونا بعينيها نحوه، متسائلة... إذا كانت قد سمعت بشكل صحيح. «هل قلت... خضار؟!» ردّدت.

«الهليون بشكل خاص.» أضاف.

تابعت النظر إليه من دون كلام والحقيقة قد وضحت، بينما كان يعانقها، لم يكن يشغل أفكاره شيء أكثر رومانسية من الخضار. صدمتها المعرفة وجعلتها تشعر بالاحتقار من نفسها وكان هذا كافياً لتسترد رباطة جأشها.

تابع: «هناك أمكنة على الطريق السريع عند منطقة باي فيو. هل ترغبين بالحضور معي؟»

دفعت نفسها للابتسام له. «نعم، شكراً لك. أحب الهليون... وسأحضر حساء البقطين والكرك وأحفظها في الثلاجة.» أضافت، وهي تمد شعور الصعود إلى هاوية، الأمر الذي أثار بالسيارة عليها. «خضار!» هما وكانت تتساءل إذا كانت الدماء تجري في عروقه!

الفصل الخامس

رمقها جيلز بنظرة جانبية وهما ينعطفان نحو الطريق العام الذي قادهما إلى تجاوز طريق المطار، وقال: «أنتِ هادئة جداً.»

«ما زلت أفكر بشأن الخضار.» أجابت من دون أن تعترف بأن فكرة الخضار قد أزعجتها. «كنت أظن بأن إيدي غرين يزرعها لك.»

«إننا نفضل الهليون الطازج الذي يأتي مباشرة من المزارع، ويبدو أن أنواعاً عديدة مثل البقطين والبصل قد نفدت من عند آخر. إننا لسنا في فصل الربيع ولم يعد وقت قطاف ما يزرعه إيدي. هل لديك حديقة خضار؟» سأل.

«حديقة صغيرة لم يزرع بها شيء. حرثت الأرض قبل مغادرة والدي في رحلته، لكن كان الوقت مبكراً جداً للبذار وسوف يزرعها والدي بأنواع كثيرة عند عودته.»

حول الموضوع نحو التكلم عنها وقال: «كان عندك اسبوع حافل بالعمل؟»

«سنشغلة جداً.» أخبرته عن جهودها في تعبئة نافذة العرض بالثياب.

«لا مبيعات؟» سأل بنبرة رقيقة جعلت الموضوع يبدو مربكاً للمناقشة.

«بعض منها.» اعترفت، وأخذت تصف الملابس الرياضية التي صنعتها بألوان زاهية للأطفال.

www.liilas.com

هزّ رأسه بحزن. «أخشى أن أكون عاجزاً عن رؤيتك تصبحين ثرية من هذه الصناعة المنزلية.»

أشاحت فيونا بوجهها لتحملق بالتلال البعيدة الواقعة خلف المطار. «لا أذكر أنني قلت إنني أطمح إلى الثراء.»

«ربما لا... لكن لا بد وأنه كان هناك شيء يجول في خاطرك.» رمقها بنظرة لطيفة أبوية.

«أعتقد أنه بإمكانك تسميتها أسلوب حياة. أرغب في أن أكون حرة لأتنقل كما أشاء، بالإضافة لكسب مالاً كافياً يفي بحاجاتي. يجب أن يكون باستطاعتك فهم ما أعني، يا جيلز. يبدو أنني أذكر ملاحظة قد قلتها، تتعلق بأهمية حريتك الشخصية.»

«وهذا ما يقلق النساء فقط.» قال فجأة.

«آه، الفتى العاوب الذي يضرب به المثل.» قالت وهي ما تزال تخفي تمتعها بالحديث.

«بالنسبة لسمتك الخاصة بالحرية، ينبغي أن أقول بأنك ستكونين عانساً صغيرة عذبة. ستبتهج والدتك في الاحتفاظ بك دائماً إلى قربها.»

«والدتي لا تستحسن رغبتي في البقاء مستقلة.» قالت له. «تقول إن لا شيء يجدي إلا إذا كان مشتركاً وإن هذا ينطبق على الحياة مثل أي شيء آخر.»

أطرق جيلز في التفكير لبضع دقائق قبل أن يسأل: «هل تقول الوالدة كيف يتم اختيار الشخص المناسب الذي ستتشارك الحياة معه؟»

تجاهلت تلميح الاستهزاء في نبرته باطلاق ضحكة صغيرة. «تعلم الوالدة فقط بشأن العيش مع الشخص المناسب. هي والد

كانا دائماً في سعادة مطلقة. أنا واثقة بأنهما ما زالا مغرمين ببعضهما البعض.»

«لقد كانا محظوظين.» كان التعليق مفعماً بالشك.

رمقته بنظرة مخادعة. «هل لك والدان، يا جيلز؟» سألت، مستدركة بأنه لم يتحدث عنهما أبداً.

«نعم. في ولينغتون.» أجاب بسرعة ثم صمت وكأنه يفكر هل يستطرد بالموضوع أم لا. ثم بعد اتخاذ القرار، تابع: «كان والدي شريكاً مع جدي، لكن صديقنا العجوز لوّح بالاستقلالية، وقرر والدي العمل وحده في مدينة أكبر.»

«دفع القرار بوالديك إلى ولينغتون.» أدركت فيونا.

«صحيح. القول إن جدي كان متز عجاً، ممكن أن يكون أكثوبة العصر! وكان جدي كذلك بزعم ذلك. لقد كنت رائعاً معجباً به، وعندما انتهيت من امتحانات الحقوق انضممت إليه في نابيير.»

«وكان والدك هو الذي عانى من خيبة الأمل. هل أنا محقة؟» ابتسمت في داخلها من فكرة التاريخ الذي يعيد نفسه.

«بالتأكيد محقة، مع أن خيبة الأمل هي كذبة أخرى، لأنه أخذ يزداد غضباً مني، خاصة عندما أظهرت له بأني أيضاً قادر على أن أكون مستقلاً في اتخاذ قراراتي. على أي حال، اضطراري للاختيار بين مناخ ولينغتون العاصف ونابيير المشرقة، جعلني أعرف أي مناخ أفضل.»

«لا بد وأن جدك كان مبتهجاً.» قالت فيونا.

«كان مذهولاً.» قال جيلز بهدوء. «لن أنسى أبداً اليوم الذي دخلت عليه إلى مكتبه وأعلنت له بأني سانضم إلى الشركة.» صمت لعدة دقائق، ثم أقر: «إنه لم يحرم والدي تماماً من وصيته، لكنه ترك لي أملاكه القيمة في نابيير، التي حصل عليها عندما تزوج من جدتي.»

www.liilas.com

كانت رؤية ماضي جيلز قد بدأت توضح نفسها في عقل فيونا، لكنها بينما استطاعت تخيل والده وجده، بقيت والدته شيئاً مبهماً. ذلك لأنه لم يذكرها أساساً. عدم ذكر والدته زاد من فضولها فسألت بتردد: «هل استمتعت والدتك بالعيش في ولينغتون؟»

استغرق وقتاً ليجيب وبدأت تتساءل في ما لو سمع السؤال، لكنه قال أخيراً: «تركت والدتي والدي. عادت إلى عائلتها في أوكلاند.»

«آه. آسفة.» عبّر صوتها عن أسف حقيقي، وبعد ذلك، عجزت عن مقاومة السؤال، فسألت: «هل زواجهما المنهار كان السبب في عزمك على البقاء عازباً؟»

«اعتقد ذلك.» أقرّ على مضض. «لكن بالتأكيد ليس لديك السبب نفسه لرغبتك في البقاء عانساً.»

«لا رغبة لي بالبقاء عانساً.» أجابت بسخط. «بخلاف ذلك، إنني متشوقة للعثور على رجل أقدر أن أحبه وأعزه. لكن صدقني، لن يكون الرجل الذي يتوقع مني الالتزام بشدة لأوامره.»

«هل هذا ما كنت أفعله؟» سأل جيلز بهدوء.

«ألم تلاحظ أسلوبك المتطلب؟» سألت، ملتفتة نحوه وهي على درجة كبيرة من الدهشة.

«في هذه الحال، سأكون الرجل الأكثر عدم ملاءمة لك.» أعلن بنبرة حملت ارتياحاً.

«نعم، غير مرضٍ بشكل كبير.» ردت بحدة.

«لذا تأكدي من العثور على شخص ليس عنده ابن خالة يسبب له التشنج الدائم.» نصحها بهدوء.

تنهدت، ثم قالت بعاطفة صادقة: «مسكين فيكتور، أنا آسفة جداً له. أنا متأكدة من أنه رجل طيب وليس متطلباً على الاطلاق. على الأقل، ليس مثل حارسه.»

جاء صوته حاداً بغضب مكبوت: «أرجو أن تتذكري أن ليس لحارسه اهتمامات غير مصلحة فيكتور. كان باستطاعتي تركه في المستشفى تحت رحمة التماثل إلى الشفاء بدلاً من نقله إلى المنزل ليحظى بعناية آغنز، وإيدي وعنايتي.»

شعرت فيونا بالألم، كان قد سبق لها ولمحت كيف يمكن أن يكون فيكتور مزعجاً، فقالت بسرعة: «من المؤسف أنه لم يتزوج. أنا متأكدة من أنه سيكون زوجاً محباً وغيوراً، ويفكر بزوجته قبل نفسه.»

«هل هذا حقيقي؟» قال بصوت خشن. «إذاً دعيني أنكرك بأنه إلى حد ما ليس من أبناء جيلك.»

«هل تظن أن العمر يخلق اختلافاً؟» طرحت السؤال ببراءة.

«أعرف صديقتين على الأقل تزوجتا من رجلين يكبرانهما بسنوات عديدة، وهما سعيدتان... في الحقيقة، إنهما أكثر سعادة من بعض نساء أعرفهن وقد تزوجن من رجال أصغر سناً. هذا يجعلني أتساءل، لأن بعضاً من زوجات الصنف الثاني يعانين من الصعوبة في حياتهن.»

«حسناً، لا تسمحي لرغبتك في الأمان أن تطغى على رجاحة عقلك.»

اشتعل غضبها وهي ترد عليه: «رغبتي من أجل الأمان؟ كيف تجرؤ على الاقتراح بأني غير آمنة؟»

«لا حاجة للغضب.» أجاب. «باستطاعتي أن ألاحظ كيف تكافحين من أجل البقاء.»

«أنا لست أكافح!» قاطعته بعنف. «لدي...» قضمت كلماتها قبل أن تخرج من فمها.

ربت جيلز على يدها المسترخية فوق ركبتها. «هذا حسن

www.liilas.com

أيتها الفتاة الصغيرة. باستطاعتي أن أتكهن بانك كنت على وشك القول إن لديك الحيوية والشجاعة. باستطاعتي ادراك ذلك بنفسي.»

«إنك تقفز إلى الاستنتاج مرة أخرى، يا جيلز.» قالت وقد أفلتت منها ضحكة هادئة.

«هل أنا كذلك؟ موافق، إذاً، ما الذي كنت على وشك قوله؟»

«لا شيء يهمك فعلاً.» راوغت، وقررت أنه لا داعي لإطلاعه على ميراث جدتها، حيث قسم منه خولها شراء حصتها من المنزل، بينما القسم الآخر يزودها بمدخول فصلي. وبرغم أنه لم يكن مبلغاً ضخماً فقد ساعدها على عدم الحاجة عندما تنهمر عليها الفواتير المتنوعة.

انعطف جيلز بالسيارة نحو موقف السيارات المتجر يقع على طريق جانبي يعرف باسم متجر جو. قبل أن يحاول سؤالها أكثر كان خلفه مساحة كبيرة من الأرض المزروعة بصفوف من الخضار، بينما الصناديق الخشبية الكبيرة التي تحفظ بذور البقطين والبصل وضعت على جانبي المدخل.

كان في داخل المتجر رفوف وضع فوقها المحصول الطازج من الخضار، تحركت فيونا بسرعة لتنتقي الخضار، الكرفس، الجزر، الفجل، البصل الصغير والفلفل الأخضر.

خزّنت سيدة صينية باسمة الوجه بضائعها في أكياس بلاستيكية، وعندما فتحت فيونا حقيبة يدها لتدفع المتوجب عليها تقدم جيلز إلى جانبها.

«أرجو أن تسمحي لي.» قال، وهو يبرز محفظة نقوده.

«لا، شكراً لك، يا جيلز.» قالت بعزم: «باستطاعتي دفع ثمن هذه الخضار بنفسي، وأنا اعتزم القيام بذلك.»

اختلس النظر إلى داخل الأكياس. «لم تشتري البطاطا. لابد أنك ستحتاجينها.»

«ها هي البطاطا.» قالت السيدة الصينية، وهي تبرز كيساً بطريقة سحرية.

حملقت فيونا بجيلز. «قلت باستطاعتي أن أدفع ثمنها!» همست، عالمة بالتوتر الذي بدأ يعتريها.

وجهت السيدة الصينية لها ابتسامة عريضة. «لا تجادلي سيداً يبرز محفظة نقوده.» نصحتها.

كان لملاحظتها تأثير على فيونا مما جعلها تضحك، وشعرت فجأة بأنها مرتاحة أكثر. أنهى جيلز شراء الأغراض المدونة على لائحة كانت قد اعطته إياها آغنز، ونظلت الأكياس خارجاً إلى السيارة. بعد ذلك، وبينما خرجا من موقف السيارات، التفتت نحوه بابتسامة معتذرة.

«أسفة لأني أظهرت اعتراضاً، يا جيلز. لكن يجب أن تفهم بأني أستطيع دفع ثمن هذه المشتروات. لقد ظننت فعلاً بأنني فقيرة، لكن وضعي المادي ليس منخفضاً كما تظن.»

«لا حاجة لك للتحلي بالشجاعة بهذا الشأن.» قال معزياً.

«لم أكن أظهر الشجاعة.» قالت بحدة، وهي تشعر بالاحباط، ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تقول: «هل عليك أن تهين والدتي بإيحائك بأنهما تركاني من دون مورد وهما في اجازتهما؟»

ضحك. «باستطاعتي تقريباً أن أسمعك تؤكدين لهما بانك تستطيعين دعم نفسك باستقلالية خاصة تدعى فيونا!»

بعد ذلك لازمت الصمت إلى أن وصلا إلى منعطف شمالي يؤدي إلى مركز تجاري في باي فيو، لكن بدلاً من أن يسلك تلك الطريق، انعطف جيلز إلى اليمين ليتبع طريقاً خاصة تمر من أمام

www.liilas.com

منزل وتؤدي إلى عرائش مظللة صغيرة. انبسط خلفه حقل هليون واسع، خالٍ الآن لأن القطاف انتهى لهذا اليوم، لكن ارتفعت الرؤوس الخضراء الصغيرة فوق الأرض استعداداً للترحيب بالقطافين في اليوم التالي.

تلقيا ترحيباً عندما ترجلا من السيارة، من كلب اسود، جلب عواؤه المالك من المنزل. اشترى جيلز حزمتين من الهليون، وأدركت فيونا بأن من غير المجدي المناقشة بأمر دفع المبلغ المترتب على الكمية الكبيرة التي وضعت في مؤخرة السيارة إلى جانب الخضار التي اشتريت من متجر جو.

بل يبدو أيضاً أن لديه مشتروات أخرى في ذهنه، لأنه بدلاً من أن يعود نحو تايبر توجه مسافة قصيرة إلى أن وصلا إلى مدخل حيث توجد لوحة تعلن عن اصناف الفاكهة والخضيات في نهاية الدرب الخاص الطويل بين أشجار البرتقال، في كوخ صغير مليء بأكياس الليمون والمندرين والبرتقال المجهزة للبيع.

اشترى جيلز كيسين كبيرين من الأفندي، وعندما وضعهما في المقعد الخلفي للسيارة قال: «كيس لك. فكرت بأنك تودين اعطاء بعض منها لصديقتك المقيمة في الشقة المجاورة.»

«أه نعم، أود أن أعطي بعضاً منها لها. شكراً لك. أنت لطيف جداً.» قالت فيونا بصوت خافت، وهي تشعر بارتياح من هذا الانقسام غير المتوقع.

عادا بعد ذلك إلى وستشور وعندما كومت المشتروات فوق المقعد في المطبخ التفتت نحوه وشكرته مجدداً. لكن حالما فعلت ذلك امتدت يداه إلى كتفيها ونظر نحو وجهها.

«إن العناق قد يكون أفضل الكلمات.» قال بشجاعة. «قد يمنحنا المزيد من التمرين.»

اندفعت إلى ذراعيه من دون تردد، وهي ترفع رأسها وتحيط ذراعيها حول كتفيه. أدركت بأن أنفاسه تسارعت، وبدأت تدرك فجأة بأنه يضمها بقوة أكثر مما يوجبه التمرين، كما فعل سابقاً. ولكن وعيها للأمر جعلها تحذر من تعليق أهمية كبيرة على هذه المشاعر الداخلية. كانت دليلاً لا غير عن استيقاظ مشاعر الرجل الحسية... وهذا يوجد رجل مفعم بالحيوية إذا كان هناك واحد في ما مضى!

جعله تجاوبها يبتعد قليلاً، وهو يبتعد عنها ويحملق بعينيها قليلاً. الوميض في عينيه جعل تعابيره تصبح مبهمة. وأبعدها عنه بطريقة مفاجئة كانت مؤلمة تقريباً وقال: «سوف أراك، عاجلاً أو آجلاً. تذكري الآن، إذا حضر فيكتور ستتصلين بي فوراً، هل هذا وعد؟»

هزت فيونا رأسها من دون كلام، ثم شعرت بالم حاد عندما خرج من الشقة. تراجعت سيارة الجاكوار البيضاء على الممر بسرعة غير عادية، وبينما راقبت اختفاءها عند المنعطف تنبهت وقد اعتراها شك مفاجيء بأنه كان يهرب بعيداً.

بعد ذلك احتاجها استيلام جعل العمل مستحيلاً، وبامتنان تسولت للاهتمام بالخضار التي فوق المقعد الطويل. كانت وأمها تراقصان عندما عادتا إلى حساء الخضار المخزن في الثلاجة.

كانت على وشك أن تبدأ بخليط ثان لابد يحتوي على الهليون، مكعبين من مسحوق حساء الدجاج، والكرفس والبصل، عندما جاء صوت سو رولينغ من المدخل: «مرحباً، يا جارتي. ماذا تفعلين؟»

«حساء.» قالت بايجاز، ثم شعرت بأنه يتوقع منها المزيد فأثرت: «أخذني جيلز إلى متجر جو في باي ڤيو. حساء.» تابعت: «من السهل سحبها من الثلاجة لضيف غير منتظر.»

مكتبة البلاد الثقافية
www.bilas.com

سئل الذي شذب حديقتك؟» سألت سو، وابتسامة ماكرة تعلو وجهها. «أو قد تكون من أجل شخص أصغر سناً؟» جاء السؤال ببراءة مبالغ فيها.

«إنها من أجل الشخص الذي يصل في الوقت المناسب.» قالت فيونا بعد تردد قليل: «وبالمناسبة، نصف هذا الأفندي هو لك.» وجدت كيساً بلاستيكي آخر وبدأت بتعبئته من الكيس الأساسي.

اتسعت عينا سو. «من أجلي؟ هل اشتراه جيلز؟»

«نعم. لقد فكر بأنه من الممكن أن أحب مشاركتها معك.» شرحت فيونا، وهي تعي الحرارة التي زحفت إلى خديها.

«حقاً، ما ألطفه! إنها حبات كبيرة الحجم!» هتفت سو. «سأستطيع تقسيم واحدة للتوأمين.» صمتت للحظات عديدة، ثم قالت بالمناسبة، تكلم فيكتور معي عبر السياج عندما كان يعمل في الحديقة، كان ذلك عندما كنت أحضر الغسيل من فوق الحبل.» نظرت فيونا إليها باهتمام. «آه؟ تذكرك؟ هذه علامة جيدة.»

«نعم، تذكرني بالتأكيد، لأنه نادراني بسو... حتى أنه سأل عن التوأمين.» ترددت سو قبل الاقرار: «لكن قال لي بعد ذلك بأنه سيعود للاقامة في شقتك. يجب القول بأنه قد أثار فضولي لمعرفة قصده.»

احتارت فيونا. «أستطيع الظن فقط بأن خياله كان يعمل، لكن على الأقل هذا يشير إلى أنه يدرك بأن هذه الشقة ليست منزله في الوقت الحاضر، وهذه دلالة على تحسن حالته.»

أطلقت سو ضحكة مفاجئة وهي تقول: «يا إلهي، في الكلام عن الذاكرة، لقد نسيت تقريباً ما الذي جاء بي لرؤيتك. لدي طلب لك. إنه من أجل ثوب نوم لطفل.»

«هل تقصدين ذلك النوع الذي يصنع من مواد مطاطية؟»

«لا. أعني الثوب من الطراز القديم بثنيات مع شريط، مصنوعة كلها باليد. الصنف الذي يستعمل لمولود جديد.»

«أعرف هذا النوع من الثوب الذي تقصدينه، ولدي نموذج جميل منه.» رمقتها فيونا بنظرة جانبية. «ألا تحاولين اطلاعي على شيء، بأية مناسبة؟ هل ستحظين بطفل آخر؟»

بدت سو مرتاعة. «أنا؟ مع توني وبني يتعاركان نحو خزانة الخزف؟ ليس في الوقت الحاضر، شكراً جزيلاً لك. بالفعل، إنها هدية لصديقه في طريقها للانجاب.»

«سأصنعه لك في أسرع وقت ممكن.» وعدت فيونا، وهي تفكر بالطلبات التي يجب اتمامها.

«لا داعي إلى السرعة الجنونية.» أكدت سو لها. «صديقتي على الأقل ثلاثة أشهر قبل أن تولد. الآن يجب أن أعود إلى المنزل قبل أن يدفع التوأمان بعضهما إلى الجنون... أو دفعه إلى ملاذ آخر. أرجو أن تخبري جيلز بأني ممتنة له من أجل الأفندي.»

بعد رحيل سو انكبت فيونا على العمل بالخضار التي فوق المقعد، مع أن صورة جيلز ترفرف في رأسها، واصلت أفكارها الاتجاه نحو التصريح الذي أدلى به فيكتور لسو. كيف تصور أن بامكانه العودة للاقامة في الشقة، إلا إذا لم تكن من خلالها؟

هل كان جيلز محقاً في التنبؤ بأن جزُّ العشب قد يكون إشارة إلى تغيير خطر ليشق طريقه إليها؟ هل في ذهن فيكتور حفر حديقة المطبخ كمشروع مقبل؟ وبعدها سوف يأتي لزرع الحبوب، كل تصرف محسوب ليقربه منها أكثر.

بعد ذلك تذكرت كلمات كارين عندما كانوا في مطعم غريت وول. لا تدعه ليخدعك طوال الوقت، قالت لجيلز. إنه يتقدم بسرعة. وما الذي قاله فيكتور بنفسه بشأن اسقاطات الذاكرة؟

www.liilas.com

شيئاً مثل الحصول على المزيد منها في المستقبل... مثل العثور على طريقة في العودة إلى الشقة. ومن ثم تغيير دفة الحديث إلى واقعة بأنها وكارين ترتديان ثوبين متشابهين.

مفكرة بالسؤال، تساءلت فيونا في ما لو الذاكرة عند فيكتور هي الآن شيء يتردد في طرحه. هل كانت تثبت بأنها مساعد له، تمنحه العذر في القيام بما يرغب، مثل القيام بزيارات غير منتظمة إلى الشقة، كما أشار سابقاً؟ الفكرة جعلتها تعقد حاجبيها، لكنها أدركت بأن كل زيارة من الممكن فقط التعامل معها عندئذٍ وإذا حدثت. لكن هذه الفكرة سبق وشرحتها لجيلز.

تتابع الأسبوع التالي النموذجاً مماثلاً للذي فات مع العمل المتواصل لفيونا في انجاز الطلبات التي وضعتها الأمهات اللواتي حضرن حفلة عيد ميلاد التوأمين. كما أنها نجحت في ملء ظرف النافذة بالثياب الجاهزة إلى جانب لفات من القماش بألوان أخرى، وهذا يثبت أنها فكرة حكيمة، لأن الأمهات اللواتي لم يرتد أطفالهن اللون الزهري أو الأزرق يسرعن في طلب ثوب باللون الأخضر أو الأصفر.

غريب، كيف تمنت بنفاد صبر أن تقوم بالخطوة الأولى بحياكة ثوب نوم الطفل، لكنها أدركت أنه متى قص القماش الأبيض الناعم لن يكون باستطاعتها أن تتركه جانباً، لذلك سمحت لنفسها بأن لا تفعل شيئاً أكثر من النظر فقط إلى النموذج.

كان الشيء الذي لفت نظرها بينما كانت تشتري النماذج الأخرى، وأدركت بعد ذلك أنه قد يكون من الضرورة الاحتفاظ بقماش ملائم من أجل ثوب كهذا، لذلك اشترت هذا أيضاً مع شريط جيد وأزرار صغيرة. ثم، وحالما كانت على وشك فتحها في وقت

متأخر من بعد ظهر يوم السبت، خطا جيلز إلى داخل الشقة. أظهر وجهه غضباً عندما قال: «لماذا لا تحافظين على وعدٍ؟»

نظرت فيونا إليه بصمت مخيف ووجهه كئيب مصحوب بألم عميق. كرهت الشعور بغضب جيلز، الذي كان بطريقة غريبة قادراً على الوصول إلى روحها. أحست بوخز في جفنيها، وفي محاولة منها للسيطرة على سيل من الدموع غير المتوقعة، ابتعدت عنه، وأصابعها ترتعش وهي ترجع النموذج إلى المغلف الذي كان فيه.

«حسناً، هل عندك ما تقولينه؟» قال بنفاد صبر.

لكن هذه المرة تجاوز غضبها الألم بقدر وافٍ لتفسح المجال للكبرياء في فرض نفسها، واستدارت نحوه، وقالت محتدة في نبرات جليدية: «كيف تجرؤ على التدخل بهذا الشكل؟ وأنعم بتدخل!»

«لتتحدث عني... وعنه هناك في الخارج.» قال بصوت خشن. «لماذا لم تتصلي بي لتقولي بأنه كان هنا؟ لقد وعدت بأن تفعلي، إذ كنت تكترثين بالتذكر. إنها ليست المرة الأولى التي تنكثين بها هذا الوعد نفسه.»

شعرت بذهول. «عنه؟ هل تتحدث بشأن فيكتور؟»

«طبعاً أتحدث بشأن فيكتور! إنه في الخارج هناك في حديقة الخضار التي تخصك.» قال بصوت عالٍ.

«لكنني لم أكن أعلم بوجوده هناك...»

«هراء! كيف من المعقول أن لا تعرفي بأنه هناك؟ لقد حرث نصف رقعة الخضار، مما يعني بأنه كان هنا منذ بعض الوقت. كتخمين، باستطاعتي القول بأنك على وشك إعداد الشاي وإحضار أفضل ما لديك من الفناجين الصينية واطباقها.»

www.fifa.com

يا لها من فكرة رائعة.» قالت بتحدٍ. «سأقوم بذلك في الحال. ستتناول الشاي معنا، أمل؟» ثم أضافت بعذوبة: «أخبرني، كيف عرفت بأنه هنا؟»

«سو، صديقتك في الشقة المجاورة، أخبرتني. لقد اتصلت بي خلال الأسبوع لتشكرني على الأقندي. وأكدت لي في الوقت نفسه في ما لو كان هنالك أي خدمة يستطيعان هي أو زوجها تاديتها برحابة صدر. قلت لها بصراحة بأن الخدمة الوحيدة التي باستطاعة أحدهما القيام بها هي أن يطلعاني اذا شاهدا فيكتور هنا.»

كانت فيونا مشدوهة. «طلبت منهما التجسس علي؟»

«سميها ما شئت.» قال موضحاً بحدة. «إنه واضح جداً بأن لا نية لك في أن تدعيني أعرف زمان وصوله. فلقنت بأنني أستطيع الوثوق بك، لكنه من الواضح بأن تلقني البسيطة بك كانت في غير موضعها. أنا لا أستطيع الاتكال عليك فعلاً.»

لدغتها كلماته فاجابت بحدة: «عندما ستكون مجبراً فقط على القيام بالأمر الآخر، أليس كذلك؟»

«أعتقد أن هذا يلخص الوضع.» قال بكآبة. «ومن دون شك إنه يتعلق بحقيقة واحدة وهي عندما يريد منك شخص السير في طريق تودين السير إلى الجهة المعاكسة. أبدو أني أنكرك باعترافك بهذه السمة الخاصة.»

«هذا سببه ضعف نظري.» قالت فيونا بهدوء، وهي تضع حلوى الزبيب في طبق.

بدا جيلز مشككاً. «نظر ضعيف... وأنت الانسانة التي تخيط باستمرار؟ هذا شيء من الصعب تصديقه.»

«حسناً، إنه كذلك.» شرحت. «باستطاعة سو رؤية فيكتور من نافذة مطبخها، التي تعطيها منظراً على حديقتنا الخلفية...

لكني... لسوء الحظ، ليس بمقدوري الرؤية مباشرة إلى الخلف عبر عدة جدران من هذا المنزل. آسفة بشأن ذلك.» ترددت كلماتها بمرارة.

تبدل صوت جيلز ليصبح حاداً: «أنتِ تفترضين بأنه باستطاعته تجاوز بابك من دون أن يسترعي انتباهك. لكن حتى لو عرفت بأنه كان هناك أشك إذا كنت ستتصلين بي.»

«لماذا تقول هذا؟»

«لأني بدأت أشك بأنك تعاملين فيكتور برقة. على الرغم من فارق العمر. قد تبدئين أيضاً في الوقوع في غرامه...» توقفت كلماته عندما خطا فيكتور إلى داخل الغرفة عبر باب المدخل المفتوح. كانت قميص فيكتور مفتوحة حتى خصره، تظهر صدراً مغطى بالشعر. يشع الدم في وجهه من الجهد المتواصل، بينما كان شعره بحاجة إلى تسريح. ودفعته مشاهدة جيلز للابتسام وهو يقول: «مرحباً، أيها الشاب الصغير... هل جئت لزيارة فتاتنا؟»

تجهم جيلز وقال: «لماذا تعني بحق الشيطان بكلمة فتاتنا؟»

لكن فيكتور تجاهل السؤال وتحرك نحو فيونا وقبلها على الخد الأول ومن ثم على الآخر. «عزيزتي، فيونا، ساستعمل المغسلة، إذا كنت لا تمانعين، وبعد ذلك سأسر بفنجان من الشاي.»

اختفى داخل الحمام، تاركاً جيلز عابساً قاتم الوجه، وفيونا تدرك سخرية الموقف، تحاول السيطرة على قهقهاتها! «إنه فعلاً عنيد!» ضحكت. «إنه غير مقتنع قطعاً بأني فتاتك. لا أظن أنك حاولت جهداً كافياً.» وتكلمت مجدداً بمرح.

«لماذا لا يريد الاقتناع؟» سأل جيلز بحدة.

«لأن التفاضل بيننا يظلله التوتر بدلاً من التآلف الودي.»

www.liilas.com

أشارت بلطف. سنوات تجارب فيكتور تخوله ملاحظة هذه الحقيقة.» توقفت مفكرة، ثم قالت: «طبعاً، من ناحيتك مفهومة تماماً.»

«ماذا تقصدين؟» سألها.

«إنها جلية على نحو ملائم. لقد تجاوبت معك بحماس شديد. وهذا ما جعلك تخشى من أن أتناول الأمور بجدية. والآن أنت مرتعب من أن أتخيل فعلاً أنني فتاتك، أو أتوقع منك خاتم الخطوبة.»

«من الذي يقفز نحو الاستنتاج الآن؟» تشدق. «دعيني أؤكد لك بأن هذه الأفكار غير صحيحة.»

قطعت المناقشة عندما دخل فيكتور ومعه عبير من النظافة، وجهه مشرق، شعره مسرح بأناقة، وانبعثت من جسده رائحة صابون الحمام بعد ذلك. وبينما سكبت فيونا فنجاناً من الشاي، قال: «سأحضر بعد أيام قليلة. لأزرع البذور. سيعطيني إيدي غرين لائحة بالبذور التي ساستخدمها. سوف أشتري البذور... ساستمتع بالقيام بذلك.»

هل سيكون بإمكانه التذكر؟ تساءلت، وهي تفكر بأن هذا سيكون اختباراً مشوقاً.

وجه جيلز إليه نظرة قاتمة وهو يقول: «هل من المعقول بأن تقوم بمحاولة سرقة فتاتي، أيها الشاب العجوز؟»

ضحك فيكتور. «عزيزي الولد، لا تحاول خداعي! أشك كثيراً في أن تكون فيونا فتاتك. لدي شك قوي بأنك تحضر فقط عندما تظن بأني قد أكون هنا. هل هذا لأنك تأمل في أن ترعبني؟»

«هراء كلي.» استهزأ جيلز. «أنت لا تعرف ما تتكلم...»

لكن فيكتور قاطعه: «يبدو لي بأنه لو كانت هذه الفتاة المحببة

فعلاً فتاتك، لكنت اصطحبتها إلى المنزل من أجل تناول الغداء أو العشاء منذ مدة طويلة. ولا أصدق حتى أنك ارشدتها إلى مكان سكناك.»

«إذاً إحفظ هذا، هنا والآن، بأنها سوف تكون معنا لتناول الغداء غداً. لقد سبق واتفقت مع آغنز.» أخبره جيلز.

وجهت فيونا لجيلز نظرة ذهول واضحة. «لم تخبرني شيئاً بشأن هذه...»

«هذا فقط لأنني لم أستطع ابلاغك قبلاً.» أعلن لها.

تكلم فيكتور إلى جيلز بصوت حمل سروراً: «الآن باستطاعتك أن ترى ما أقصد. كمحب اعتبرك عادياً جداً مع الكلمات، لذلك قررت مكافأتك على كل ما جاهدت من أجله. من الآن فصاعداً بإمكانك أن تشير بأن فيونا فتاتك... وليتمكن الرجل الأفضل من الفوز!»

بدأت فيونا تشعر بنوع من الهيستيريا وهي تحملق بهما من واحد إلى الآخر. «اعذراني، ألا يؤخذ رأيي في هذه التحضيرات الرومانسية المترقبة؟ يبدو بأنني أبرز بغموض في الصورة الخلفية.» ثم حولت انتباهها نحو الرجل الأكبر، وقالت بنبرات سوية بوضوح: «إذا كان من الممكن أن تكون حسن التركيز على هذه المسألة، يا فيكتور، تذكر بأن جيلز أخبرك بأنه بيننا تفاهم. هذا لا يعني بأنه حبيبي كما تعتقد صدقني... هناك فرق شاسع.»

«هذا يسرني.» قال لها فيكتور بهدوء. «لا أرغب في أن أسحبك من فراشه.»

«أرجوك لا تقترح بأني كنت قريبة إلى هذا الحد.» قالت بحدة.

«لا تنزعجي، يا عزيزتي.» قال جيلز لتهدئتها. «أراد فيكتور أن يمزح قليلاً.»

«هناك كلمات كثيرة صادقة تقال على سبيل المزاح.»

www.liilas.com

قررت فيونا أن تتجاهل تلميحاته، وعلى الرغم من سخطها انقبضت بفرح داخلي سببه فكرة رؤية منزل جيلز.

«ما زلت منتظراً سماع قولك من أنك سوف تاتين.» ذكرها بصبر.

لا نية لها في أن تبدو مثيرة، لذلك تكلمت ببطء: «نعم، شكراً لك... إنا أعطيتني عنوانك فانا متأكدة من قدرتي على العثور عليه بسيارتي الصغيرة.»

«إنه شيء لن أسمح به.» أعلن بثبات. «سوف أمر عليك في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الغد.» توقف، ثم اعترف: «لأكون صادقاً، ليس من عادتي دعوة الصديقات إلى تناول الغداء في منزلي، لذلك ستفهمين أن أعتز ستنظر إلى الأمر وكأنه مناسبة سعيدة. إنها مثيرة لرؤيتك، لذلك أرجو أن تكوني متسامحة إذا بدأت بطرح الأسئلة.»

«تعني بشأن... علاقتنا؟»

«أنا الذي سأشرح لها.» قال فيكتور. «سأخبرها بأنه لا يوجد أي علاقة على الاطلاق.»

ابتعدت فيونا عنهما لتضيف مزيداً من الماء المغلي لابريق الشاي. فيكتور، بدأت تشك، كان ماكراً أكثر مما قدر جيلز. وتكهنت أيضاً بأنه في طريقه نحو الشفاء أكثر مما يدرك الآخرون. ومن ثم كلمات جيلز التالية أدهشتها.

قال ملتفتاً نحو ابن خالته: «هل شاهدت كارين مؤخراً، يا فيكتور؟ هل يسعدك أن تدعوها إلى الغداء؟ سيكون تغييراً لطيفاً عن الاضطرار إلى مقابلتها في المنتزه أو في المطعم.»

أضيئت عينا فيكتور البنيتان ببهجة. «هل تعني ذلك فعلاً، يا جيلز؟ ساكون ممتناً كثيراً.»

أبدت فيونا استحسانها: سيكون هذا رائعاً.» هتفت. «أود مقابلة كارين مرة أخرى. تبدو انسانة طيبة.» شعرت بسرور بينها وبين نفسها لأن جيلز كان يعتبر أن كارين هي الساحرة الصهباء التي خططت لاصطياد فيكتور من أجل الزواج منها. لكن الآن، غير رأيه بوضوح.

في الوقت نفسه شعرت بالحيرة لهذا التغير في الموقف وأنذرتها غريزتها بأن لجيلز سبباً في عقله. هل أمل في أن يحصل على مزيد من التفاصيل بالنسبة للوضع بين كارين وصديقها المقيم في الطابق العلوي؟ أم أراد أن يقوم بمراقبة بعد العلاقة بين كارين وفيكتور؟

قالت وهي تلتفت نحو فيكتور: «هاك الهاتف. لماذا لا تتصل بكارين وتوجه دعوة جيلز؟ هل تستطيع تذكر رقم هاتفها؟» طرحت السؤال بيراءة.

«طبعاً.» ظهر فيكتور بانه مهان تقريباً من طرح هذا السؤال، ثم اتجه نحو الهاتف وضغط على الأرقام من دون تردد. أضاءت ابتسامة وجهه وهو يكلم كارين، لكن نظرة مفاجئة نحو الشخصين اللذين يراقبانه جعلته يدير ظهره ويخفض صوته.

ابتسامة عريضة تنم عن الرضا ظهرت فوق وجه جيلز. «أعتقد بانه في احدى حالاته الانتعاشية.» تفوه بصوت منخفض إلى فيونا.

«أتعجب لهذا الأمر.» همست، وهي تهز رأسها بشك. «في اليوم الذي جزّ فيه العشب قال لي بانه سيعود للاقامة في هذه الشقة. هذا لا يبدو كثيراً كانه في احدى حالاته الانتعاشية بانجاهي.»

«هذا مخيب للأمل.» تمتم جيلز، ثم عنف صوته وهو يوجه لها نظرة فاحصة. «إلا إذا كانت اسقاطات الذاكرة.»

www.liilas.com

«آه؟ ما قد تكون عدا ذلك؟» ارتفع حاجبا فيونا وهي تلقي نظرة خاطفة إلى فيكتور، الذي ما زال مستغرقاً في مكالمته.

«من الممكن أنه حصل على جرعة قليلة سارة من التشجيع.» ضاقت العينان البندقيتان الداكنتان.

أصبحت فيونا مدركة للشعور يغوص في صدرها. «عمّ تتكلم؟ تشجيع ممن؟»

«هل أفظها لك؟» كان صوته الآن ملعلعاً بالشؤم. «من الممكن أن تكون قد أعطته عينا تلك السيدة المعنية الإشارة الخضراء مجدداً... الإشارة الداعية القديمة.»

«كيف تجرؤ؟» قالت بحدة وبصوت خافت.

«طبعاً، باستطاعتي أن أفهم بأنك تتخذين مثل هذا القرار.» تابع «السعادة الزوجية مع فيكتور لن تكون غير سارة، سوف تعتني بكل مشكلاتك العاطفية، سوف تعطيك الأمان، والحاجة إلى الخياطة لأطفال الآخرين ستمحى كلياً.»

لم تستطع تصديق أذنيها. هل هذه الكلمات صادرة بالفعل من الرجل الذي عانقها بعمق؟ هذا اثبات مؤكد بأن تلك القبلات لم تعن له شيئاً على الاطلاق. بخيبة وألم طرفت عينيها لتسيطرا على الدموع التي أخذت تزحف إليهما. «أنا مندهشة من قدرتك على إهانتي بهذا الاسلوب، يا جيلز.» قالت بهدوء.

لكن قبل أن يستطيع الإجابة أعاد فيكتور سماعة الهاتف وتقدم نحوهما. ولم يكن قادراً على اخفاء وميض الرضا من عينيه وهو يقول: «قالت كارين بأنه سوف يسعدها أن تشاركنا الغداء غداً.»

الفصل السادس

عندما أوت فيونا إلى الفراش تلك الليلة، جافاها النوم وأصبح عقلها كتلة واحدة مشوشة. على نحو كبير لم تكن سوى حمقاء غبية، أثبت نفسها تكراراً خلال ساعات الظلام. منذ اللحظة الأولى ادركت بأن الذي يسمى تفاهماً بينها وبين جيلز كان زائفاً، لا يحمل أي طابع جوهري من أي نوع. لم يكن من حاجة لتذكيرها بأن الباعث لذلك كان لمنع فيكتور من التفكير بها، لكنها فشلت. لقد بقي فيكتور، على ما يبدو غير مقتنع، والآن يشك جيلز بأنها كانت تفكر بفيكتور. إنه شيء ينبغي أن يطلق عليه تفويراً كاملاً ومفاجئاً.

إذاً لماذا كانت تتقلب فوق فراشها باستياء من اللغة الذي كانت تسمعه يلتطم بالشاطئ؟ على الرغم من الأشجار والمروج التي تفصل بينها وبين الشاطئ، فقد بدت الأمواج قريبة جداً لتشكل جزءاً من اضطراب عقلها. وبعد ذلك جاء الجواب واضحاً كغابة، صارخاً لها خلال الظلمة ليذكرها بأنها كانت تشغل نفسها في أمر سببه شكوك جيلز.

فهمت أيضاً أنه كان يستخدمها فقط في جهوده ليوجه أفكار ابن خالته إلى أن يستطيع ابن الخالة المزعوم أن يفكر بنفسه بوضوح. وعندما يحلّ ذلك اليوم سيقول جيلز وداعاً وينسى أنها كانت في ما مضى موجودة. لكن هل باستطاعتها أن تنساه؟ أبداً ولو في ألف سنة. ضربها هذا الادراك بعنف.

هذا هو صلب الموضوع. زحف جيلز بطريقة غامضة إلى

www.liilas.com

داخلها، وجعلها تفكر به مراراً كل يوم إلى أن دفعته بعيداً عن أفكارها وهي غاضبة من نفسها وقامت بمحاولة للتركيز على عملها. لكن حتى هذه الجهود كانت ضعيفة وغير مجدية. والآن، خيبت الوسادة، وقررت أنهم يجب أن يعودوا إلى نقطة البداية. سوف تغير رأيها بشأن الذهاب إلى الغداء غداً.

وجدت في صباح اليوم التالي بأن وهن الليلة السابقة قد خفّ، ولكنه لم يختفِ كلياً. نهضت عن السرير، أخذت حماماً وغسلت شعرها، ثم تفحصت الطقس لتختار ما سوف ترتديه للذهاب إلى الغداء مع جيلز. آه، لكنها ليست ذاهبة. هل هي؟ حسناً، سوف تفكر بهذا الشأن.

احتوى الفطور السريع على الشاي والبغيز المحمص والمربى. بعد ذلك تناولت مرة ثانية ثوب نوم الطفل من الدرج لتفصله هذه المرة من دون مقاطعة، لأن جيلز لم يكن متوقعاً حضوره قبل الحادية عشرة والنصف. هل عليها الذهاب معه؟ تأنقت استعداداً فقط في حال قررت الذهاب معه.

وصل في الموعد المحدد. بنطاله الملائم لجسمه وقميصه أظهرا أنه دائم التأنق. جالت عيناه في مظهرها وقال: «تبدين منتعشة بصورة ممتعة.»

كان تعليقه على مظهرها صحيحاً. البلوزة ذات الكمين القصيرين والتنورة البيضاء المنقطة بالبني تتناسقا مع لون شعرها. وبينما خطا جيلز نحوها وجدت نفسها ترفع وجهها آلياً [illegible]

لكن ذراعيه لم تطوقاها بل قال بنبرة باردة: «آسف لكنني لست الشاب الآخر.»

«كذلك أنا.» انفجرت به. «أنا متأكدة من أن فيكتور قد يفعل أفضل من هذا...» توقفت وهي تعض على شفتها.

«حسناً، ما من شك من أنك تعرفين تماماً ما بإمكان فيكتور فعله.»

«ولا أتخيله يقول أي شيء جارح.» تابعت: «في حين، أنت على ما يبدو، تجد الأمر سهلاً، خاصة عندما يتعلق بي.» كان من الصعوبة اخفاء الرجفة في صوتها.

«أرجو أن تصدقي بأن لا نية عندي في أن اجرحك...» بدأ، وهو يتقدم خطوة نحوها.

«أنت تذهلني.» قاطعت بمرارة، مبتعدة عنه. «لقد فعلت القليل غير ذلك منذ أن بدأ ذلك التعاطف المزيف. لماذا وافقت على ذلك حينها، لا أعرف.»

فما صوته، يبدو أنني أنكر بعض الأوقات حينما لم يكن تحالفك معي بهذه الصعوبة. لكن كان ذلك قبل أن تحولي انتباهك نحو ابن خالتي.»

تجاهلت إشارته إلى بعض اللحظات الحميمة فيما بينهما وقالت: «التحالف، أيأكان نوعه بحاجة إلى قدر معين من الثقة. أولاً كنت مشككاً بالنسبة لكارين، والآن عدم ثقتك انتقلت لي. وبصراحة سئمت كل ذلك، وقد عزمت على إلغاء كل شيء بعد هذا اليوم.»

«هل تعنين بأنك ستخبرين فيكتور بأن لا شيء بيننا؟»

«ألم يوضح أن باستطاعته أن يرى ذلك بنفسه؟»

«لكنه لا يستطيع أن يتأكد من ذلك.» توقف ليحملق بها. «إذاً تتراجعين عن وعدك وترفضين مساعدتي؟»

أفلتت منها ضحكة ساخرة. «أرفض مساعدتك؟ قول مبالغ به... خاصة وأنني أصبحت الآن المتهمة الرئيسية.»

www.fileas.com

بدا أنه أخذ قرارها بشكل جدي وكأنه أصبح أمراً واقعاً فهزّ كتفيه قليلاً وهو يقول: «على الأقل لنحاول التمتع بوقتنا اليوم، حتى إذا كانت فقط من أجل الأشخاص الآخرين. لذا... هل نعقد هدنة؟» بدا عابساً وهو ينظر إليها.

«سأستمر لغاية هذا المساء.» قالت. «إذا كنت تود معرفة الحقيقة، لقد كنت أن أعدل عن الذهاب اليوم.»

عبس. «لم تكن عندي أي فكرة بأن هذه المسألة أزعجتك إلى هذا الحد. ما الذي غير رأيك بشأن العجيء؟ هل الأمر يتعلق بمشاهدتك لفيكتور؟»

استطاعت كبح جماح غضبها. «لا، لم يكن ذلك! كان الأمر بأني سبق ووعدت بالمجيء كما كان أيضاً التفكير بأن آغنز تواجه متاعب كثيرة لتحضر غداء شهياً لضيفة لن تظهر.»

«وطبعاً أزالت الغبار من كل ركن وشق.» ابتسم ابتسامة عريضة. «المنزل في غاية النظافة. هل نذهب؟»

فتح باب السيارة لها، وبينما مال عليها ليشد حزام الأمان في مكانه، أثار أحاسيسها العبير المميز من عطر ما بعد الحلاقة الذي يستعمله. وبعد ذلك، عندما ارتد بسيارته ثم انعطف نحو شارع تشارلز، حملقت إلى الأمام حيث استكانت صفوف المنازل في نابير هيل بين الأشجار. بدأ شعور مثير غامض بالزحف داخل أعصابها، وكانت مسرورة لأن احساسها بالغضب لم يسمح لها بأن تفوت هذه المناسبة لمعرفة المزيد حول جيلز. لكن لأي سبب، غباء؟ سألت نفسها.

ترتقي الشوارع صعوداً إلى داخل المنطقة السكنية العالية وتتلوى مثل شرائط ضيقة على نسق التعرجات الطبيعية. بعد ذلك، بينما كانت فيونا تتساءل إذ كانا متجهين إلى القمة، انعطف

جيلز إلى ممر خاص لمنزل حيث الحديقة تتوهج بالألوان.

عندما أوقف سيارته عند المدخل الأمامي، خرجت امرأة بسرعة مذهلة جعلت فيونا تتساءل في ما لو كانت تترقب حضورهما بالثانية. وقفت تنتظرهما ليصعدا السلالم، وعندما وصلا الشرفة قدمها جيلز.

«فيونا، هذه هي السيدة غرين. لقد أخبرتك عن آغنز التي تهتم بنا. آغي، هذه هي فيونا ماك كي.»

تقدمت آغنز إلى الأمام ويدها ممتدة. «سررت لرؤيتك، يا عزيزتي. أخبرني جيلز عنك.» كانت آغنز تميل إلى السمنة، متوسطة العمر، تحتاج إلى نظرة واحدة حادة من عينيها الزرقاوين المشعتين، لتعرف كل تفصيل صغير من مظهر فيونا. ثم قالت لجيلز: «فيكتور وصديقته يجلسان في الشرفة الخلفية. إن كنتما تودان الانضمام إليهما.»

«لا داعي لازعاجهما.» قال جيلز بسهولة. «ساري فيونا المنظر الطبيعي من النوافذ.»

«الغداء في الساعة الثانية عشرة والنصف، في غرفة الطعام.» قالت آغنز بنبرة ثابتة. ثم ابتسمت لفيونا وهي تضيف: «إن لم أوضح هذا سيأتي متمهلاً عند الساعة الواحدة والنصف ثم يتساءل لماذا اختفى كل شيء!»

ضحك جيلز. «تظن عزيزتي آغي أنها تحكم هذا المسكن.» قال لفيونا، ثم التفت نحو آغنز، وقال: «سنتناول الشراب في غرفة الجلوس بعد دقائق، وهذا يشملك وإيدي.»

«سيكون هذا محبباً، شكراً لك.» أجابت آغنز. «الآن يفترض أن تري فيونا هذه المناظر الجميلة!»

شعرت فيونا بدوران خفيف عندما أدركت بأن جيلز كان على

www.liilas.com

وشك أن يريها كل أنحاء المنزل، الذي كان مبنياً بمتانة على الطراز القديم. المناظر من النوافذ كانت بالفعل شاملة، تغطي طول الشاطىء الممتد حول الخليج إلى حيث كايب كيد نابرز ينتهي بخط من الصخور البيضاء. وفي الأسفل، الميناء منقط بالأشرعة البيضاء، بينما إلى الخلف من الشمال والغرب امتدت الجبال نحو السلسلة الداخلية في خط من الثنيات الزرقاء.

وجدت أن الطابق العلوي يتألف من أربع غرف نوم وحمام. غرفتا النوم الرئيسيتان لهما جناحاهما الخاصان والشرفتان الخاصتان. في الطابق الأرضي كانت غرفة الجلوس وغرفة الطعام متصلتين بقنطرة، بينما الطريق إلى غرفة الجلوس الرئيسية الواسعة هو من مدخل الردهة الأمامي.

«يدي وأفتر لهما جناحهما الخاص الذي يقع في الجهة الأخرى من الممشى،» شرح جيلز. «والآن أظن أنه حان وقت الشراب.»

عادا إلى غرفة الجلوس، وبينما سكب جيلز كأسين من الشراب، ذهبت فيونا نحو النافذة الثالثة الكبيرة حيث نصب منظار مكبر فوق منصة.

«كانت هذه هواية جدي المفضلة.» قال جيلز وهو يناولها كأساً ذا ساق يحتوي على سائل بلون الذهب. «استمر بالادعاء أنه يستطيع مشاهدة الناس على الشاطىء عند وستشور وهم يغيرون أفكارهم.»

«كل شيء واضح ويبدو قريباً جداً.» وافقت. «باستطاعتي رؤية شعاب الشاطىء قرب موقف السيارات المقابل لمنزلي.»

«حيث ينمو شجر النفايو؟ أتذكر لحظة وقوفنا في ذلك المكان.» قال وفي صوته نبرة غضب.

تذكرت فيونا أيضاً اللحظة، حين طلب جيلز منها أن تساعده في خداع فيكتور واقناعه بأن هناك تفاهماً بينهما. ولكنها برغم ذلك لم تشر للأمر، بدلاً من ذلك تابعت الكلام عن شعاب الشاطىء: «إنها مثل ظل أسود طويل تحت الماء. عند الجزر يمشي الناس فوقها لجمع الأصداف.»

«أنا متأكد بأنك تستطيعين رؤية شجر النفايو.» أصر على المتابعة، وكأنه عازم على جر ذهنها إلى تلك اللحظة عندما وقفا تحت الأغصان الوارفة.

لكنه لم يفلح، وبدلاً من أن تسمح لنفسها في البقاء تحت ضوء القمر في سحر عناقه، مكّنت نفسها من القول عرضاً: «الأشجار واضحة جداً. القمم المستديرة تجعلها تبدو وكأنها تتعانق.»

«متحمسين... مثل العشاق؟» سأل بنعومة.

«لا، ليس مثل العشاق.» قالت له بهدوء. «الأشخاص الذين يحبون بعضهم بصدق يقفون مستقيمين وكأنهم يتوقون لاخبار العالم.»

«ليس كل العشاق.» صحّح، بنبرة هازئة: «البعض يتسلل حول الحديقة الخلفية، ليجز العشب ويحرث أرض حديقة ويحفر رقع الخضار.» أظهرت حركة فكه انزعاجه.

وجهت فيونا ابتسامة فريدة. «كم هو لطيف منهم أن يكونوا ذوي فائدة لهذه الدرجة!» ثم، لتبرهن بأنها غير متضايقة من تلميحاته، غيرت الموضوع مرة أخرى وهي تختلس النظر من المنظار المكبر وقالت: «صدفع برج سباق اليخوت يبدو ضخماً تماماً. هل يترنّد صدى انفجاره ويصل إلى هنا؟»

أحبط جوابه مع دخول فيكتور وكارين إلى الغرفة. رحبت الفتاتان ببعضهما البعض وكأنهما سعيدتان حقاً للالتقاء مجدداً.

www.liilas.com

بينما اقتصر ترحيب فيكتور على قبلة فوق خد فيونا. جعلها تصرفه تتورد، خاصة وهي تدرك الوميض الجليدي في عيني جيلز.

لحسن الحظ أنقذ الموقف دخول آغنز وزوجها، ثم وجدت فيونا نفسها تُقدم إلى إيدي غرين. كان رجلاً صغير الجسم نحيلاً، تلمعت عيناه الزرقاوان بها بنظرة تقييمية، وعندما تحركت إلى الأمام لتسلم عليه، اعتلت ابتسامة سارة وجهه المجعد.

«أنا سعيد للقائك.» قال. «حدثني فيكتور عنك...»

قاطعت آغنز في محاولة لتصحيحه: «لا، يا عزيزي، أنا أكيدة من أنك تقصد بأن فيكتور حدثك عن كارين. وقد حدثني جيلز عن فيونا.»

هزّ إيدي رأسه وهو يجادل: «عزيزتي، أعرف ما قيل لي. حدثني فيكتور عن فيونا وصديقتها وسألني عن البذور.»

«هذا معقول.» تدخل جيلز. «وحقيقة اضطراره للسؤال عن البذور التي يجب زرعها تثبت عدم خبرته في هذا المجال.»

«معك حق... أنا حقاً لا معلومات لدي.» أقرّ فيكتور بابتسامة واسعة.

«لكنك تعمل جهدك.» تابع جيلز بنبرة لطيفة، ثم قال: «فيكتور، أيها الشاب العجوز، ألا تحب أن يزيل إيدي هذه المهمة عن عاتقك؟ وتستفيد فيونا من خبرته المهنية، ومن المؤكد أن البذور ستعطي نتائج.»

تكلمت فيونا بحزم: «لا حاجة لقلق أي كان في شأن زرع الحديقة الخلفية. سيقوم والدي بذلك عندما يعود في الشهر القادم.»

زمّ إيدي شفتيه بشك وهو يقول: «سيصبح الوقت متأخراً إلى حد ما... سيفوتها مطر الربيع. يسعدني القيام بذلك.»

«هذا ينهي الأمر بأفضل ما يمكن، إذاً.» قال جيلز برضى تام، موجهاً لفيونا نظرة غامضة.

رمقته بنظرات حليفة بالشك، ما كان غرضه من اجراء هذه الاتفاقيات؟ تساءلت. هل كان إيدي مؤهلاً لمعرفة كيف طلب منه من دون أخذ رأيها؟ أو هي حرمان فيكتور من عذره لزيارة شقتها؟ يجب أن تتقاضى عن السبب الأخير، لكن في الوقت الحاضر لن تسمح لهذه الانتقادات من أن تفسد عليها يومها، وبجهد لإزالة هذه الأمور عن رأسها عادت إلى التلهي بالمنظار المكبر.

سار جيلز إلى جهتها بينما كانت تختلس النظر من خلاله. «أعرف بأنك تنظرين إلى أشجار النغايو. هل ترين شبحين ارتميا في ذراعي بعضهما بعضاً؟» وبّخ ساخراً بصوت منخفض.

«أي شبحين؟» تساءلت بنبرة خائفة، متجاهلة بتعمد إشارته نحو نفسيهما. «لم أضبطك بسرعة. إذا أردت أن تعرف، كنت أراقب أناساً في نقطة انطلاق الهرج حيث الحكام الرسميون يشرفون على سباقات البغوث. يمكن رؤيتهم بوضوح.»

«هل هذا فعلاً؟ مع أن المنظار غير موجه إلى الناحية الصحيحة؟ مذهل، يجب أن أقول!»

تورد خداها. «ماذا تقصد؟»

ابتسم جيلز ابتسامة عريضة. «أعرف هذا المنظر جيداً. بضع درجات إلى اليمين ضرورية لتعطيك برج المدفع، إذاً لماذا الانكار، كنت تحدقين إلى المكان حيث تنمو أشجار النغايو؟»

www.liilas.com

«أشجار الخداع.» همست حزينة. «المكان حيث وافقنا على خداع فيكتور.»

«قرار تندمين عليه الآن بمرارة.» جاءت كلماته أكثر بقليل من تذمر منخفض، بينما خيم العبوس فوق حاجبيه.

«الخديعة من أي نوع تثيرني.» قالت بحدة.

«سأحاول أن أحفظ ذلك في ذهني.» أطلق وهو يلوي فمه مستهزئاً. «لأكون صادقاً، لقد بدأت أتساءل من هو المخدوع تماماً... فيكتور أم أنا؟»

ألقت فيونا نظرة قلقة على ما خلفها خشية أن يكون الآخرون قد سمعوا ملاحظة جيلز الأخيرة، لكن ما عداهما كانت الغرفة خالية الآن. توجه فيكتور وإيدي إلى غرفة الطعام، بينما كارين لحقت بآنفر إلى المطبخ. قالت متنهزة فرصة غيابهم: «أظن أنك مرتبك إلى حد ما. يظهر أنك نسيت بأن لا علاقة بيننا لتكون الطرف المخدوع فيها.»

ومضت في عينيه نظرة غريبة وقال معترفاً: «طبعاً أنت على حق... برغم ذلك، أحياناً تبدو أنها حقيقية.»

لم تعط أي إشارة عن الحرارة الداخلية التي سببتها كلماته. بالمقابل حافظت على صوتها بارداً وهي تقول: «لا تدع الفكرة تتحكم بك. ولا حتى مقابل العالم ساكون الشخص الذي ينتزع منك حريتك الثمينة.»

«حرية؟» عبس بينما كان يكرر الكلمة.

«نعم، أهم اولوياتك.» اتسعت عيناها لتفضح التأنيب المبطن في كلامها وهي تضيف بمرارة: «يجب القول إنك مضيف رائع... تدعوني إلى الغداء لكي تتمكن من مضايقتي بهذا الأسلوب.»

حملق بشدة إليها، انعقد حاجباه، وظهر عضل صغير يهتز في خط فكه. «لم تكن هذه نيتي كما تعرفين جيداً. إذا تذكرت المحادثة التي جرت في شقتك، أشار فيكتور عنك بأنك فتاتنا والذي يجعلني أتساءل منذ متى عرفته؟»

عبست، محاولة إدراك ما يقصده، ثم قالت: «فقط منذ بدء معرفتي بك... أي التي بدأت منذ ذلك اليوم الذي وجدته هناك.»

بدا مشككاً: «أشعر بشك في ذلك. أرتاب الآن بأنه كان يزورك من اليوم الذي أصبح فيه قادراً على الاتصال بسيارة أجرة. إذاً لا تزعجي نفسك بانكار ذلك الآن، لننضمّ إلى الآخرين.»

كانت فيونا تغلي من الغيظ فيما كان يقودها إلى غرفة الطعام، حيث أخذ مقعده عند رأس المائدة، وأجلسها إلى يمينه وكارين إلى يساره. انتشلت آنفر بدور المضيفة من الجهة المقابلة للمائدة، مع فيكتور إلى يمينها وإيدي إلى يسارها. بترتيب وضع فيكتور إلى جانب كارين. اشترك الجميع بتبادل الأحاديث فيما قامت آنفر بإلقاء أسئلة مؤدبة عن والدي فيونا قبل أن تركز حديثها على كارين.

«أفهم من أنك تهتمين بسيدة مريضة. هل هي بتحسن؟» سألت بنبرة أمومية.

عبّر وجه كارين عن الارتياح. «نعم، أعتقد، بصورة لا تقبل الشك، بأنها تتماثل إلى الشفاء أخيراً.»

قال فيكتور: «أي كان تتحسن صحته على يد كارين.»

ضحكت كارين. «أهذا تقديرٌ لعملي، أم لأنهم يريدون التخلص مني؟ لا يضايقني الاقرار بأني ممرضة حازمة. المرضى لا يستطيعون المراوغة في أخذ الدواء.»

«تعرفين ما أعني.» قال، وهو يسدد لها نظرة محبة.

www.liilas.com

قالت آغنز بعاطفة: «لا بد وأن المرأة المسكينة كانت مريضة جداً.»

هزّت كارين رأسها. «نعم، أجري لها عملية جراحية، وثم احتاجت إلى نوع من المساعدة، عجز شقيقها عن تقديمها لها، مثل الاستحمام وغيره، إذا فهمت ما الذي أقصده.»

«أفهم بالتأكيد. عندما تمرض امرأة فهي تحتاج لأمرأة أخرى في المنزل.» وافقت آغنز بتفهم.

ضحك إيدي. «كيف باستطاعتك الفهم، يا أمي؟ على ما أذكر أنك لم تصابي بيوم واحد من المرض في حياتك كلها. ولو مرضت ساكون قربك لأساعدك.»

«لكنك زوجي، يا عزيزي.» أشارت آغنز، ثم التفتت إلى كارين. «ألم تقولي إن مريضتك تعيش مع شقيقها؟»

«هذا صحيح. في الحقيقة إنهما توأمان شقيق وشقيقة، ويحبان بعضهما البعض جداً.»

«ألديهما عائلة؟» تابعت آغنز.

«فقط أبناء وبنات أخ يقيمون شمالي أوكلاند.» كان هناك صمت وجيز وكانها تتأمل كلماتها التالية، ثم قالت: «هؤلاء الأقارب اخذوا مؤخراً على عاتقهم محاولة اقناع عمهم وعمتهم بان يتركا نابير والانتقال للاقامة قريباً منهم.»

«هذه حتماً فكرة سديدة.» قالت آغنز. «لا شيء مثل العائلة عندما تدعو الحاجة. أنا متاكدة من أن فيكتور يوافق على كلامي.» أضافت باهتمام.

«لا حاجة إلى الخوض في هذا الموضوع، يا أمي.» قال جيلز، ثم التفت إلى كارين، وفي عينيه تساؤلات. «إذاً ما يعني لك هذا الانتقال إلى نورث لاند؟»

رمقته بالمثل وهي تقول بثبات: طلبت متأكدة. قد أذهب إلى منزلي وأقضي بعض الوقت مع والدتي.»

«هل هذا يعني بأن علاقتك... الطابق العلوي... غير مستقرة كلياً؟» كان في نبرة صوته تلميح عطوف.

أطلقت ضحكة قصيرة، ثم أقرّت: «أشك في أن تستمر أكثر مما هي عليه الآن.»

«ربما منزلك يقع في اتجاه نورث لاند.» اقترح بقسوة، وارتفع حاجباه الداكنان.

تنهدت كارين. «لا، إنه في الاتجاه المعاكس من نورث لاند. والداي يقيمان في تيمارو. والدي طبيب هناك.»

«يا إلهي، إنه مكان بعيد جداً في ساوث أيلاند!» هتفت آغنز. ابتسم جيلز لها بدهشة ساخرة. «إنها كذلك، يا أمي. من القرابة معرفتك بالجغرافيا إلى هذا الحد.» والتفت إلى فيكتور ليسأله: «هل كنت ستعرف أين تقع تيمارو، أيها الشاب العجوز؟»

حمل وجه فيكتور تعبيراً مؤلماً. «يا إلهي! هل تسمح بأني لا أعرف مكان تيمارو؟ إنها تبعد حوالى المئة ميل جنوبي غربي كريستشيرش، طبعاً.»

دارت نظرة سريعة بين الآخرين، وهي تراقب وجوههم، خمّنت فيونا بأنهم جميعاً يحملون فكرة واحدة. ذاكرة فيكتور تحسنت بشكل قاطع. يكون هناك أوقات يعاني منها من التشويش أو العودة إلى الماضي من دون شك، لكن حقيقة قدرته على معرفة مكان تيمارو بهذه السرعة أعطى انطباعاً بانه عاد تقريباً إلى طبيعته.

لكن ما هي أفكار فيكتور الحميمة؟ تساءلت. بدا ظاهرياً غير قلق من معرفته بأن كارين قد تغادر نابير. بالفعل، يبدو أنه لن

www.liilas.com

يستطيع إلا أن يكون غير مبالٍ في ما لو ذهبت بعيداً نحو الشمال أو بعيداً نحو الجنوب. ربما، بعد كل ذلك، يكنّ لها قليلاً من المشاعر العميقة. وبينما التفتت لتنظر نحو جيلز تساءلت إذا كان هو أيضاً يحمل الأفكار نفسها.

ثم، وكأنما أراد تأكيدها، التفت فيكتور نحو جيلز وقال: «هل نذهب إلى وستشور بعد الغداء؟ باستطاعتنا مراقبة سباق اليخوت... وأود أن أري كارين شقتنا.»

اتبعت كلماته بصمت مطبق إلى أن التفتت كارين لتحملق به، واتسعت عيناها الزرقاوان وهي تسأل: «ماذا تقصد بـ شقتنا؟»

«شقة فيونا وشقتي، طبعاً...» توقف، وكأنه أدرك فجأة ما كان يقوله.

ارتعبت فيونا من هذه الكلمات. اختلست نظرة سريعة نحو جيلز، ثم قامت بمحاولة لانقاذ الموقف بقولها: «بقصد الشقة التي كانت في ما مضى له، لكنها لي الآن.»

لكن بدت كارين غير راضية على نحو تام. «هل كان يزورك؟» سألت بصوت بارد وابتسامة طفيفة تعلو وجهها.

ترددت فيونا، ثم أقرت: «أحياناً فقط.»

كانت عينا كارين مؤنبتين وهي تلتفت إلى فيكتور. «وهل كنت هناك عندما كان من المفترض أن تلقاني؟ ذهبت إلى مقعدنا المفضل في المتنزه وانتظرت وانتظرت!»

عبس فيكتور، وهو يبدو مرتبكاً قليلاً، ثم قال: «هل هذا يهم؟ لك صديقك المقيم في الطابق العلوي.»

كانت كارين أن تسقط تقريباً في كرسيها. «نعم، طبعاً... أفهم جيداً.» قالت بكآبة، وكأنها عاجزة عن مناقشة هذا التصريح البسيط.

شعرت فيونا بالأسف نحوها، وهي تدرك بأن مشاعر كارين كانت من المحتمل متمزقة ما بين فيكتور وشقيق مريضتها. هي نفسها شعرت بعدم الراحة وتاقت لأن تقول بصراحة إن لا شيء بينها وبين فيكتور. لكنها كانت ضيفة، والقيام بذلك تصرف غير لبق. لذلك فكرت بأن القليل الذي قيل قد يحسن الوضع.

ثم كان السؤال في ما اذا كان يصدقها القابع قبالتها إلى المائدة، خاصة بعد أن أشار إلى منزلها بـ «شقتنا» جيلز، آغنز وإيدي عرفوا بأن فيكتور طلب سيارة أجرة وخرج، الله أعلم إلى أين، إذاً هل يصدقها جيلز؟ نوعاً ما يبدو أن الجواب على هذا السؤال هو الأكثر أهمية من أي أمر آخر.

خاطب جيلز فيكتور، وكان ليس هناك تيار خفي من التنافر بينهما، بنبرة طيبة: «إنها فكرة حسنة، يا فيك.» قال عائداً إلى الاقتراح الذي أشار إليه فيكتور: «سنذهب إلى وستشور ونراقب سباق اليخوت.» انتصب على مقعده مرتاحاً وهو يشكر آغنز: «كان هذا غداءً شهياً ـ شكراً لك، يا آغنز. إذا كنت تودين وإيدي الذهاب إلى وستشور فعلى الرحب والسعة.»

تكلم إيدي بسرعة: «هذا لطف منك، يا جيلز، لكن لا، شكراً لك. أي سباق لليخوت أستطيع مراقبته من خلال المنظار.»

قدّمت آغنز اعتذاراً آخر: «أود أن أتم قراءة رواية عاطفية.» قالت: «من الغريب كيف أن الحب الحقيقي لا يجري أبداً بلطف. يبدو أن الاثنين في هذا الكتاب لا يفعلان شيئاً غير المشاجرة، مع ذلك يظهر بأنهما منجذبان لبعضهما الآخر بمغناطيس خفي.»

ابتسم لها جيلز ابتسامة غير مرحة. «هاك أين تنتمي القصص العاطفية، يا آغنز... في الكتب.»

www.liilas.com

ضحكت آغنز. «فقط انتظر، يا جيلز هاميلتون... سوف تقع في يوم من الأيام!»

لم يقل جيلز شيئاً. بدا فقط مشككاً.

وجدت فيونا نفسها في وقت قصير تجلس بقرب جيلز في سيارة الجاكوار البيضاء، بينما كارين وفيكتور أخذا يثرثران بطريقة ودية في الخلف. جيلز، لاحظت، كان لديه القليل ليقول لها، ثم ذكّرت نفسها أنه كان يسلك طريقاً ضيقة وعليه التركيز.

برغم ذلك كانت واعية للجدار الرقيق الذي علا بينهما حجراً حجراً، منذ اللحظة التي ذكر فيها فيكتور الشقة. والآن إن التوتر الذي سيطر عليها جعلها تشعر بالكآبة.

لتجري المسائل نحو الأسوأ، كوضع الملح على الجرح، قالت كارين بنبرة رفيعة تحت ستار من الاستهزاء: «هل نحن ذاهبون حالاً إلى الشاطئ؟ أرجو أن لا يفوتني منظر شقتك!»

تمايلت فيونا على مقعدها لتنظر إلى كارين ببرود. «جعلها تبدو مثل عش للغرام!» أعلنت بغضب، ثم ندمت في الحال على الكلمات.

«بدأت تظنينها هكذا!» سأل جيلز بلطف.

«لا، لست كذلك... ولا يجوز لفيكتور أن يصفها بشقتك!»

«حسناً، هذا ما أظنه.» قاطع فيكتور من دون أي إشارة للاعتذار أو للندم.

لم تجب فيونا وأدركت أن الإجابة شيء غير مجد وإلى أن وصلوا إلى الشقة كانت تضطرب داخلياً، وهي تقول لنفسها ليصدق جيلز ما شاء. بالنسبة لكارين، فلن تبالي بما تظنه. ولم يخفّ غضبها عندما فتحت الباب ودعتهم إلى الداخل.

أسرعت كارين إلى داخل الغرفة ووقفت تحملق في ما حولها.

«إذاً هذه هي!» هتفت بعد أن خطت بضع خطوات قادتها إلى تفحص غرفة النوم، الحمام والمطبخ. «إذاً هذا هو المكان الذي يأتي إليه فيكتور عندما يكون من المفترض أن يقابلني. هذا هو عش الغرام!»

«لا تجرؤي على تسميتها عش الغرام!» قالت فيونا لها بحدة. «في الحقيقة يا كارين، تخيبت آمالي بك كثيراً. عندما التقينا في البداية ظننت بأننا قد نصبح صديقتين، لكني أخمن الآن بأن هذا امر مستحيل.» دارت بسرعة لتواجه فيكتور، وعيناها الزرقاوان تتوهجان من الغضب بعنف. «لماذا لا تقول لها الحقيقة؟ أنت تعلم جيداً بأنه ليس هناك أي شيء بيننا!»

نظر فيكتور إليها بصمت، ثم هزّ رأسه وكأنه مصاب بدوار فيما يحاول فهم ما تقصده.

«لا تدعي بأنك لا تستطيع التفكير.» ثابرت فيونا بغضب. «كلنا نعلم بأنك تصل إلى درجة كبيرة من استرجاع ذاكرتك عندما يناسبك ذلك!»

جيلز، الذي كان المصغي المهتم خلال المناقشة بين فيونا وكارين، تكلم الآن للمرة الأولى منذ دخوله الشقة: «أرجو أن لا تضايقيه، يا فيونا.» أنذرها. «غالباً ما يسبب له مثل هذا الضغط انتكاس حالته.»

«هل تفعل هذا بالفعل؟» همست له تقريباً. «إذاً دعني أؤكد لك بأنني في هذه اللحظة أنا الشخص المنزعج...» حاولت تمالك غضبها، متذكرة بأن هؤلاء الأشخاص كانوا ضيوفاً في شقتها.

«جيلز على حق.» وافقت كارين. «من غير الحكمة أن تسبب لفيكتور هيجاناً ذهنياً.» انتقلت نظراتها إلى نافذة العرض، ثم تحركت إلى مكان العمل حيث النموذج لثوب نوم الطفل موضوع

www.liilas.com

قرب القماش الذي ينتظر الخياطة. «يبدو هذا رائعاً.» علقت، وهي ترفع الرزمة لتتفحص التصميم. «رائع جداً بالفعل.»

هزت فيونا كتفيها. «هذا جزء من الصناعة المنزلية.»

«عرفت بأن هذه الأثواب تستعمل كعلامة للابتزاز.» قالت كارين بنبرة ذات معنى وجهتها إلى جيلز.

بدا جيلز مغفلاً. «ماذا تقصدين؟»

ضحكت كارين. «إنها إحدى الخدع القديمة في قاموس التقاط الأزواج. ألا تستطيع رؤية المنظر؟ سيدة صغيرة تجلس لتخيط ملابس أطفال بينما تسدد نظرات اتهام نحو الرجل الذي هو من اختيارها. وحتى لو لم تكن حاملاً، يعلم بأنها قد تكون.»

حدّق جيلز بنظرة حادة إلى حيث كان يقف فيكتور قرب المدخل، لكن المكان كان خالياً الآن لأنه كان يمشي عبر المدخل الخاص نحو الحديقة الخلفية. «باستطاعة فيكتور أن يعرف إذا كان هذا أو لم يكن...» بدأ يقول.

قاطعت كارين: «آه، هل باستطاعته التذكر؟»

شعرت فيونا بالدماء تجف من وجهها بينما كانت تصغي إلى البذور السامة التي كانت تُزرع في رأس جيلز والاندفاع للصراخ والغضب على كارين كان مستبداً بها، لكن فقط الارتعاش في صوتها خان قلقها الداخلي. كيفما كان، تمالكت أعصابها وهي تلتفت إلى جيلز وتقول ببرود: «لا أصدق أنني أسمع هذا الحديث بالفعل... ولا أظن أنني تعرضت لإهانة مثل هذه في ما مضى في حياتي كلها... هلاّ تتفضل وتخرجها من شقتي؟» جاءت الكلمات الأخيرة بسرعة.

حاول جيلز بجهد أن يهدئها، كان صوته يلطف بهدوء وهو يقول: «أنا أكيد من أن كارين لم تقصد...»

لكنها قاطعت: «هل أنت بالفعل؟ إذاً لا بد وأنك سادج! وأرجو أن تفهم بأنني لا أريد رؤيتها مرة أخرى... أبداً. وهذا يعنيك ويعني فيكتور!» صرخت به غاضبة.

خطا نحوها، ثم وقف عابساً بينما حملق بوجهها. «لا أصدق بأنك فعلاً تقصدين ذلك.»

«أنا بالتأكيد المطلق أعني ما قلته! لقد سئمت منكما الاثنين! وإذا تجرأ فيكتور وجاء مرة أخرى إلى هذه الشقة سوف... سوف أتصل بالشرطة. هذا وعد!»

زاد تجهم وجه جيلز ولوى فمه بغضب. «هل فعلاً ستقومين بذلك؟»

«فقط راقبني وسترى بنفسك!» صرخت به. «سأشكو بأنه يضايقني باستمرار... سأتقدم بطلب لأحصل على... أمر بعدم الإزعاج، أو مهما تسمى. لبودي به...»

أطلقت كارين ضحكة حادة. «هل تصغي إلى كل هذه الخدع؟» استهزأت. «الشرطة، بالفعل! إنها مزحة!»

«اخرسي، يا كارين!» قال جيلز بحدة. «لقد سببت ما يكفي من المتاعب بتلميحاتك. لماذا لا تأخذين فيكتور عبر الطريق لمراقبة سباق اليخوت؟ هذا ما جئنا من أجله.»

«ماذا عنك؟» طلبت. «ألن تأتي معنا؟ ألم يُطلب منك! أيضاً المغادرة؟ سئمت منكما الاثنين. هذا ما قالته.» جاءت الكلمات بمثابة توبيخ ساخر.

«دي وفيونا مسائل يجب بحثها، لذا أرجو أن تذهبي.» قال بخشونة.

هزت كارين كتفيها، ثم تركت الشقة للبحث عن فيكتور.

رمقته فيونا بنظرة جانبية. «لا أستطيع تصور ما هو الذي

www.lilas.com

علينا مناقشته.» أعلنت بفظاظة. «لقد قلت كل ما أردت قوله.» بدأ الاضطراب الذي في داخلها يصبح واضحاً.

«تصريحك بأنك سئمت منا نحن الاثنين.» قال بخشونة.

«بشكل مطلق.» صرخت بغضب.

«وبشكل مطلق لا رغبة لك في رؤية أحد منا مرة أخرى؟»

فكرت لبضع لحظات طويلة، ثم أقرت: «ربما سيكون هذا تصرفاً حكيماً نعم، على الاطلاق، قد يكون من الأفضل.»

«آه، لكنك ترددت. هل هذا يعني أنك غير متأكدة؟» العينان البندقيتان الداكنتان تخترقانها أكثر الآن.

وجدت فيونا أنه من الصعب الإجابة على هذا السؤال. كيف باستطاعتها أن تقر بأن مجرد الفكرة في عدم رؤية جيلز مرة أخرى طعنتها بألم حاد في مكان عميق ما في صدرها؟ هل كان هذا ما يخرف بألم القلب؟ ثم عليها أن تعي الغيمة السوداء من الحزن التي تحوم حول رأسها؟ ابتعدت عنه، وهي تعقد ذراعيها فوق صدرها بينما هي تحاول توضيح هذه المسائل في عقلها.

ثم الاحساس بيديه فوق كتفيها جعل أنفاسها تتسارع. سمعت صوته يهمس باسمها عندما جعلها تواجهه، ولكنها كانت عاجزة عن النظر إلى عينيه مباشرة فركزت نظرها فوق الخط الثابت من فكه. كان هناك نبض يضرب في عنقه، وتساءلت إذا كان يعني هذا بأنه كان يشعر بالتوتر نفسه الذي شعرت به يمتد في أعصابها. انذرتها غريزتها بأنه ينوي أن يعانقها، وحتى عندما كانت تبحث في ذهنها عن الطريق الصحيح الذي تتخذه... أتخضع لعناقه أم تدفعه بعيداً... قربها منه، وعانقها.

حركته الثانية كانت فجائية فرفعها بين ذراعيه وحملها إلى غرفة النوم، حيث وضعها فوق غطاء السرير وجلس قربها، لكن

حتى وهي تكافح للجلوس وجدت نفسها تضغط بثبات فوق الوسادة.

قال: «هناك مكان لإثنين فوق السرير.»

نظرت إليه، خانقة فجأة من الذي يدور في فكره، ثم أصبحت مدركة بوميض السخرية في عينيه. هل كانت واضحة جداً في الاستجابة لعناقه؟ تساءلت وهي تشعر فجأة بموت احاسيسها. ثم أدهشتها كلماته التالية.

«بمعزل عن فارق العمر، هل نبدو مختلفين كثيراً؟» سأل باستهزاء.

«نحن؟ أخشى أنني لا أفهم ما تقصد.» مع أن الذي قصده كان يزحف إلى ذهنها، ويجعلها تشعر بالبرد.

«أنا أشير إلى فيكتور.» قال بلا مبالاة. «أنا متأكد بأنه حملك على ذراعيه كما فعلت الآن، وبأنه جلس فوق السرير كما أفعل الآن.»

حملقت به بعينين واسعتين من الغضب، بينما التأثير من كلامه هزّ ذهنها إلى تفكير أوضح. ومع أنه كان هناك ارتجاف في صوتها جامت كلماتها بوضوح بارد: «هل أنا محقة في الشك بأنك تتخيل بأنني شاركت المخدع مع فيكتور؟»

«ما الذي يجعلك تظنين أنها تخيلات؟» قال بخشونة.

«إذاً أخبرني، ما الذي يؤكد لك ذلك؟» كانت مهتمة، على الرغم من الألم الذي سببه لها.

«تذبذاً، الطريقة التي ينظر فيها إليك. إنه لا ينظر إلى كارين بالطريقة نفسها، وأضمن أنها لاحظت ذلك.»

«هل الكلام من امرأة غيورة يكفي ليجعلك على إدانتي؟ يجب أن أقول إن هذا ساخراً» قالت فيونا بحدة.

www.liilas.com

«حسناً، سأقر إن اقتراحها بشأن ثوب نوم الطفل سبب لي صدمة. حتى أنها جعلتني أتساءل...» صمت، وعيناه تشقان طريقاً في عينيها يحاول قراءتهما.

«إذ كنت حاملاً الآن؟» صرخت بغضب. «لماذا لا تسألني مباشرة؟»

«هل أنت؟» التوى فم جيلز مع السؤال.

«أخشى من أنه عليك فقط أن تنتظر وترى إذا كنت سأنتفخ.» كانت كلماتها مليئة بالمرارة وتابعت: «في الحقيقة، يا جيلز لقد خاب أملي كثيراً بك. أنت لا شيء أقل من منافق لعين!»

«شكراً جزيلاً لك. ما الذي يجعلك تتفوهين بهذه الكلمات اللطيفة؟»

«بالتأكيد هذا واضح! أحياناً تعاملني وكأنك فعلاً تعني ذلك. وأحياناً تهينني بهذا الشكل. ولم تتساءل لماذا استمعت منذاً»

«اعتبر كلامك بأنه من الأفضل لي الاختفاء من أمامك؟»

«بسرعة الريح، إذا كان ممكناً. لماذا لا تهرع لمتابعة اعتنائك بابن خالتك، يا سيد حارس؟ تذكر، ما زال لديك الصهباء لمكافحتها.»

«صحيح سأقوم بذلك.» أجاب باستهزاء، وترك الغرفة.

الفصل السابع

تركت مغادرة جيلز للغرفة فيونا في حالة من الأسى والاحباط. أشاحت بوجهها فوق الوسادة لتمنعه من سماع العويل الذي تجمع فوق شفتيها، وعندما تأكدت من مغادرته الشقة انغمست في نشيج تعذر ضبطه، كان سبب أغلبه الغضب الشديد.

كيف تجرأ على التخيل أنها حامل من فيكتور؟ إتهامه لها بأن فيكتور قام بزيارات عدة ولفترة أطول من التي اعترفت بها يثبت بأن هذه الفكرة كانت محفورة بإحكام في ذهنه... بينما منظر ثوب نوم الطفل، بالإضافة إلى تلميحات كارين الكريهة، ظهرت لتكون كل البرهان الذي يحتاجه.

بينما استلقت في السرير اهتز جسدها من عذاب البكاء وهي تسترجع هذه الوقائع. إنه خطأك الأحمق، قالت في نفسها. أيتها الغبية، أيتها الغبية المغفلة... ذهبت في أحضان جيلز برغبة شديدة. طبعاً سيظن بأنك تصرفت بالطريقة الخليعة نفسها مع فيكتور... خاصة بعد أن قبلك ابن خالته فوق خدك منذ اليوم الأول. بدا ذلك وكأنك تعرفينه منذ أجيال.

أخيراً، عندما هدأت، استلقت تتساءل لماذا عدم موافقة جيلز أثر بها وجرحها. حسناً، وإن كان يظن بأنها حامل من فيكتور؟ ليفكر بما يود. الوقت كفيل بأن يثبت أو لا يثبت تلك المسألة، لكن في الوقت الحاضر لماذا يعني رأيه الصائب شيئاً لها؟ خطأ. لم يكن هذا رأيه الصائب الذي أقلقها، كان الظلم من رأيه المهين الذي لا يحتمل.

www.liilas.com

عاطفياً منهارة. أغمضت عينيها وغفت لبعض الوقت، ثم استيقظت من جراء صوت غير متوقع آتياً من المطبخ. للحظات عديدة استلقت وأذناها صاغيتان، ثم نهضت وألقت بقدميها فوق أرض الحجرة. تحركت بهدوء في الردهة، ووقفت عند المدخل لتحملق إلى جيلز، الذي استلقى على كرسي، ويحمل بيده فنجان من الشاي، وإلى جانبه طبق من بعض الحلوى المنزلية.

رحب بها بدماثة. «آه، ها أنتِ. هل تشعرين بتحسن بعد تلك العاصفة المتفجرة، على ما أمل؟ الغفوة القصيرة قد تفعل العجائب.»

تدلى فكها قليلاً. «أنت... كنت هنا طوال الوقت؟ أقصد، لم ترحل؟»

«ولا خطوة واحدة خارج الباب. جلست وانتظرت إلى أن خمدت العاصفة. هل أسكب لك فنجاناً من الشاي؟ شعرت بالتأكيد أنك لن تمانعي إذا سكبت لنفسي واحداً.»

هزت رأسها، وهي تعي آثار الدموع التي خلفها بكاؤها وجفناها المتورمان، ثم اتجهت بسرعة نحو الحمام، حيث رشت مياهاً باردة على وجنتيها القرمزيتين. إذاً، جيلز سمع بكاءها. جلس هناك مصغياً... ومن دون شك مع ابتسامة ساخرة متكلفة تطوف حول شفتيه. اللعنة على الرجل... كرهته! أو هل فعلت؟ نعم، فعلت... اشمأزت حقيقة منه!

عندما رجعت إلى المطبخ وجدته قد سكب الشاي لها. «هذا أفضل.» علّق، وهو ينظر إلى وجهها بانتقاد. «أرجو أن تخبريني ما سبب هذا الحزن؟»

«وكأنك لا تعلم!» أجابت فيونا بمرارة.

«هل أنا محق في الشك بأن الأمر يتعلق بفيكتور؟»

«لا بد وأنك متبلد الذهن لتصدق خلاف ذلك.» قالت بحدة.

«هل أنت غيورة جداً من صداقته لكارين؟» أظهر صوته الكثير من العاطفة.

«طبعاً لا!» التهبت بمرارة غاضبة من شفقته عليها.

«مع أن نحيبك هزّ الشقة... عويلك كاد أن يرفع السقف.»

«بحق السماء، هلاّ توقفت عن المبالغة!» طلبت بنفاد صبر. «كيف أستطيع أن أقنعك بأن فيكتور لا يعني شيئاً... لا شيء بالنسبة لي على الاطلاق؟ وبالنسبة لتصديقك من أني قد أكون حاملاً...» أحست بالاختناق وهي تتوقف، وعيناها ممتلئتان بالدموع مرة أخرى، فأخذت تربت عليهما بغضب.

راقبها جيلز باهتمام. «حسناً، إن كنت لماذا لا تثبتين ذلك؟»

فوجئت من ذلك الاقتراح. «كيف باستطاعتي فعل ذلك؟ في أية حال، ليست بحاجة لاثباته. يعلم فيكتور بأنني لست مهتمة به، ولا هو مهتم بي حقيقة. إنه فقط يحب الحضور إلى الشقة.»

«حسناً، إذاً ابعديه عنها.» هزّ كتفيه. «اقفلي الباب.»

«لا أستطيع ابقاء الباب مقفلاً باستمرار.» احتجت.

«نعم، باستطاعتك.» جادل. «باستطاعتك اقفال الشقة والانتقال إلى الطابق العلوي إلى مسكن والديك. خذي عملك معك. سأنقل ماكنة الخياطة لك.»

حملقت به وسألته: «لكن ماذا بشأن الصناعة المنزلية؟ هل أضع فقط لافتة: المتجر مقفل؟ هذا سوف يكون دعماً عظيماً للعمل الذي أبنيه!»

ارتفعت كتفاه العريضتان بهزة خفيفة. «على الأقل إنها الطريقة الوحيدة لابلاغ فيكتور الرسالة. إذا لم يستطع الدخول سيتعب من المحاولة.»

www.liilas.com

خيم صمت بينهما بينما أخذت تفكر بالمسألة، ثم انفجر سخطها وهي تقول: «لماذا يجب إن أكون الشخص الذي يبلغه الرسالة؟ إنه ليس مسؤوليتي. لماذا يجب أن أعاني من عملي لأن ابن خالتك بغيض بهذا الشكل؟ لا، يا جيلز، لن أحتمل هذا التمزق. أنت حارسه، لذلك عليك أن تبعده عن الشقة.»

«تعلمين أنه لم يكن بمقدوري فعل هذا.» تذمر.

«إذا عليك فقط أن تتحمل إلى أن يصبح مرهقاً من الحضور إلى هنا.» أعلنت بعزم.

شد فكه بينما تعابيره بدأت تبدو عدوانية. «يبدو جلياً بأنك تتراجعين عن كلمتك في جعله يقتنع بأن تفاهماً بيننا.» قال بخشونة.

«تذكرتك ضعيفة، يا جيلز. هل نسيت توضيحه بأنه لم يكن مقتنعاً البتة بهذه النقطة. وهذا خطأك. وبالنسبة لرجل يفترض به أن يعتني بي، فقد خسرت ثمانية.»

حملق بها. «لماذا تقولين هذا؟»

نظرت إليه بفضول، مترددة قبل أن تتبنى بالسؤال الذي طالما خطر على بالها: «هل وقعت في الحب في ما مضى، يا جيلز؟»

«لا.» جاء الجواب مفاجئاً. «لماذا تسألين؟»

شعرت فيونا لأسباب غريبة بالسرور، ثم شرحت وهي تحتفظ بنبرة هادئة: «لهذا السبب بقي فيكتور غير مقتنع. لقد كان مغرماً، ويعرف بأن الشخصين المتحابين لا حاجة لهما لقول ذلك بكلمات باردة. إنه أمر واضح للمراقب العادي من طريقة النظر إلى بعضهما البعض، أو ملامسة بعضهما أو البقاء قريبين معاً....»

قطعت كلامها، وأدركت فجأة بذهول أن الذي تفاهما عليه افتقر إلى كل هذه المكونات من العاطفة. لكن ما الذي قد تتوقعه

من هذا الرجل الذي بقيت عواطفه الداخلية على بعد مسافة ومنضبطة؟ عناقه لا يعني شيئاً، لأنه كان يستخدمها فقط ويجب أن تكون حكيمة في تذكر ذلك. جعلتها الفكرة تقول: «إن كنت لا تمانع، أود أن أكون حرة من ذلك الاتفاق. أقصد... ذاك التعاطف المزيف. الخداع فيه يثيرني.»

«الخداع هو عذرك الوحيد؟» قال بنعومة.

أخذت نفساً عميقاً. «ما العذر الآخر الذي أنا بحاجة إليه؟»

كان صوته ساخراً: «ألا تستطعين تذكر عذراً آخر يجول في ذهنك؟»

شعرت بالحيرة. «مثل ماذا؟» سألت.

«مثل حقيقة أنك أظهرت ولعاً بفيكتور؟»

ابتسمت، متسائلة إذا كان تخيراً، ثم تعمدت تجنب نظراته وهي تقول بهدوء: «يجب أن أقر بأني وجدت فيكتور ساحراً فعلاً. لم يقترح أبداً بأنه يجب علي خداع أحد بخصوص زياراته، كما أنه لا يعبس أو يحملق بشدة بي مثل شخص باستطاعتي ذكره.»

«يعني أنا، على ما أظن.» قال بحدة.

ارتفعت كتفاها قليلاً. «إذا كانت الجزمة ملائمة....»

«باستطاعتي رفس نفسي بها؟ شكراً جزيلاً لك.» قال بحدة.

قبل أن يقال أي شيء سمعت اصواتاً آتية من ناحية الباب، وبعد لحظات أخرى مشى فيكتور إلى الداخل، بينما ترددت كارين عند عتبة الباب الخارجية.

تكلم فيكتور بنبرة جزلة: «آه، الشاي!» هتف. «كنت متأكداً من أني سأجد أحداً هنا.»

«سأحتاج إلى تحضير قدر طازج.» قالت فيونا، وبدأت تنهض عن كرسيها. «هذا الشاي لم يعد نافعاً.»

www.liilas.com

«اجلسي.» أمر جيلز بحدة. «باستطاعته تحضير الشاي بنفسه وأنا متأكد بأنها لن تكون المرة الأولى.»

«طبعاً لا.» أقر فيكتور بابتهاج. «لقد مر بذلك آلاف المرات... عندما كنت اقيم هنا، أنت تفهم.»

انتصبت فيونا على كرسيها، ثم رمقت كارين، التي ما زالت تتأرجح مترددة عند المدخل. «من الأفضل لك أن تدخلي.» قالت إلى الصهباء بنبرة مملة.

«أفضل العودة إلى منزلي.» قالت كارين بيرود، ثم التفتت إلى جيلز. «إلى أي وقت تنوي البقاء هنا؟»

«بقدر ما يستغرق فيكتور من الوقت في تناول الشاي.» قال بسرعة. «هذا يمنحك وقتاً للاعتذار من فيونا.»

ارتفع ذقن كارين. «الاعتذار؟» طلبت بتقطرس.

«من أجل التلميح اللامبرر له بأن فيونا تحمل طفل فيكتور...»

«والذي كنت على أتم استعداد لتصديقه.» قاطعت فيونا، وهي تنظر غاضبة إلى جيلز. مع أنها كانت مسرورة ضمناً لسماعه يؤنب كارين بقسوة لمصلحتها.

مع ذلك، تجاهل اتهامها وهو يتابع النظر إلى كارين بيرود. «أنا منتظر.» ذكرها.

لكن بدلاً من أن تعتذر التفتت إلى جيلز بابتسامة نصر، وهي تقول: «أكد لي فيكتور أنه من غير الممكن أن تكون فيونا حاملاً بطفلك، وأنه إذا كانت حاملاً، سيكون لطفل لك.»

«الوقاحة البغيضة منه!» قال بخشونة عنيفة.

انقبضت فيونا في داخلها بينما كلماته تجول في رأسها، وتتقلب اذنيها مثل أسهم لاسعة. شعرت بأنها وضيعة، رخيصة ومدركة بألم أن جيلز كان مرتاعاً من فكرة حملها لطفله. طبعاً

كان يعلم بأن هذا مستحيل، لكن مجرد التفكير في ذلك الموضوع أرعبه. أغمضت عينيها، قائلة في نفسها إنها تكرهه، مع ذلك، علمت بأن هذا غير صحيح. وبينما تذكرت لحظات تقاربهما عندما رفعها بين ذراعيه فهمت أنها تحبه وتتوق لأن تحمل طفله.

اتاها هذا الوعي صدفة وجعلها ترفع يدين مرتعشتين إلى فمها. ثم قالت لنفسها: لا بد وأنها سخيفة، وبأنها من غير المعقول أن تحب هذا الرجل الذي كان يستغلها بوقاحة في محاولة لحماية ابن خالته من كيد النساء.

اعترضت أفكارها بواسطة فيكتور، الذي جاء من المطبخ حاملاً فنجاني شاي، ناول احدهما إلى كارين التي سحبت الكعكة المحلاة الموضوعة في جانب الصحن وتفحصتها بانتقاد قبل أن تتناول قضمة صغيرة.

هذا الفعل أغضب فيونا، التي شعرت بإشارة مهينة نحو طريقة خبزها. «أشك أنها قد تسممك.» قالت بحدة قبل أن تستطيع ضبط لسانها.

«أنا متأكدة من أنك تتمنين ذلك.» أجابت كارين بقساوة.

دار جيلز، الذي وقف على قدميه عندما دخلت كارين إلى الغرفة، بسرعة الآن ليواجهها. طنّ صوته بالاتهام وهو يقول: «إنك تقومين بمحاولة متعمدة لتثيري المتاعب يا كارين، كما إنني لم أسمع الاعتذار الذي تدينين به لفيونا.»

«أرجو أن تتناسى.» قالت فيونا بحدة. وقد وصلت إلى نهاية حدود صبرها وكانت متشوقة برغبة قوية في أن تكون بمفردها... ليمنح لها سلام بحيث تستطيع التفكير بشأن مشاعرها نحو جيلز. من غير الممكن أن تكون مغرمة به، هل باستطاعتها؟ لكن لا شيء من هذه الأفكار ظهر بينما هي تضيف

www.liilas.com

بنبرات ثابتة: «لست مهتمة باعتذارات كارين لأني أشك بصدقها. كل الذي أطلبه... للمرة الثانية... هو أن تخرج هذين الشخصين من شقتي.»

أطلقت كارين ضحكة ساخرة وهي تقول بازدراء: «يا إلهي، نحن نفرض أنفسنا! هل أستطيع إنهاء فنجان الشاي قبل أن أذهب... وهل يستطيع فيكتور أن ينهي فنجانه؟»

«نعم، أعتقد ذلك. لكن كونا سريعين به، وثم اخرجا!» علا صوت فيونا بينما حاولت السيطرة على أعصابها.

تحرك جيلز ليقف أمامها، وعيناه الداكنتان تحملقان في وجهها. «هل عنيتني بهذه الكلمات أيضاً؟»

حملقت به. «نعم، خاصة أنت. إنني مشمئزة من الطريقة التي أفسدت فيكتور بها حياتي.» كانت ترتجف وعلى وشك البكاء. «بينما آخر شيء تود فعله هو البكاء أمام كارين، التي كانت تحتسي الشاي ببطء متعمد.

جاء فيكتور، الذي كان يصفي بهدوء، بعد ذلك إلى ناحية فيونا. أخذ يدها، وقال: «عزيزتي فيونا، يبدو أن شيئاً أزعجك.»

«هل تستطيع قول هذا مرة أخرى؟» أجابت، وهي تسحب يدها بعيداً.

«حسناً، مهما كان الأمر ستتغلبين عليه.» قال مؤاسياً. «سأعود لرؤيتك قريباً جداً وسوف نحظى بأوقات سعيدة أكثر في شقتنا.»

«توقف عن سخافاتك، يا فيكتور! إن الذي تقوله هراء. أنت تعلم ذلك. إننا لم نحظ أبداً بأوقات سعيدة في هذه الشقة... كيف تجرؤ على قول هذه الأكاذيب السافرة؟»

بدا فيكتور مصاباً بالدوران: «فيونا، عزيزتي...» بدأ، وهو يضع ذراعاً حول كتفيها.

هزت كتفيها وأبعدت ذراعه بغضب، وكانت تدرك أن جيلز وكارين يراقبان باهتمام. خمنت أن فيكتور حيرهما بأفعاله، ومن المحتمل أنهما خشيا من اصابته بنكسة، لكنها نفسها رفضت أن تؤخذ بأعماله.

أخذت نفساً عميقاً، وفكرت بسرعة، ثم تكلمت بصوت واضح وهادىء: «فيكتور، لا تستطيع خداعي. أنت دجّال.»

«لماذا؟» غمر وجهه السخط.

«إنك تتصنع عملاً.» واصلت فيونا. «لقد أصبحت رجلاً بشخصيتين. إحداهما هي «ذاكرتك الحسنة» بينما الأخرى هي «فقدانك الذاكرة». فتتعمد القيمة التي تلائم المناسبة. أنت على حق!»

لكن فيكتور حدق بها بصمت للحظات عديدة قبل أن يلتفت إلى جيلز بأسلوب محير. «عمّ تتكلم؟» سأل بنبرة مثيرة للشفقة.

تحركت كارين لتلقي يدها بعطف فوق ذراعه. «فيكتور، عزيزي، ليس من حقها أن تزعجك بهذه الطريقة.»

«هذا إذا كان منزعجاً.» قال جيلز، مراقباً ابن خالته بضيق ثم قال بنبرة مستسلمة: «فيكتور، أيها الشاب العجوز، أؤمن بأن فيونا تطلب منا الخروج حالاً من شقتها.»

«و البقاء خارجها.» أضافت فيونا بعنف.

هز جيلز كتفيه، ثم قادهما خارجاً إلى السيارة.

بعد عدة دقائق تحول غضب فيونا إلى يأس بينما وقفت عند نافذة المطبخ لتراقب اختفاء سيارة الجاكوار البيضاء في شارع تشارلز. لاحظت أن فيكتور وكارين جلسا في المؤخرة، بينما

www.liilas.com

المقعد بجانب جيلز بقي خالياً، وكان بعد ذلك، أن بدأت تدرك الفراغ الذي ملأ كيانها.

قامت بمحاولة لا جدوى منها لتنسى ذلك، فانهمكت بغسل الفناجين والصحون، ووضعت علبة الكعك المحلى شبه الفارغة، بعيداً عنها. الخواء الذي لازمها وشعورها بالوحدة اجبراها على مواجهة حقيقة شوقها لجيلز.

لكن كان هذا خطأها وحدها، واعترتها موجة من الندم. إنها هي من أرسلته بعيداً، والآن، بينما تذكرت الكلمات الغاضبة التي رمته بها، بدأت تتساءل لماذا تفاعلت بشدة إلى هذه الدرجة؟

فيما هي تتحرك بضجر في الشقة وقع نظرها على قماش ثوب نوم الطفل. رفعته، وهي تلمس نعومته، وبينما كانت تقوم بذلك، تذكرت ملاحظات كارين الوقحة التي أشارت بأنها قد تكون حاملاً. كان جيلز مرتعباً من الاقتراح الذي يشير إلى أن الطفل له. ذكرى ردة فعله جعلت الدموع تتجمع في عينيها. وقالت لنفسها: إنه من غير الممكن أن تسمح لعواطفها بأن تقذف اتزانها من رجل لا رغبة له بأن تحمل طفله. ثم لن تكن مغرمة به. لن تحتمل الفكرة.

اكتشفت مع مرور الأيام أنه من غير المعقول أن تبعده عن تفكيرها. وعلى الرغم من أنها عملت بأقصى طاقاتها، تعد النماذج، تقص القماش، تقطب القطع إلى ثياب نوم صغيرة، كانت عاجزة عن محو ذكرى حملها بين ذراعيه قريباً من جسده. حتى كانت هناك أوقات حيث يبدو وجهه ينظر إليها شزراً، قائلاً لها بأنها جائعة لحبه. ومع نهاية الاسبوع التالي اجبرت على معرفة حقيقة هذا الوضع.

كان يوم الجمعة صباحاً عندما اكتشفت أنه لم يعد عندها ورق التطبيع. ورق ناعم، مغطى بصفوف من النقاط الذي يجب أن

يضغط إلى القماش بمكواة ساخنة. ما بقي عندها كان كافياً فقط لتطبيع صدر قميص صغير واحد، لذلك كان من الضرورة لها زيارة متجر الخياطة في المدينة. قامت باعداد لائحة بالسلع الأخرى التي تريد شراءها. ثم انطلقت بالسيارة الصغيرة الصفراء من على الممر.

تابعت في تابير رتابتها المعتادة في إيقاف السيارة تحت أشجار الصنوبر في المنتزه، ثم مشت نحو المتاجر لشراء حاجياتها. عندما وصلت إلى نهاية شارع إمرسون أصبح الكيس البلاستيكي الذي تحمله فوق ذراعها ثقيلاً. وكانت على وشك العودة إلى السيارة حين لفت نظرها عرض ازهار الربيع في كليف سكوير.

اجتازت الطريق تتوخى النظر إليها من قرب. وهي تتبع الحافة العريضة من الممر التي بهرتها بألوانها الزاهية من الزهري، الارجواني والأزرق. ثم، توقفت لتحملق عالياً بأشجار الدخيل الشاهقة، شعرت بتقدير لهذا الملاذ الهادىء في وسط حركة المدينة. كانت مثل الواحة محاطة بهدير من حركة السير.

لكن تعكر صفو هدوئها فجأة بينما كانت تدور حول المنعطف لتجد نفسها تواجه بمنظر جيلز وكارين جالسين فوق أحد مقاعد كليف سكوير. جيلز... وكارين ؟ إنها لا تستطيع أن تصدق عينيها. لكن على أي حال، لماذا ينبغي على جيلز ألا يجلس فوق مقعد في كليف سكوير والتكلم إلى صديقة ابن خالته المفضلة؟

بينما وقفت تراقب ابتسامة جيلز البطيئة وهو يصغي بانتباه إلى ثرثرة كارين المفعمة بالحيوية، انقبضت قيونا بموجة من الغيرة التي تركتها تهتز بشكل تام. مع ذلك، استعادت توازنها في دقائق وكانت على وشك أن تلتفت بعيداً عندما نظرا إلى ناحيتها.

www.liilas.com

نهض جيلز في الحال وجاء نحوها، بينما لحقت به كارين ووجهها يعبر عن كل شيء ما عدا السعادة لرؤية فيونا.

«فيونا، يا لها من مفاجأة!» هتف جيلز، بدا صوته العميق مثل الموسيقى في أذنيها.

«ليس بالنسبة إلي.» قالت كارين بنزق قبل أن تجد فيونا الكلمات المناسبة.

رمق جيلز الصهباء بنظرة سريعة وسأل: «ماذا تقصدين؟»

«كانت تلاحقني، طبعاً.» تابعت كارين، بنبرة متهمة. «رأيتها قرب مركز الخياطة، ومن المحتمل أنها رأتني. وتابعت خطواتي، أملة بأن أرشدها إلى فيكتور.»

نطقت فيونا أخيراً: «من بين كل الفساد الأحمق... لا بد وأنك غبية ومن دون ذرة عقل، يا كارين لم أرك قرب مركز الخياطة أو في أي مكان آخر، ولو فعلاً حصل هذا لكنت تحركت في الجهة المعاكسة... فوراً.»

نظر جيلز من كارين إلى فيونا. «هل واجب علينا هذا العداء؟ ظننت أيتها الفتاتان بأنكما قد تكونان صديقتين...»

قاطعته كارين. «ألا ترى، يا جيلز، كانت تتوقع أن تقابل فيكتور وتنتزعه مني. لم يكن عندها فكرة بأني سأقابلك؟»

نظرت فيونا إلى جيلز ببرود وهي تقول: «على الأقل هذه الكلمات الأخيرة صادقة. ما كنت لأصدق بأنك قد تقابل صديقة ابن خالتك المفضلة. يجب أن أقول إنني مندهشة... وأشعر بالأسف نحو فيكتور.» أضافت مشيرة، وهي تحملق به متهمة قبل أن تستدير على عقبيها لتذهب بعيداً.

انطلقت يده لتمسك ذراعها. «هل تقترحين بأن هذا لقاء سري؟» طلب، وعيناه تشعان بالغيظ، بينما أدارها لتواجهه.

«يؤخذ المرء بالمظاهر، تماماً مثلما جعلك مظهر ثوب نوم الطفل متأكداً للغاية من أنني حامل!» صرخت فيونا بعنف.

سحبت كارين يد جيلز. «جيلز، عزيزي، تعال.» وقالت مدافعة. «لا تسمح لها بإفساد هذه اللحظات القليلة المحببة التي نستمتع بها معاً.»

لوى فم فيونا وهي تنظر إليهما باحتقار. «لا، بالفعل، هذا يمكن أن يكون عاراً صارخاً. لا تقلقا، إني ذاهبة. أنتما ملائمان لبعضكما البعض، بالفعل، لقد جعلتماني أشعر بالسقم ولا أستطيع التخلص منكما بسرعة كافية!»

تركتهما وجرت من الميدان، عيناها طافحتان وهي تجتاز الطريق إلى شارع إمرسون. بينما شقت طريقها عبر المتنزه حجبت الدموع رؤيتها، مما جعلها تتصادم مع الناس على ممر المشاة، لكنها وصلت أخيراً إلى السيارة ورمت الكيس المثقل بالأحمال على المقعد الأمامي.

إذاً هذا كان الوضع، فكرت بمرارة بينما السيارة الصغيرة انطلقت مسرعة بمحاذاة المرفأ حيث مستوعبات ما وراء البحار محملة بعلب مربعة ضخمة. كانت كارين تنقل اهتمامها من فيكتور إلى جيلز، بدا ذلك مثل وضوح النهار. ولم يكن الأمر مذهلاً، لأن جيلز كان لقطة أفضل بكثير من فيكتور الذي لا يمكن التنبؤ بوضعه. مهما يكن، سيكون من الممتع رؤية كيف أن حرية جيلز المهمة وقعت في شرك الصهباء.

رمت نفسها فوق الفراش عندما وصلت إلى منزلها، واستسلمت إلى بكاء شديد مفاجيء، لكن، عندما انتهى التشنج بدأت تفكر بوضوح أكثر، أدركت أنها انفعلت مرة ثانية. إنها لم تر جيلز يظهر عاطفة نحو كارين، ولا لديها أي دليل بأنه كان

www.liilas.com

ينوي ذلك. بالنسبة لكارين كانت خطتها واضحة. «جيلز يا عزيزي.» هذا ما قالته.

أخيراً تمالكت نفسها، غسلت وجهها وأعدت لنفسها فنجاناً من الشاي. ثم استعدت للعمل. دفعت أثواب الأطفال نصف المنتهية جانباً من أجل اكمال ثوب نوم الطفل. هذا لأنها أرادت الآن أن تنهيه وتسلمه إلى سو. لقد أصبح تذكيراً للدقائق المؤلمة حيث كان جيلز قلقاً، وأرادت أن تبعده عن ناظريها بأسرع وقت ممكن. مع ذلك، هذا لم يؤثر على توازن قطب الخياطة الصغيرة، وكانت قد أصبحت في حالة انهماك شديد عندما دق جيلز الباب.

رأته من خلال زجاج الباب، ضرب قلبها بشدة بينما اتجهت لتفتحه، وبعدها استطاعت فقط أن تحملق به بصمت.

متسائلاً: «أن تدعيني إلى الدخول؟» قال فجأة.

وقفت جانباً وخطا أمامها. «لماذا جئت؟» سألت بصوت مبهم وهي تشعر بالسرور لرؤيته وبالرعب لسبب زيارته. هل جاء حتماً ليحررها من ذلك التفاهم... الكاذب؟ وهل كان ذلك بسبب كارين؟

ردد سؤالها: «لماذا جئت؟ بصراحة لأكثر من سبب واحد، لكن دعيني أولاً أدخل في عقلك نقطة واحدة. لم أحضر للقاء كارين اليوم. التقينا بالمصادفة فقط عندما كنا نعبر كليف سكوير.»

شعرت فيونا باحساس مريح، مع ذلك حافظت على برودة نبرتها. «صحيح؟ لماذا أزعجت نفسك لتقول لي هذا؟ لماذا تهتم بما أفكر؟»

غمرت وجهه نظرة حائرة. وكأنه هو أيضاً تساءل حول هذا الأمر. جلست أمامي.» أقر. «هذا فقط لأنني لا أرغب في أن تعتقدي بأنني أخون فيكتور.»

«كيف من الممكن أن تعرف بما أفكر؟» طلبت.

«هذا ليس صعباً. وجهك معبر، واليوم كانت الشكوك مرتسمة فوق كل وجهك.» قال بحدة وبنبرة متهمة. «لم يعجبني ما سمعت، لذلك أقول لك الآن إنك كنت مخطئة تماماً.»

لم تعطِ جواباً. بالمقابل جلست وتعمدت الانهماك بالعمل على ثوب نوم الطفل، وراحت تخيط بصمت إلى أن قالت أخيراً بعذوبة: «إن الشكوك تُمحى بصعوبة... مثل شكوكك التي تتعلق بارتباطي بفيكتور، وحملي المتوقع.» ثم، وكأنها تريد تأكيد النقطة، وضعت الثوب الصغير فوق ركبتها وأخذت تلطفه بيديها بينما وجهت نحوه نظرة تحدٍ.

التقى عينيها بثبات وقال بصوت منخفض: «هل من الممكن أن يساعد في الأمر لو أكدت لك بأنني نادم على ما جرى؟ أستطيع أن أقر فقط بأنني لم أرد ما جرى لي... عما فكرة مؤلمة تلك ال... لفيكتور، أو أي شخص آخر في تلك المسألة. جعلتني أرى من خلال ضباب أحمر.»

تجمدت يداها. ماذا كان يقول؟ من المؤكد أنه لم يكن يعترف بالخيرة؟ أنعشت الفكرة روحها إلى حد جعلها تقول: «إن كانت تساعد في توضيح الرؤية لك، هذا الثوب هو طلب خاص من سو في الشقة المقابلة. صديقتها ستلد طفلاً عما قريب. بالنسبة إلي، لم يحدث أبداً...» صمتت مع تورد عميق في خديها.

تقدم جيلز مقترباً ليأخذ القماش من يدها. ثم أوقفها على قدميها. «لقد فكرت بذلك.» همس بلطف، وعانقها.

لقد كان غيوراً، فكرت بشعور من النصر. هل من المعقول بأنه أحبها؟ هل كان على وشك أن يهمس بالكلمات التي تاقت إلى

www.liilas.com

سماعها؟ انتظرت متوقعة أن يبوح بحبه، لكن عندما تكلم كانت تشعر فقط بهبوط مفاجيء في الموضوع.

«يا إلهي، كدت أنسى أحد الأسباب التي جئت من أجلها إلى هنا!» هتف، ليدركها على نحو مفاجيء ومحملقاً في ساعته.

ارتعشت من تغيره المفاجيء، نظرت فيونا إليه مشوشة الذهن فيما هي تتذكر قوله إنه جاء من أجل أكثر من سبب واحد.

قال موضحاً: «هل تقومين بخدمة لي؟ أود منك أن تشهدي على توقيع ميراث لزبونة لي. في الحقيقة أحتاج إلى شاهدين، وسوف يتم ذلك في منزلها وجارها سيكون الشاهد الثاني.»

دهشت فيونا. «ألا تنفذ هذه الأشياء عادة في مكتبك؟»

«نعم، عادة هي كذلك، لكن في هذه الحالة السيدة المتكلم عنها ليست في حالة حسنة، لذا وعدت بانجاز القضية في بيتها. ستفهمين إذا قلت لك إنها مريضة كارين.»

اتسعت عينا فيونا. «آه؟ إذاً لماذا لا تستطيع كارين، أو شقيق السيدة، القيام بالشهادة؟»

«لأن لا أحد منهما مؤهل للقيام بذلك.» شرح بجفاف. وبالمناسبة، اسمها الآنسة كونروي.»

تابعت المراوغة وهي، تشعر بالتردد في الذهاب ومقابلة كارين: «ألم تستطع أخذ إحدى الفتيات من المكتب؟»

أطلق تنهيدة اظهرت حنقه. «لقد سألت فعلاً، لكن بما أنه حان وقت اقفال المكتب كان هذا الأمر سيؤخرهن في العودة إلى منازلهن. مع ذلك، إن كنت لا ترغبين فلن أجبرك سأنهي المسألة في الصباح.» قال بصلابة.

أذعنت فيونا. «نعم، طبعاً سأحضر.» قالت بسرعة، مدركة أنه يستطيع أن يُقل إحدى فتيات المكتب إلى منزلها بعد أن يتم كل شيء.

لكن بدلاً من ذلك جاء إليها. ولم تشأ أن تضيع الفرصة في تمضية وقت أكثر معه، لذلك أقفلت الشقة ولحقت به خارجاً إلى السيارة.

قبل القليل خلال انطلاقهما نحو المدينة، وبينما تاقت فيونا لطرح أسئلة، كبحت اندفاعها في القيام بذلك بحكمة. ولكنها اطرقت بالتفكير، وأدركت بأنه إذا كانت كارين غير مؤهلة لتوقيع وصية ربة عملها، فمن المحتمل أنها المستفيدة منها، لا شك في أنها اشارة تقدير لعنايتها واهتمامها. وطبعاً شقيق الآنسة كونروي قد يكون غير مؤهل للسبب نفسه.

حين انعطفا نحو المنتزه، حثها الفضول لتسأل: «هل أنا محقة في الافتراض بأنك قابلت الآن شقيق هذه السيدة... صديق كارين من الطابق العلوي؟»

«نعم. لقد كان هو الذي تكلم وطلب أن تمكنني زيارة شقيقته. إنه مثلها سهل الانقياد نوعاً ما. لا أستطيع أن أتصور أجراس زفاف كارين تصدر من هذا الاتجاه.» توقف جيلز، ثم أضاف: «لقد أخطأ فيكتور كثيراً في تقييمه لهذا الوضع.»

«فعلاً تذهب الظنون بالرجال بعيداً عن الواقع.» علقت بجفاف. «أتذكر تقييمك الأولي لي. وارتباطي مع الشاب المقيم في الطابق العلوي الذي لا تفهمه زوجته.» فكرت بهذه الليلة الأولى، رأت الآن الجهة المرحة منها وأخذت تضحك.

«هل عليك أن تذكريني كيف جعلت نفسي قمة في الغباء؟» عبس، ونبرته حزينة.

تمالكت مرحها وأطرقت بالتفكير مرة أخرى وهي تقول: «إذاً رب عمل كارين أصبح زبوناً جديداً.»

«مؤخراً، منذ نهاية الأسبوع، عندما قالت لكارين إنها بحاجة إلى محام. من الطبيعي أن كارين أوصت بنا.»

www.liilas.com

«من الطبيعي.» علقت فيونا بجفاف.

رمقها بنظرة حادة لكن لم يقل شيئاً بينما أوقف السيارة أمام مبنى من طابقين يقع على شارع بارامير. انحصر الباب الأمامي بين نافذتين عاليتين، وخمنت فيونا بأنهما تخصان شقة كارين في الطابق السفلي.

عندما فتحت كارين الباب لهما، بان الانزعاج والعبوس فوق محياها لدى رؤية فيونا، لكنها تمالكت نفسها بسرعة. «جيلز، عزيزي.» قالت بتودد. «كم جميل جداً منك أن تفكر باحضار فيونا! كنا بدأنا نتساءل في ما لو نسيت هذا الموعد، ما من شك أن فيونا أخرتك.» أضافت بغضب. «إصعدا إلى الطابق العلوي وصل صديقنا من الشقة المقابلة ومنذ وقت، لكن أخشى أن المزيرة المسكينة الآنسة كونروي قد أصيبت قلقة جداً ووجدت أنه من الضروري أن أضعها في الفراش. سأوقع على وصيتها في غرفة نومها. هل هذا ممكن؟» ابتسمت في وجهه.

«عرض جداً.» تمتم جيلز بلطف. «ستكون قادرة على قراءتها بمفردها قبل أن يشهد على توقيعها. هل أستطيع أن أتكل عليك بالاهتمام بفيونا في ذلك الوقت؟»

لم تعطِ كارين أي إجابة. ولكنها مضت في الطريق إلى الطابق العلوي حيث أوصلت جيلز إلى داخل غرفة الآنسة كونروي قبل أن تقود فيونا إلى المطبخ.

تساءلت فيونا لماذا لم تؤخذ إلى غرفة الجلوس لتقابل شقيق الآنسة كونروي وجارهما، لكن جاءها الجواب عندما أُقفل باب المطبخ والتفت كارين لتواجهها.

«كيف روضت نفسك وتمكنت من الحضور إلى هنا؟» طلبت، من دون أن تحاول كتم غضبها.

نظرت فيونا إليها بثبات، ثم أجبرت نفسها على الابتسام وقالت بهدوء: «الترويض كان غير ضروري حتماً. إنني هنا لأن جيلز زار الشقة وطلب مني الحضور.» ذكرى قبلته جعل ابتسامتها أكثر اتساعاً.

طقد اقترحت عليه بأن يحضر إحدى فتيات المكتب.» أعلنت كارين ببرود، عاجزة عن اخفاء غضبها.

ارتفع كتفا فيونا قليلاً. «على ما يبدو لم يناسب الحضور إحداهن.» نظرت إلى كارين بفضول وهي تضيف: «شخصياً لا أدري لماذا أنتِ ثائرة من ذلك.»

«لا تدرين؟ إذاً اسمحي لي أن أشرح.» قالت كارين بحدة. «هل تذكرين بعد ظهر ذلك اليوم الأخير حيث كان جيلز، فيكتور وأنا في شقتك؟»

«أنكر تماماً.» أجابت فيونا بمرارة، ترتجف مثل سمكة هاربة من خلال فتحة ضيقة من الشبكة.

«بدا أنكِ لا ترغبين برؤية أحدٍ منا مرة أخرى... وجيلز أيضاً.» كانت كارين تسرخ كلماتها الأخيرة.

نظرت فيونا إليها بصمت، وهي تتذكر اللحظات عندما صرخت بهم ليخرجوا من شقتها. «حسناً، ماذا عنها؟» سألت أخيراً.

أخذت كارين نفساً عميقاً وهي تقول بنبرة حازمة: «بالتأكيد كنت تعنين أنكِ انتهيت فعلاً من ارتباطك معه، لذا قررت بأن دوري قد حان لأتودد إليه أكثر.»

شعرت فيونا بارتباك. «هل تتكلمين عن جيلز أم عن فيكتور؟»

«جيلز، طبعاً، أيتها الصغيرة الحمقاء!»

«لكن ماذا بشأن السيد كونروي؟ ظننت أنك وهو...»

www.liilas.com

أصبحت كارين غير قادرة على الاحتمال عندما أخفضت صوتها وقالت بسرعة: «دعيني أذكرك بأن آرثر ومايفز كونروي توأمان شقيق وشقيقة. لقد اعتنى بها منذ سنوات، وإذا تزوج الآن سوف تكون منزعجة كثيراً. وهو يخشى أن يكون هذا نهاية محتمة لها. على الأقل هذه قصته، وهو مرتبط بها.»

«وفيكتور؟» طرحت فيونا السؤال بتردد.

«قررت أن فيكتور لن يكون زوجاً كفوءاً.» قالت كارين بنبرة واقعية. «لقد وجه اهتمامه إليك بسهولة لم تعجبني.»

«كان ذلك بسبب الشقة فقط.» أشارت فيونا.

«ربما... لكن أثبت هذا أيضاً كم هو غير موثوق به، لذا قررت التركيز على جيلز.»

صمتت فيونا. «تعنين أنك عازمة على الزواج منه... من دون حب؟»

هزت كارين كتفيها. «من يتكلم عن الحب؟ الذي احتاجه، وعازمة على إيجاده، هو الأمان . لذا تذكري، إذا شرد إلى ناحيتك، دعيه يدور فقط وأشيري له نحوي.» خرجت الكلمات بخفة، مع ذلك حملت طابعاً من الغضب.

الفصل الثامن

حملقت كارين بفيونا، عيناها الزرقاوان تومضان ببرودة شديدة جعلت تعبير وجهها يبدو مهدداً. «آمل أن هذا الوضع قد توضح لك على شكل كامل؟» قالت بخشونة من خلال شفتين مطبقتين.

ارتجفت فيونا بشكل ملحوظ، ثم هزّت رأسها وهي تقول بادراك حسي: «آه، نعم، واضح تماماً. لقد طمحت في البداية إلى الزواج من السيد كونروي، وعندما خاب أملك به حاولت أن تثيري غيرته بتحويل انتباهك نحو فيكتور. هل أنا محقة؟ نعم، أثق بأني كذلك.»

نظرت كارين إليها بشموخ، ثم أقرت بطريقة متكلفة: «نعم، أعتقد أن ذلك حقيقي... إذاً، ما يعني هذا؟»

تجاهلت فيونا السؤال وهي تتابع: «ما من شك في ان تحقيقاتك أنبأتك بأن فيكتور هو رجل ذو موارد مالية مريحة...»

«الغبية فقط تضيع وقتها مع رجل فقير.» قاطعت كارين، بصوت هشّ.

تأكيدات جيلز على نوع العلاقات العاطفية التي يتورط بها فيكتور قفزت إلى ذهن فيونا، جعلتها تقول: «أعتقد أنك وجدت فيكتور صعب المراس، خاصة منذ أن اكتشف... فتاة غير مرتبطة تعيش في شقة يريدها، لذلك حولت أنظارك إلى جيلز.»

«أتمنى لو أني قابلته قبل أن اقابل فيكتور.» قالت كارين بانزعاج أشار إلى شعورها بالاحباط.

www.liilas.com

«ألم تنسي شيئاً؟» سألت فيونا بلطف.

سئل ماذا...؟» انقطع السؤال بحركة مفاجئة.

سئل جيلز نفسه. أشك إن كان من نوع الرجال الذين يتزوجون عن غير حب. أو أنه رجل سهل الإنقياد. إنه شخص يصرّ على إيجاد طريقه بنفسه.»

سوف نرى بشان ذلك.» أعلنت كارين بثقة. «لا تستخفي بي... لدي وسائل ناجعة عندما أريد استعمالها.»

«صحيح ؟» حملت نبرة فيونا السخرية. «يجب القول إنك حافظت عليها مخبأة عني... خاصة بعد ظهر ذاك اليوم في الشقة عندما اتهمتني في محاولة اصطياد فيكتور للزواج باستعمال خدعة الحمل القديمة.»

«هل يساعدك قول إنني آسفة بشان ذلك؟» أصبح صوت كارين مداهناً. «ألا تفهمين أنني فاقدة الأمل؟ عندما يرحل كونروي إلى أوكلاند ساكون مفلسة ومن دون عمل.»

ستعثرين على عمل آخر، أو قد تعودين إلى التمريض في المستشفى.» اقترحت فيونا.

«لا أريد القيام بذلك.» قالت كارين بحدة. «أريد جيلز... واعتزم الحصول عليه. أعلم أنك لا تريدينه، لذا بالتأكيد ستذكريني أمامه بكلمات حسنة.»

انقبض قلب فيونا فجاة من المعرفة بانها تريد جيلز أكثر من أي رجل آخر في هذا العالم، لكن من المستحيل أن تتفوه بهذه الحقيقة.

تابعت كارين: «تلك الليلة عندما تقابلنا للمرة الأولى في غريت وول، أظن أنك أحببتني. هيا، اعترفي بذلك.»

تذكرت فيونا المناسبة: «نعم، ظننت أن باستطاعتنا أن نكون صديقتين.»

تكلمت كارين بلهفة: «باستطاعتنا أن نبقى صديقتين. كل الذي يجب فعله هو أن ترسلي جيلز على رسله عندما يحضر إلى الشقة.»

«ليس من المتوقع أن يأتي غالباً.» قالت فيونا، غير مدركة الحزن في صوتها.

«لقد ذهب إليك اليوم، أليس كذلك؟ لقد استأت كثيراً عندما وجدت أنه جاء بك إلى هذا المكان.» أجابت كارين بغضب.

نظرت فيونا إليها بفضول: «إنك تذهلينني، يا كارين. تكلمينني بخشونة، مع ذلك تتوقعين مني مساعدتك. لا بد وأنك غبية لتتخيلي أنني قد أخذ ذلك بعين الاعتبار.»

بدت كارين أصابعها الطويلة خلال شعرها الأحمر، ثم بدت وكأنها تستجمع أشلاء نفسها بتعقل. «سامحيني، لا أفكر بتعقل.» غمغمت بصوت أجش. «أقلت لمعلمي مني...»

قطع كلامها عندما فتح باب المطبخ ليظهر رجل شاحب نحيف البنية في منتصف سنيه الستين. حمل صوته نبرة توبيخ عندما تكلم إلى كارين: «لماذا تحتفظين بالأنسة ماك كي في المطبخ، يا كارين؟ يجب أن أقول إنني أجد ذلك شاذاً.»

اتسعت ابتسامة فوق وجه كارين. «آرثر، عزيزي، كان لدينا بعض المسائل لنناقشها. تعرف... كلام نسائي.» ثم بعدها قامت بالتعارف: «هذا السيد كونروي، فيونا.»

تقدم آرثر كونروي نحو فيونا مادا يده. «لا بد وأن كلام النساء هذا مهم جداً لتحتفظ بك كارين بعيداً عن غرفة الجلوس. والآن جيلز مستعد لك لتشهدي على توقيع شقيقتي على الوصية الجديدة التي قررت وضعها. باستطاعتي أن أقول لك إنها ليست المرة الأولى التي تغير فيها رأيها بشان

www.liilas.com

ما الذي سيحدث بعقارها.» أضاف مع ضحكة خافتة الاحتمال والسرور.

ابتسمت فيونا وقالت: «الأنثى ماهرة في تغيير رأيها. أليس كذلك، يا كارين؟»

لم تقل كارين شيئاً، وشعرت فيونا بالرضى لأن الكلمة الأخيرة كانت لها.

بعد لحظات قليلة قادها إلى غرفة الجلوس، حيث التقت رجلاً متوسط العمر من الشقة المقابلة، ومعه أُرشدت إلى داخل غرفة النوم حيث عُرّفت إلى الآنسة مايفز كونروي، التي جلست مستندة بالوسادات. على الرغم من سترة النوم الحريرية، بدت نسخة كاملة عن شقيقها.

وجّه جيلز الأجراء، وبعد أن كتبت الآنسة كونروي اسمها بيد مرتجفة أضاف الشاهدان توقيعيهما، مهنتهما وعنوانهما. انتهى كل شيء بلحظات، ومع أن كارين، قامت بمقدمات لتقنع جيلز بالبقاء على الأقل لوقت قصير، بدا متلهفاً للرحيل.

سأصطحب فيونا إلى المنزل حيث تنتظرها وجبة العشاء.» شرح بلطف، رافضاً بأدب عرض آرثر بأن يبقى لتناول الشراب. «من المؤكد أن آغنز حضّرت شيئاً قد يُفسد كلياً إذا تأخرنا. عزيزتنا آغي صارمة في وجوب تناول الوجبات في الوقت المحدد... غير ذلك سيفوتها مشاهدة برنامج شارع كورونيشن.»

حقيقة أنها ستؤخذ إلى أعلى التلة للعشاء كانت جديدة على فيونا، لكن لم تقل شيئاً بينما كان جيلز يصافح مضيفيهما وجاره، الذي سرعان ما نسيت اسمه. مع ذلك، كانت أكثر من مدركة لحملقة كارين المشؤومة، التي بدت تلمح بالتهديد.

لم تخبريني بشأن ذلك.» غمغمت الصهباء لها بصوت منخفض، وهي تجذبها بعيداً عن الآخرين.

لم أعتبرها ضرورية.» قالت فيونا بعذوبة. كما أنها لم تعتبر أنه من الضروري الاقرار بأنها حتى هي لم تكن تعلم.

ظن تنتجي بذلك!» همست كارين بوحشية بنبرة منخفضة. رافقتهما نحو الطابق السفلي وأمسكت بذراعه. تكلمت باندفاع، ونظرت في وجهه بتعبير يحمل الرجاء. «جيلز، يا عزيزي، خذني معك... أرجوك خذني إلى المنزل معك!»

عبس، ثم سأل بحدة: «من أجل ماذا؟»

«من أجل فيكتور.» قالت، مشددة على مخارج كل كلمة. «يجب أن أراه. شعرت بالقلق نحوه منذ أن غادته بقسوة في شقتها.» تعوهت بالكلمات وهي ترمق فيونا بنظرة تقسو. «يبدو بصحة جيدة لي.» أخبرها جيلز. «أقصد، أنه ليس كثير النسيان كالعادة... بالفعل، أرى تقدماً ملموساً.»

أخذت كارين نفساً عميقاً وهي تقول بحماس: «آه، لكن ليس لديك حساسيتي تجاهه. يجب أن تذكر بأنني عالجته . هذا يخولني لأشعر بنوع الحالة التي هو فيها. أرجوك ، يا جيلز، إذا كان بمقدورك أن تأخذها إلى المنزل للعشاء، بالتأكيد تستطيع أخذي؟» شبكت يديها بتوسل بينما ما زالت تحملق بوجهه.

بقي جيلز متردداً. «لماذا بشأن عائلة كونروي؟» سأل. «أليس مفترضاً منكِ أن تحضري وجبة العشاء لهما؟»

استقامت كارين بتعالٍ وغطرسة. «بالتأكيد لا! أنا ممرضة الآنسة كونروي، لا طاهيتها. كان آرثر في ما مضى طاهياً. إنه يقوم بمهمة الطهي، ويجب أن أقول إنه يحسن ذلك جيداً.» توقفت

www.liilas.com

لبرهة، تنظر إليه منتظرة، ثم قالت: «إذاً، هل أستطيع المجيء معك لرؤية فيكتور؟»

لم يتردد جيلز. «نعم، طبعاً، أنا متأكد من أنه سيسر برؤيتك.»

«شكراً لك.» قالت كارين بهدوء. «امنحني خمس دقائق فقط لأطمئن على الآنسة كونروي وأصلح زينتي.» أرسلت إلى فيونا نظرة غامضة قبل أن تختفي في الطابق العلوي.

التفت جيلز نحو فيونا. «سننتظرها في السيارة.» قال: «وربما توضحي لي ما يجري.»

أطلقت ضحكة قصيرة. «بالتأكيد غرضها واضح كفاية...» عضت شفتها قبل أن تسمح بكلمات أبعد من الافلات منها، وقبل أن يصبح الغضب الذي يغلي في داخلها واضحاً.

قال: «اهتمامها بفيكتور واضح كفاية، لكن يجب أن أقول إنني لم أستطع التغلب على تساؤلي بشأن الجلسة التي عقدتماها أنت وكارين في المطبخ. لقد أعطيت الآنسة كونروي وصيتها، ثم تركتها لتدرسها بعناية. عندما عدت إلى غرفة الجلوس توقعت أن أراك هناك، لكنك لم تكوني. كما لم أستطع التغلب على تساؤلي بشأن الأصوات العالية الصادرة من وراء باب المطبخ المقفل عندما مررت به. إذاً ما الذي كان يحصل هناك؟»

وصلا السيارة وفتح الباب الأمامي لها. ثم، عمل ذهنها بسرعة، قالت: «كانت كارين تخبرني فقط عن مشاريعها المستقبلية.»

«التي تتضمن فيكتور؟»

«ليس تماماً.»

«إذاً ما هي خططها؟» سأل جيلز.

«أترغب أن أخون ثقتها؟» راوغت.

«لا. إنما فقط أود معرفة سبب شحوب وجهك عندما خرجت من المطبخ. بالفعل، كان شاحباً بوضوح بالنسبة لي لأشعر بأنك كنت منزعجة.»

تنهدت. «سأقر بأن كارين لها طريقة تجعلني أبدو فيها نوعاً ما شاحبة.»

«حسناً، لن تقلقك هذه الليلة لأنها آتية لرؤية فيكتور.» تكلم جيلز بلطف.

«هل هي فعلاً؟ هذا ما تظنه أنت.» جاءت الكلمات بمرارة قبل أن تستطيع توقيفها.

رمقها بنظرة حادة. «ماذا تقصدين؟»

«لا شيء... ما كان علي قول ذلك.» أقرت بندم، ثم لأنها كانت عاجزة عن التوقف عن التفوه بتلك الكلمات، أضافت: «يجب أن تتذكر لو كانت كارين قلقة جداً بشأن فيكتور بمقدورها الحضور لرؤيته في أي وقت. على أي حال، لديها سيارتها الخاصة.»

«أنت محقة، بالطبع.» عبس مفكراً. «ثم حال... فماذا أكلتم وشربتم لحسن الحظ الساعة للإجابة تناسبت بطهور كارين المناجي.» قد ارتدت ثوباً يلائمها أكثر ووضعت المزيد من مساحيق التجميل. انبعث عطرها داخل السيارة وهي تسحب بشدة الباب إلى جانب فيونا.

«أرجوك دعيني أجلس بجانب جيلز.» قالت بعذوبة متصنعة. «أريد التحدث معه بشأن فيكتور.»

أذهل الطلب فيونا، واعتبرته تحدياً، وكان صوتها قولانياً وهي تقول: «بالتأكيد بامكانك القيام بذلك من المقعد الخلفي...

www.liilas.com

إلا إذا كان جيلز شخصياً يريدك أن تجلسي بقربه.» التفتت لتواجهه، عيناها واسعتان ومتسائلتان.

تكلم بطريقة مفاجئة: «اصعدي إلى الخلف، يا كارين. لست أصم، باستطاعتي سماعك جيداً من هناك.»

طمئن، يا جيلز، عزيزي، هذا خاص...»

«إذاً باستطاعته الانتظار.» قال بحدة. «جاءت فيونا هذه الليلة بناءً على طلبي وبإلزام مني. لن أدعها تعامل بهذا الأسلوب. كما لن أسر باقتراحك بأن أجلسها في المقعد الخلفي بينما أنت وأنا نقوم بحديث هامس. ربما تتخيلينني مغفلاً.» انهى كلامه غاضباً.

رمشت كارين شفتيها. «أنا متأكدة من أن فيونا ستفهم...» قالت.

«آه، نعم. أفهم جيداً.» قاطعت فيونا، عاجزة عن إخفاء ضحكة. هي أيضاً تفهم أن المعركة من أجل جيلز بدأت وأن عليها أن تكافح من أجل هذا الرجل.

أصبح جيلز فاقد الصبر. «كارين، لك الاختيار في أن تصعدي إلى الخلف، أو تلازمي المنزل.» ترك مقعده وخطا حول السيارة. أقفل الباب المحاذي لفيونا بشدة وفتح الباب الخلفي ووقف منتظراً بصمت كارين أن تصعد إلى الداخل.

فعلت ذلك من دون مناقشة.

بينما انزلقت السيارة على طول طريق المنتزه توهجت فيونا برضى داخلي. كان جيلز إلى جانبها، وقد أنعشت روحها إلى درجة عالية. من زاوية عينها لاحظت أن العبوس جعل لون حاجبيه قاتماً بينما نظرة سريعة عبر كتفها أظهرت بأن تعابير كارين كانت متجهمة.

أخيراً تكلم جيلز: «ما كان كل الحديث السري الذي كنت تجريانه بعيداً عني، يا كارين؟»

ترددت كارين، ثم قالت: «لست متأكدة من أن فيونا ترغب في الحديث عنه علناً.»

التفتت فيونا حائرة لتحملق بها. «ماذا تقصدين؟»

«تعرفين ما أقصد.» قالت كارين بمكر. «لقد شوهدت.»

أصبح جيلز ساخطاً. «عمّ تتكلمين؟» دار حول كتفه نحو كارين. «أفهم أنك أردت الكلام بشأن فيكتور.»

«هذا صحيح. بشأن فيكتور وبشأن التي تجلس إلى جانبك... الابنة التي من المفترض أن تكون متفاهماً معها.»

ازداد تجهم جيلز وقال مزمجراً: «تابعي. أخبريني المزيد.»

«هل يهمك معرفة أنهما كانا يتقابلان سراً... لمن خالفت موعدك؟» سألت كارين ببراءة.

احتجت فيونا وهي تنتصب وصرخت: «إنها كاذبة!»

«انها ليست بكاذبة.» قالت كارين بحدة: «التقيت بهما ليلة الثلاثاء الماضية قرب الساقية القديمة في حديقة البارايد. كنتما تجلسان معاً فوق مقعد مظلل منعزل... لكنني رأيتكما.»

«لم تفعلي! كيف تجرؤين على قول هذه الأشياء، أيتها الساحرة القذرة؟» كانت فيونا تحبس دموعها بجهد فقط. كما لم تشعر بالراحة لأنها ذُكرت في تطبيق جيلز الثاني.

قال وهو يوجه لها نظرة جانبية: «من دون شك تستطيعين إثبات تحركاتك مساء الثلاثاء الماضي؟»

ارتعبت. «استطيع أن أقسم، هل علي ذلك؟»

«إذاً أخبريني، هل هناك أي حقيقة في اتهام كارين؟»

www.fifas.com

«طبعاً لا.» أجابت فيونا. «لكن إذا كنت ترغب في تصديقها فمرحباً بك.»

قالت كارين بطريقة ماكرة: «هل اتهمها مباشرة في وجهها أو لم يكن هذا حقيقياً؟ على أي حال، باستطاعتك أن تسأل فيكتور... مع أنني أشك أو كان يتذكر. من المؤكد أنك لاحظت بأن ذاكرته مالت نحو الأسوأ منذ ذلك الموقف المزعج في شقتها؟»

«لا، لأكون صادقاً، لم ألحظ. لقد قلت ذلك سابقاً.» قال جيلز.

«حسناً، إنها كذلك. تلك الحادثة سببت له انتكاسة شديدة.» أعلنت كارين، وهي توجه نظرة ماكرة نحو فيونا.

خلال اللحظات القليلة الأخيرة أصبح ذهن فيونا حائراً مضطرباً. لماذا كانت تسمح لنفسها بأن تؤخذ إلى منزل جيلز فوق التلة؟ سألت نفسها. شعرت بانزعاج لما بدا عليه من موافقة على أكاذيب كارين وتاقت إلى أن تروجوه لأخذها إلى منزلها حيث باستطاعتها البكاء في عزلة شقتها. مع ذلك لو فعلت، سيكون هذا بمثابة اقرار بالذنب، لذا قررت أن ترى ما قد تسفر عنه هذه السهرة، وليكن ما يكون.

بغرابة، بدا جيلز وكأنه يشعر بالمها، ووصلت يده لتربت على يدها وهو يقول: «لا تسمحي لهذا أن يقلقك. إذا أردت مقابلة فيكتور في الحديقة، أنت حرة للقيام بذلك، وباستعادة المشهد الأخير في الشقة، أجد أنه نوعاً ما، أمر مثير الدهشة.»

انحنت كارين إلى الأمام بلهفة. «هل حقيقة تقول إنك لا تمانع إذا خرجت مع فيكتور؟»

زمّ فمه. «لم أقل ذلك.»

«لا، لكن هذا الذي قصدته. آه، جيلز، عزيزي، أنا سعيدة جداً.»

لم يعطِ أي إجابة، وانطلقوا تحت جنح الظلام بصمت.

حين وصولهم المنزل فوق التلة كانت الأضواء تتراقص فوق المدينة وعلى طول الشاطئ. بدت سفينة ترسو في البحر مثل قصر عائم، وبينما انعطفت في الطريق الخاص انعكست الأنوار على فيكتور، الذي وقف يراقب المنظر من الشرفة. التفت نحوهم عندما توقفت السيارة.

«ها هو!» هتفت كارين، خارجة بسرعة من السيارة. «يجب أن أكلمه في الحال!»

لتشحنه بالذي يجب أن يقوله، هذا ما علق في ذهن فيونا، لكنها احتفظت به لنفسها، منعتها الكرامة من التفوه بهذه الكلمات لجيلز. بالمقابل قالت: «أليس من واجبك إعلام آغنز بأن لديك ضيفة إضافية للعشاء؟» ثم خطرت على بالها فكرة، جعلتها تلتفت وتنظر إليه بشك. «أو لا تعرف أيضاً أنك دعوتني؟»

«طبعاً تعرف، لا بد أنك تظنيني شيطاناً من دون احساس.»

«ربما شخص مستبد تلائمك أكثر... خاصة عندما تقول للناس بأنك تأخذني إلى المنزل للعشاء قبل أن تسألني.»

ابتسم بندم. «آسف بشأن ذلك، لكن إذا فكرت بكل تلك اللحظات قبل المغادرة سوف تذكرين بأنني كنت منشغلاً.»

«في معانقتي، وفي وقت قصير اظهرت بأن لا ثقة لك بي أبداً. وبلحظة كنت مستعداً لتصديق أكاذيب كارين. في الحقيقة، يا جيلز، إنك تخيب أملي.» انطلقت الكلمات منها كالرشاش.

«أنا أفعل؟ أنا مسرور لذلك. هذا يعني بأنك تهتمين بما أقول وأشعر به.»

أدهشتها كلماته، لكنها قالت: «هذا ليس صحيحاً. هذا يعني أنني أعرف أنك لا تهتم لشأني أبداً وإلا لما كنت راضياً هكذا بشأن لقائي فيكتور مساءً في حديقة البارايد. على اعتبار أننا من

www.liilas.com

المفترض أن نكون متفاهمين. عليك على الأقل أن تتظاهر بأقل ما يمكن من الغيرة وبدلاً من ذلك، بدا من الواضح أنك غير مكترث...» توقفت، مرتعبة من الافشاء الذي كاد أن ينزلق هارباً من لسانها.

«يزعجك التفكير بعدم اكتراثي؟» سأل بحذر.

«أبداً.» كذبت بفظرسة، وهي تدرك أنها فعلاً انزعجت، وبعمق. «مع ذلك، اعتبر هذا... فكرة هذا التفاهم حمقاء جداً. وأظن من الأفضل أن نلغي.»

«تقولين بأنك تريدين مني أن أقول لفيكتور بأنه حر التصرف مع فتاتي؟» سأل جيلز، وهو يراقبها عن كثب.

«لست فتاتك.» قالت بحدة. «إنها فقط خدعة. أنا فقط الشخص المناسب الذي يساعدك لتشق طريقك.»

«هذا ليس صحيحاً. كان ذلك لمنح فيكتور من شق طريقه قبل أن يصبح مستعداً لاتخاذ القرارات الصحيحة.» ذكرها بصوت هش.

«فاوْها بمنحك الحرية لتثبيت... اهتمامك على فتاة أخرى... فتاة مثل كارين.» رمقته فيونا بنظرة سريعة إلى جانب وجهه، لكن تعابيره بقيت غامضة.

لكنه ارتاح فجأة. «يجب أن أفكر بشأن ذلك.» قال مستهزئاً. «ستطيع أن تكون ساحرة جداً عندما يلائمها الوضع. آه، هاهما آتيان. هل أخذ منها موعداً من الآن، أو تفضلين أن لا تصغي إلى صرخاتها من البهجة؟»

«غرورك الأكثر من اللازم يجعلك موضع سخرة.» قالت فيونا بحدة.

جاء فيكتور إلى ناحيتها من السيارة وفتح الباب. «فيونا،

عزيزتي، من السعد أن أراك! يبدو لي منذ أجيال منذ... منذ...» توقف، عابساً، ثم نظر إلى كارين، ارتفع حاجباه كأنما يبحث عن توجيه.

«منذ الثلاثاء الماضي.» قالت بسرعة، وغمر وجهها ظل من الانزعاج وهي تخلس نظرة اتهام نحو جيلز.

انجلى وجه فيكتور. «هذا صحيح... إننا نلتقي دائماً في أمسيات الثلاثاء. هناك مقعد منعزل لطيف قرب الساقية في حديقة البارايد.»

«هل سمعت، لقد قلت لك هذا.» كان في صوت كارين نبرة نصر وهي تبتسم إلى جيلز.

«هذا سخف.» قالت فيونا، وهي تخرج من السيارة. لكن قبل أن تستطيع قول أي شيء آخر جذبها فيكتور نحوه وعانقها. سحبت نفسها بغضب من قبضته، لكن ما أن همت بأن تطلب منها إلى المنزل، ادركت أن ذلك سيناسب كارين تماماً. وسيسمح لها بقضاء أمسية مع جيلز، وهي سوف تحظى بلا شيء. إذاً لماذا تثير كل هذه المتاعب بسبب عناق؟

عندما وصلت إلى قرارها تماماً تكلمت آغنز إليهم من المدخل الذي يؤدي إلى الشرفة. «العشاء جاهز تقريباً.» قالت لهم مديرة المنزل. «ساعد مكاناً لكارين.»

«شكراً لك، يا آغي. إننا قادمون.» أكد لها جيلز. «أعتقد أن هناك مجالاً للشراب أولاً؟»

ضحكت آغنز. «ألا أمنحك دائماً وقتاً لتناول الشراب أولاً؟ دربني إيدي جيداً على هذه العادة.» أضافت وهي تختفي في الداخل.

الملاحظة الخفيفة بدت وكأنها أعطت إشارة لفيونا كي تضبط

www.liilas.com

أعصابها، لذلك لم تعترض عندما أخذ فيكتور ذراعها وأرشدها نحو درجات الشرفة. علمت أن جيلز وكارين لحقا بهما، وقد أرشدت من خلال الباب فنظرت إلى الخلف لترى كارين متعلقة بذراع جيلز بطريقة ودودة متملكة. تلك النظرة المختلسة الحزينة أظهرت لها أيضاً ابتسامة جيلز للفتاة الصهباء، بينما توهج وجهها وهي تحملق بوجهه الوسيم. هذا المشهد أزعج فيونا، وعندما انزلقت ذراع فيكتور حول خصرها سمحت لها أن تبقى.

عندما دخلوا غرفة الجلوس تابع فيكتور تركيزه على فيونا مما أجبرها على التساؤل هل نسي بأن كارين أيضاً موجودة في الغرفة. علمت أن جيلز يراقبهما من خلال كأس الشراب الذي يحمله وبينما هي تحتسي شرابها حاولت جاهدة أن تتجاهل حقيقة الاهتمام الذي بدا على جيلز وهو يصغي بانتباه إلى الثرثرة الهامسة التي تسكبها كارين في أذنه.

هل كان فقط مؤدباً لضيفته، أم كان بريئاً لهذه الدرجة فلم يستطع أن يعرف ما يجول في ذهن كارين؟ تساءلت فيونا بانزعاج ثم هزت أفكارها بانتظام. جيلز سازج؟ أبداً تحت هذا المظهر اللامبالي هنالك رجل فولاذي يعرف ما يريده جيداً ومن دون ارتباك. وإذا كان يفضل كارين عليها... حسناً، ليكن ما يكون.

هذه الفكرة المؤلمة أحبطت عزيمتها ولازمتها إلى أن أعلنت آغنز بأن العشاء جاهز. تركت كأس الشراب فوق طرف المدفأة، وبينما ذهبت إلى غرفة الطعام أدركت أن كارين سبقتها التفت إلى جانب الكرسي عن يمين جيلز. وجهت إليه الصهباء ابتسامة ساحرة وهي تنتظر منه أن يسحب الكرسي لها، ولكن بدلاً من أن يفعل ذلك تحرك إلى الكرسي الذي عن يساره وأشار لها بأن تجلس عليه.

رفع هذا التصرف من معنويات فيونا، مع أنها شعرت بشفقة مفاجئة نحو كارين، التي تضاءلت ابتسامة الثقة في وجهها، والتي حتماً اعتبرت نفسها بأنها أهملت. لكن كارين سوف تتناسى ذلك، قررت فيونا، برغم أنه عاجلاً أم آجلاً سوف تدرك أن جيلز هو الرجل الذي يناضل من أجل أن لا يتورط بأي ارتباط عاطفي.

عالج جيلز هذا الوضع برباطة جاش بتجاهل تجهم الضيفة التي عن يساره وبقيادة الحديث بين الآخرين إلى المائدة. أخيراً التفت إلى فيونا وسألها، بنبرة تشير إلى أكثر بقليل من اهتمام مؤدب: «هل تلقيت أخباراً عن والديك مؤخراً؟ ألم تحن عودتهما في القريب العاجل؟»

«نعم، إنهما على وشك العودة في الأسبوع المقبل..» قالت فيونا.

«سيوقف هذا زيارات فيكتور.» قاطعتها كارين، نبرتها حاقدة بينما بقي صوتها منخفضاً. «وان يكون متوجباً عليك الذهاب إلى هناك للبحث عنه.» أضافت كأنها تعطي فكرة إضافية لجيلز.

حملقت فيونا بطبقها، فما قالته كارين كان صحيحاً، ثم تابعت كأن المقاطعة لم تحدث. «لقد أقنعا للبقاء من أجل زفاف سيتم بعد أسبوعين من تاريخ المغادرة المحدد. سيكون اجتماعاً عائلياً ضخماً، لذلك من المؤسف لهما أن يفوتهما.»

أشار فيكتور بأنه سمع جزءاً من الحديث: «لم أزرع بعد بذور الخضار.» قال ملتفتاً إلى فيونا. «ستكون مفاجأة سارة لوالدك عندما يحضر ويجد أن الحديقة مهيأة وتحت المراقبة. سأقوم بذلك غداً.»

www.liilas.com

نظر إيدي نحو جيلز. «عن إذنك، أيها الرئيس، سآخذه بسيارتي ونقوم بذلك معاً.»

بدا جيلز راضياً. «شكراً لك، يا إيدي، إنها فكرة حسنة.»

أخذت كارين نفساً حاداً عبرت عن نفاد صبر بينما انحنت إلى الأمام وتكلمت إلى آغنز: «ألا تقولين لي، لماذا يقفز الجميع للقيام بأشياء من أجل فيونا؟» سألت.

نظر الآخرون إليها بصمت بينما شعرت فيونا بالتورد، بدأ اللون عند عنقها وزحف إلى خديها.

تابعت كارين بنزق: «كاد فيكتور أن يفك رقبته من أجل زرع الخضار في حديقتها الخلفية، ويهرع إيدي من أجل تلك المساعدة... وأراهن على أن جيلز سيدفع ثمن البذور.» انتهت كارين بنفاد صبر.

نظرت آغنز نحو كارين بتفكير. «لا أظن أن الجواب صعب عن إيجاده. هذا لأن فيونا فتاة عذبة وصادقة، إنها من النوع الذي يقوم بأشياء للآخرين، ولا تنتظر شيئاً بالمقابل، حيث أن الكثير من الناس يخططون فقط من أجل ربحهم.»

«كم أنت محقة، يا آغي!» صفق جيلز مستحسناً.

أطلقت فيونا ضحكة مهزوزة. «شكراً لهذه الكلمات اللطيفة، يا آغنز، لكن هناك من رآني في حالة غضب.» ووجهت نظرة جانبية نحو جيلز الذي اكتفى بالابتسام لها.

تابعت آغنز: «إنني لا أقصد الوعظ، لكني أؤمن أننا في هذه الحياة نسترد ما ندفع. كما تزرعون سوف تحصدون... أليس كذلك، يا إيدي؟»

«مهما يزرع الرجل، سيحصد.» صحح إيدي بنبرة تنتبأ الهلاك والكآبة.

لازمت كارين الصمت. ثم رمقت آغنز بتحد، وبدت أيضاً غير واثقة من نفسها. كان ذلك كأنها تتساءل هل يشير مدير المنزل إليها.

نظرت فيونا متسائلة، لقد تكهنت أن لكارين خططاً مبيتة تتعلق بجيلز؟ وليس من الصعب أن تلاحظ ذلك من محاولة كارين في الجلوس إلى يمين جيلز. آغنز قد تعرف أن الضيف الأكثر أهمية هو الذي يجلس دائماً إلى جهة اليد اليمنى للمضيف، وأدركت فيونا الآن أنها هي التي حظيت بهذا الشرف. هل عنى ذلك شيئاً؟ لا، قد تكون غبية إذا اعتقدت أن جيلز يعاملها بتقدير خاص. مع ذلك جعلتها الفكرة تتوهج في داخلها.

قدم الطعام من دون تطبيقات اضافية ساخرة من كارين، التي حتماً أدركت أن انفجارها الأخير كان خطأ مع ذلك حاولت أن تستعيد الأمر. عند الانتهاء من تناول الطعام، عرضت أن تساعد آغنز بتوضيب الصحون، وفي الوقت المتبقي من السهرة قامت بجهود عظيمة للتآنس مع فيونا. بعد ذلك، عندما قرر إيدي وآغنز الانسحاب لمشاهدة برنامج تلفزيوني في غرفتهما، نهضت كارين أيضاً واقتربت من جيلز وطلبت منه أن يقلها إلى المنزل.

كان مسؤولياتها تقع بثقل فوق كاهلها، شرحت: «قلق الآنسة كونروي لو تأخرت فهي تسمع دخولي دائماً بعد أن أعود من السهرة.» ترددت، ثم ابتسمت له بفوز. «هل تظن أن فيونا تمانع لو كان لي دوراً في الجلوس على المقعد الأمامي؟ كثيراً ما أشعر بدوار في المقعد الخلفي، خاصة في هذه المنعطفات الكثيرة المنحدرة.» طرفت بعينيها بسرعة وكأنما تؤكد هذه النقطة.

نظر جيلز إليها بوقار، مع أن فمه التوى قليلاً. التفت والتقى

www.liilas.com

بعيني فيونا، ثم قال: «أشعر متأكداً من أن فيونا لا يهمها أين تجلس، أليس كذلك؟» سأل مستهزئاً.

التقت فيونا نظر العينين البندقيتين الداكنتين من دون اكتراث. «إذا كنت تقول ذلك.» قالت وهي تجبر نفسها على الابتسام لتخفي الامتعاض الذي يغلي في داخلها. كيف باستطاعتها أن تقر بأن فكرة جلوس كارين قربه بالتأكيد تغيظها؟

ثم وثب خاطر آخر إلى ذهنها، يذكرها بأنها وكارين تعيشان في اتجاهين معاكسين حتى يوصل كارين إلى منزلها عليه أن يتجه شرقاً بمحاذاة البارايد. بينما هي تقيم في غربي الحديقة في أسفل التلة. ففي أي اتجاه سوف ينطلق؟ تساءلت فيونا. لكن يبدو أن كارين تأمل أيضاً بهذا السؤال وكانت على وشك أن تحل المسألة بالنيابة ملتفتة إلى جيلز عندما قالت: «ما زلت أريد التكلم معك على انفراد، يا جيلز. هل أستطيع القيام بذلك عندما تقلني إلى المنزل؟ طبعاً، هذا يعني بأنه يجب أن تقل فيونا أولاً.» أضافت بطريقة طبيعية.

نظرت فيونا إلى جيلز، رفعت ذقنها إلى الأعلى قليلاً بينما جعلتها الكبرياء تقول: «أرجوك افعل ما يناسبك، يا جيلز.»

عبس، متلفتاً مرة أخرى إلى كارين. «لا أستطيع تخيل ما الذي يكون مهماً. لقد ثرثرت لتوك مع فيكتور هذه الليلة، وحظيت بفرصة متسعة للكلام معي.»

«علمت هذه الليلة فقط... أنه يفكر بالزواج. ساتركك تخمن ممن.» اختلست كارين نظرة جانبية نحو فيونا، ثم ابتسمت إلى جيلز وهي تضيف: «مزيداً من التفاصيل لاحقاً.»

حملقت فيونا بها: «إن كنت تقصدينني أنا، لا بد وأنك

مجنونة!» همست ثم التفتت إلى جيلز بغضب شديد. «لماذا تصدق أكاذيبها الحمقاء؟»

«من قال إنني صدقتها؟» تشدق في كلامه، ونظر إلى كارين من خلال جفنين ضيقين.

«يبدو لي أكثر من واضحة.» تابعت فيونا. «صدقتها عندما قالت بأني التقيت فيكتور عند الساقية الثلاثاء الماضي... والآن هذه. إنها تبتعد بمخيلاتها كثيراً!»

ألقت كارين يداً فوق ذراعه وتكلمت بالحاح: «أرجوك، يا جيلز، هل نذهب إلى المنزل الآن؟»

لكن حالة فيونا من الغضب الثائر جعلتها تقول: «لا، أقترح أن نسوي هذا الأمر أولاً. لم لا تسأل فيكتور إذا كان ينوي الزواج... وممن؟»

«فكرة ممتازة.» وافق جيلز.

كان الاقتراح كافياً ليجعل كارين قلقة. نظرت إلى جيلز بجدية وهي تقول: «لا أنصح بذلك. لقد قال لي في السر، وإذا عرف بأني أخبرتك سينزعج كلياً. أشك في أنه سيغمض له جفن طوال الليل.»

«هذا شيء يجب المجازفة به.» قال جيلز بجفاف. «بالمناسبة، أين هو؟» نظر حوله في الغرفة بينما عاد فيكتور إليها، كان غائباً خلال مجرى حديثهم. «آه، ها أنت، أيها الشاب العجوز. قالت كارين لي بأنك تفكر بالزواج. هل هذا صحيح؟»

كان هناك صمت مصحوب بالقلق بينما انتظر وارد فيكتور، ثم تمّ ارتياح عام عندما ضحك وكان الاقتراح كان مسلياً لا غير.

«يجب أن تعرفني، يا جيلز.» قال. «لقد فكرت بالزواج في مناسبات عديدة. لا ضرر هناك من التفكير بشأنه، هل هناك؟»

«لا، طبعاً لا.» وافق جيلز براحة واضحة.

www.liilas.com

سما أخبرت كارين لم يتعد ذكر المرتين اللتين اوشكت فيهما على اتخاذ قرار خاطئ.» أقر فيكتور.

«فهمت. من الواضح أن كارين اقترفت خطأ.» قال جيلز، موجهاً إليها نظرة قاسية. «ولم تكن المرة الأولى التي قامت بذلك هذه الليلة.» قال بخشونة.

بامكان فيونا فقط تصور أنه كان يعني عداء كارين نحوها عند المائدة، لكنها لم تقل شيئاً لذا ذهبوا خارجاً إلى السيارة، حيث فتح جيلز الباب الأمامي والباب الخلفي. وازداد استعاضه عندما اسرعت كارين بالاستحواذ على المقعد الأمامي فيما صعدت فيونا إلى المقعد الخلفي.

بينما أخذ جيلز مكانه من وراء المقود تكلمت كارين إلى فيكتور عبر النافذة المفتوحة. «صت مساة يا فيكتور... من الصبح رؤيتك بصحة جيدة.»

«شكراً لك... أشعر بتحسن كل يوم.» رد. «سارك يوم الثلاثاء كالعادة... قرب الساقية.»

السيارة التي كانت قد بدأت فقط بالتحرك، توقفت فجأة بينما ضغط جيلز على المكابح. حرر نفسه من حزام الأمان، ثم انحنى أمام كارين ليكلم فيكتور: «هل قلت يوم الثلاثاء، كالعادة، أيها الشاب العجوز؟»

«نعم، هذا صحيح. كارين وأنا نلتقي دائماً عند الساقية في حديقة البارايد كل ليلة ثلاثاء.» أكد فيكتور له.

«هل التقيت بها مساء الثلاثاء الماضي؟» تابع جيلز.

أفلت من كارين نفس لاهث. «اخرس، يا فيكتور.» قالت بحدة. «لم أقل لك إنها فيونا التي التقيتها...» توقفت مرتاعة من كلماتها.

«لا، كنت أنت.» ثابر فيكتور. «كنت ترتدين سترتك الخضراء. ألا ترين، أنا أحسن بكثير. أستطيع أن أتذكر بوضوح كامل بانك كنت أنت التي قابلتها.» ثم وجه كلامه لجيلز، فاقداً صبره فجأة. «في أية حال، ما الهدف من كل هذه الأسئلة؟ أشعر وكأني شاهد في المحكمة.»

علا صوت كارين وهي تلتفت إلى جيلز: «نعم، ما هو الهدف بالضبط من ازعاجه بهذه الطريقة؟»

استدار جيلز في مقعده ليحملق بها، بوجه منذر. «الهدف، يا كارين، بانك كذبت حول مقابلة فيونا لفيكتور في البارايد. لست أدري ما الذي يدور بخلدك. لكنك كذبت . أكره الشخص الذي يكذب. مثل هذا الشخص من غير الممكن الوثوق به.» تصارع المحرك وانطلقت السيارة إلى الأمام لتنشق طريقها نزولاً من التلة تتحرف حول المنعطفات.

«أنا... أنا آسفة، يا جيلز.» قالت كارين بصوت ضعيف.

«آسفة؟ أنت تدينين بالاعتذار إلى فيونا.» قال بخشونة.

لكن كارين بقيت صامتة بعناد.

«قلت إنك تدينين لفيونا باعتذار.» كرر جيلز نبرة آمرة اكتنفها خشونة صوته.

«هذا لا يهم... لست بحاجة لاعتذارها.» اكدت فيونا ذلك بعجلة. جالسة في الخلف، راقبت كارين تتكمش تقريباً في مقعدها إلى أن اقتربا من أسفل التلة، وكان بعدها أن شعرت بتوتر وهي تتساءل أي طريق قد ينعطف جيلز... إلى اليمين أم إلى اليسار؟

إذا دار عن اليسار، بذلك يأخذها أولاً إلى المنزل، وهذا يعني أنه ليس مهتماً ليلثمها الثمة المساء. ثم تعطي كارين الفرصة بان

www.liilas.com

تفوز بهذه الخطوة لنفسها بالتوسل والمساومة عن أكاذيبها. وعندها يتجاوب جيلز معها؟

ثم أشارت كارين إلى أنها كانت هي الأخرى مدركة من اقتراب المنعطف. جلست منتصبة ووضعت يداً فوق ذراع جيلز وهي تقول بالحاح: «أرجوك خذ فيونا أولاً إلى منزلها. هناك الكثير أريد أن أطلعك عليه... على انفراد.»

أطلق جيلز ضحكة قصيرة. «ما الذي يجعلك تتصورين بأنني سأصدقك؟»

«يجب عليك. إنها... إنها بشأن توايا فيكتور...»

«قد أكون غبياً إذا لم أستطع أن لخمن ما في مخيلة فيكتور.» أجاب بهشاشة. «يجب أن تتذكري بأنه يعيش معي وبأن لدي كل فرصة لمراقبة تحسن حالته. كانت فيونا على حق عندما انهمك بكونه رجلاً بقبعتين... واحدة لذكوته، والأخرى من أجل سيكاده.»

وصلوا إلى المنعطف عندما أنهى كلامه. أوقف السيارة، ونظر في الاتجاهين، ثم تحول إلى اليمين لينطلق مسرعاً على طريق البارايد. تنفست فيونا تنهيدة ارتياح، بدأت كارين تعنّف جيلز بشكل هستيري.

«إنك غبي، يا جيلز!» همست له. «يجب أن تصغي إلي وأن تكون حذراً...»

«آه، نعم؟ حذراً مم؟» سخر.

«تلاعبات فيكتور، طبعاً. لقد دبّر كل شيء من أجلك ومن أجلها.» ارتفع صوت كارين. خرجت من السيارة بعد لحظات، وأغلقت الباب وراءها بعنف.

الفصل التاسع

قفز جيلز من السيارة، على ما يبدو كان عازماً على مرافقة كارين إلى الباب، لكنها اندفعت بسرعة نحو المنزل، ثم دخلت وصفقت الباب خلفها بينما كان جيلز ما يزال على بعد بضعة ياردات خلفها. هز كتفيه غير مبال، ثم مشى تباطئاً راجعاً ليفتح الباب الخلفي لسيارة الجاغوار.

«أرجو أن تجلسي في المقدمة.» طلب بنبرة جافة لكنت لا مبالاته تجاه مغادرة كارين. «لأنني سأشعر مثل سائق أجرة أصطاع القبعة المميزة.»

«أعتقد بأن هذا سبب كاف لي لأترك هذه الزاوية الضريبة.» قالت فيونا، وهي تقوم بجهد عظيم لإخفاء شوقها لمغادرة المقعد الخلفي حيث جلست غارقة في أسى عميق تصغي إلى الحديث بين جيلز وكارين. كانت سعيدة لأن جيلز طلب منها الجلوس إلى جانبه، وعندما أخذ مكانه خلف المقود سألته بلطف: «ماذا كانت تقصد بهذه الملاحظات الغريبة؟»

حملق مباشرة إلى الأمام. «أي ملاحظات غريبة؟»

«تلك الملاحظات بشأن انذارك من تلاعبات فيكتور. ماذا بحق السماء كانت تريد القول؟» التفتت فيونا لتحملق في صورته الجانبية القاتمة لكنها بقيت غير معبرة.

بعد صمت قصير قال: «كيف يمكنني المعرفة؟ لست على معرفة بالذي يدور في ذهنها.»

«لكن بدا عليك أنك تفهم ما كانت تعني.» قالت بهدوء.

www.liilas.com

ابتسم لها ابتسامة صغيرة وقال: «أحياناً يجب على المرء أن يبدو مدركاً، وبعدها قد يتعلم أكثر.»

لم تقتنع فيونا بجوابه، جعلها تعبس بينما عيناها تابعتا شعاع المصباح الأمامي الذي كان يلمع فوق الأغصان الطويلة لأشجار الصنوبر. ثم تابعت ملحة: «قالت كارين إن فيكتور دبر كل شيء ويعمل من أجلك وأجلي. لا أستطيع سوى أن أشعر أنك تفهم جيداً ماذا كانت تعني.»

«بحق السماء من أعطاك هذه الفكرة؟» سأل جيلز.

«حقيقة قولك إنك أيضاً قد تكون غبياً إذا لم تستطع أن تخمن ماذا يدور في خلده.» أشارت بهدوء.

تابع التحديق إلى الأمام إلى أن قام بمحاولة لطرح هذا الموضوع جانباً بقوله بإيجاز: «لم لا تنسي هذا الموضوع؟»

«لأنه موضوع يخصني أيضاً.» ذكرته بحدة. «ألا تظن أنها تعطيني الحق لمعرفة التفاصيل حول نوايا فيكتور الغامضة؟»

«أنتِ تبنين أشياء من لا شيء.» قال بتلميح لنفاد صبره. «وأنتِ تقومين بخطأ بالتركيز على ثرثرات كارين. لقد سمعتها تتكلم عن لقائك المزعوم مع فيكتور عند الساقية... حسناً، هذا على الأرجح خيال آخر. خذي بنصيحتي وانسي الأمر.»

بينما انطلق حول بلاف هيل نحو المرفأ كانت الأنوار من سفينة ترسو قرب الرصيف تضيء الظلمة. هزّ جيلز رأسه إلى ناحيتها وقال: «إنها إحدى سفن ندلويد لاين. راقبتها عبر المنظار بينما كانت تدخل المرفأ.»

حملت كلماته طابعاً نهائياً وأنبأت فيونا أن موضوع نوايا فيكتور قد ختم. على ما يبدو، كان غير قادر على مناقشة المسألة أكثر، ويبدو كأنه اعتبر أن المسألة لا تعني فيونا.

لكنها علمت أنها تعنيها فعلاً، وبقيت صامتة طيلة رحلتهما إلى وستشور، تحارب الغصة في حنجرتها التي هددت في جريان الدموع على خديها. عاد أساها السابق بقوة كاملة، مع جرح عميق، سببه معرفة أن ثقة جيلز بها كانت تخف أو ربما تنمحي، حتى أن يعطي تلميحاً بالنسبة إلى مشاعره الخاصة في موضوع نوايا فيكتور.

لكن أصبح ذهنها صافياً فجأة. كان هنا خطة واحدة عليها اتخاذها، قررت، وهي تستقيم في جلستها بينما انعطفت السيارة إلى شارع تشارلز. ستواجه فيكتور في أول فرصة بسؤال يخص نواياه التي تتعلق بجيلز وبها. ولم تنوِ التكلم على الخطة هذه مع جيلز. إن كان باستطاعته أن يكون كتوماً معها، سيكون باستطاعتها أن تكون كتومة معه!

جعلها القرار تشعر بتحسن، وبينما دخلا الشقة كانت جاهزة للابتسام وهي تقول: «هل ترغب بفنجان قهوة؟»

«شكراً لكِ، سيكون هذا لطيفاً.» عيناه البندقيتان الداكنتان تفحصتا وجهها بعزم. «أنا مسرور لأن الكآبة رحلت.»

نظرت إليه بتحدٍ، ثم استدارت مبتعدة لتشغل الغلاية الكهربائية: «الكآبة؟» سألت من فوق كتفها.

«نعم إنها تصل إليّ. أعرف أن ليلتك لم تكن ناجحة كلياً، بشيء وآخر...» تحرك ليقف بجانبها بينما وضعت القهوة السريعة التحضير في الكوب الصيني المصنوع من العظام.

«أقرّ بأنه كان لها دقائقها البعيدة.» اعترفت وهي واعية قربه.

«ثم أشكرك من أجل الخدمة.» أضاف جيلز.

«الخدمة.» توقفت لتسكب الماء المغلي في داخل الكوب، ثم أعطته إياه، وتلامست أصابعهما بسرعة.

www.liilas.com

سئولك كشاهدة على توقيع الآنسة كونروي.» رمقها بنظرة متفحصة عبر حافة الكوب. «كما أن هناك شيئاً آخر... لم تخبريني بعد عما جرى في المطبخ.»

استدارت مبتعدة عنه وهي تجيب: «بما أنك عظيم لتخفي المعلومات عني، سوف أحتفظ بهذا لنفسي. هذا يجعلنا متعادلين.» أضافت بنبرة باردة تزحف إلى صوتها.

«بس، تأكد أنك ستخبرني إلى عدم ... بمناقشة ما أشعر به عما يدور في خلد فيكتور.»

لازمت الصمت.

تابع: «ألم يخطر ببالك بأنني قد أعرف المسلك الأفضل الذي يجب اتخاذه، بما يتعلق بالمسألة؟»

بدأت فيونا تفقد صبرها. «تبدو بأنك نسيت أنها تتعلق بي أيضاً.» ذكرته بغضب. «من المؤكد أن لي الحق في أن أعرف، هل أنا من دون قيمة؟ هل ذهنك ملتف بشدة بابن خالتك الثمين، يا سيد حارس، لا يهم كم ينالني الأذى، طيّ أن أتحمل؟» لم يتحركا من مكانهما في المطبخ، وأعاد جيلز الآن كوب القهوة إلى الطاولة كان نصف كوب فيونا فارغاً، لكنه أخذ منها ووضعه بقرب كوبه. «ثم، وبناء على كتفيها، دار بها لتواجهه. «لا تقيمين أن هدفي هو أن أمنعك من التعرض للأذى؟» سأل بصوت منخفض، ونظراته تخترق عينيها.

شعرت بركبتيها تضعفان وخشيت أن لا تقويا على حملها. وبما أنها تدرك بأنها تذوب من تأثير لمسته، أبعدت يديه عن كتفيها. ثم التفتت نحو الطاولة، فشربت المتبقي من القهوة بشكل عادي.

راقبها بتعابير غامضة تعلو وجهه، ثم احتسى المتبقي من

قهوته. أعاد الكوب إلى الطاولة ثم غادر المطبخ ليجول بنظره فوق نافذة العرض. «كنت منشغلة.» علّق، وهو يتفحص الصفوف المنتظمة من الثياب الصغيرة.

«نعم.» جاء الجواب بإيجاز بينما كافحت خيبة الأمل التي سببها تقبله السهل لصدّها المؤدب في إزالة يديه عن كتفيها. وما يعني قوله بأن هدفه كان لمنعها من التعرض إلى الأذى؟ وهي تتأمل السؤال، غسلت الفنجانين ونفضتهما، ثم أعادتهما إلى مكانهما. تناهى صوته من غرفة الجلوس. «يبدو أن لديك أصدقاء كثيرة شبه منامية. هل تقومين عادةً بالعمل على أكثر من صنف واحد في الوقت نفسه؟»

«نعم، تعطيني تنويعاً في العمل، وفجأة أحصل على عدد من الثياب المنتهية في وقت واحد.»

«أين وصلت بثوب نوم الطفل؟» جاء السؤال بلا مبالاة.

لقطت أنفاسها. «أنا مندهشة من أنك تذكر هذا الثوب الخاص.»

«ليس من السهل أن أنسى ما أثير حوله.» أجاب بصوت جاف. «لا تقلقي قليلاً. «ربما ما زلت تتساءل إذا كنت حاملاً.» قالت بنبرة باردة. «من المحتمل أن الفكرة ما زالت تكمن في ذهنك لمضايقتك.»

«طبعاً لا.» قال ببساطة. «لدينا تلك الصيغة والطريقة التي يعمل فيها عقلي.»

تجاهلت سؤاله بالإجابة عن سؤاله الأساسي. «ثوب نوم الطفل على وشك أن ينتهي.» قالت، دفعها الحماس إلى حيث طرح الثوب فوق لوحة المكواة. حملته بحنان، وتابعت: «انظر، تمّ العمل على التطريز وله ثنيات ليتوسع عندما ينمو الطفل. إنه نموذج من الصنف القديم، لكن من الذي تفضله الأمهات.»

www.liilas.com

«هل سيرتدي أطفالك هذا الصنف من ثياب النوم؟» قال جيلز بلطف.

تسارعت أنفاسها، لكنها حافظت على خفة نبرتها: «من الممكن... يعتمد ذلك إذا كنت ساحصل على أي... أطفال.»

«إذا كنت بحاجة إلى أي مساعدة، دعيني أعرف فقط.» تمتم.

تحول لون وجهها إلى الأحمر القاني، وبينما أجهدت ذهنها لتعطي الجواب المناسب أخذ الثوب الرقيق من يديها وأعاده إلى لوح المكواة. ولم تقو على دفعه بعيداً عندما جذبتها ذراعاه نحوه وعانقها.

تحركت يداه لتحملها وشعرت بنفسها تتجه نحو غرفة النوم، وضعها على السرير، ثم استلقى إلى جانبها. «رتاجي، يا عزيزتي.» تمتم في أذنها. «منذ اللحظة التي تقابلنا بها جلست في أن أستلقي إلى جانبك. تعلمين بأني أريدك، وأعلم بأنك تريدينني...»

استوعبت كلماته من غير وضوح. هل تعني بأنه يحبها؟

هل أحبها؟ لفح السؤال ذهنها بينما شعرت بنفسها تندفع إلى مرتفعات من السعادة التي كانت جديدة كلياً عليها.

لم تكن غير مدركة للتوتر الذي غمر جيلز. توقها للإستجابة لعناقه أخبره كل ما يحتاج إلى معرفته... بأنها مستعدة للحب... والمعرفة حملته إلى ما فوق الغيوم. كانا معاً يطوفان حول الجنة.

لكن تبعثرت الغيوم فجأة بسبب الرنين الحاد الصادر عن الهاتف الذي هزّ الشقة. أرجعهما إلى الأرض، حيث استلقيا بسكون متجمد إلى أن غمغم جيلز بصوت أجش في أذنها: «دعيه يرن.»

علمت أن السحر انفك، وكان هناك شيء ما حول الرنين

المثابر الذي طلب جواباً. «قد يكون مهماً.» قالت بينما هذه الفكرة زحفت إلى ذهنها.

«من المحتمل أن يكون رقماً خاطئاً.» دمدم. «من قد يتصل بك في هذه الساعة من الليل؟»

«ربما والداي يتصلان من اسكوتلندا ليمدداني بمزيد من خطط الرحلة. في الحقيقة يجب أن أرد عليه.» قالت فيونا وأسرعت إلى الهاتف.

ارتجفت يدها وهي ترفع السماعة، ولم يبد صوتها ثابتاً جداً وهي تقول: «مرحباً؟»

كانت سو، جارتها، التي بدت ضاحكة وهي تقول: «مرحباً! لقد أخذت وقتك في الإجابة على هذا الاتصال، خاصة وأن الهاتف على مقربة منك!»

فكرت فيونا بسرعة. «سو، تعرفين بأنني أرتجف من الاتصالات المتأخرة.»

ضحكت سو. «تخافين؟ مع السيد هاميلتون الوسيم بين يديك؟ أعرف أنه هناك، لأن سيارته في الخارج، وطبعاً غرفة المشغل ما زالت مضاءة.»

«من الطبيعي.» ردت فيونا بصلابة، وهي تتمالك نفسها وشاكرة نجمها المحظوظ من أن نور غرفة النوم لم يكن مضاءً ثم قالت: «هل كل شيء على أتم حال، سو؟ لماذا تتصلين بي؟»

«حاولت أن أتصل بك في وقت مبكر، لكنك كنت خارجاً. إنه بشأن ثوب نوم الطفل الصغير الذي تقومين به لي لأهديه إلى صديقتي. سمعت أنها ستذهب إلى مستشفى التوليد أبكر بكثير مما توقعت. أعرف بأني قلت لك إن هناك متسعاً من الوقت، لكني أظن أن الطفل سيبصر النور قريباً، وأتساءل لو أنك بدأت به.»

www.liilas.com

«نعم لقد انتهيت أكثر من نصف العمل فيه.» أكدت لها فيونا. «سأسلمه لك خلال اليومين القادمين.»

«آه، شكراً لك، يا فيونا. أمل بأنني لم أزعج أي شيء مهم؟» التمتم بالقهقهة رافق الكلمات.

عبست فيونا. «لا، بالطبع لا.» كيف باستطاعتها أن تقر بأنها كانت تنتظر من جيلز أن يقول لها بأنه يحبها؟ هل كان سيقول لها لو لم يرن جرس الهاتف؟

قالت سو: «حسناً، عمت مساءً.» توقفت، ثم أضافت: «إن كانت سيارة ذلك الوسيم ما زالت هناك في الصباح سأقهم جيداً... ولك مباركتي.»

«عمت مساء، يا سو.» قالت فيونا بنبرة ثابتة. أغلقت السماعة، ثم التفتت لترى أن الوسيم ترك السرير، وكان ينظر إليها من مدخل الممر الصغير. سيماء رباطة جأشه بدت تشير إلى أن الأوتار الصوتية التي لفتهما معاً موضوعاً ذابت الآن واختفت.

«إنها سو من الشقة المقابلة.» شرحت من دون ضرورة. «ستحتاج إلى ثوب نوم الطفل في وقت أسرع مما تتوقع.»

اقترب منها وجذبها نحوه. «تعنين أنك ستكونين عاجزة عن الاحتفاظ به لنفسك؟»

«طبعاً لا.» أطلقت ضحكة قصيرة وهي تريح رأسها فوق كتفه، تعصف أحاسيسها مرة أخرى بطفل وهي بين ذراعيه.

«همم... خسارة. كنت راجياً أن تكوني قادرة على استعماله من أجل طفلك.»

جعلت كلماته قلبها يخفق بشدة: «من الأفضل لك أن تفهم أن لا نية لدي من... من...» تلاشت كلماتها إلى الصمت.

حملق في وجهها. «لا؟ حسناً، بإمكانك أيضاً أن تفهمي أنه لدي كل نية. ولو لم يرن ذلك الهاتف اللعين...»

«قد أكون في الحقيقة حاملاً الآن.» إيه؟» أخذت فيونا نفساً عميقاً، ثم أضافت: «سأشكر سو غداً لتدخلها في الوقت المناسب.»

أصبح صوته هديراً منخفضاً: «أنتِ تفهمينني بأنك تكرهين فكرة حمل طفلي؟»

«لم أقل ذلك... لكنني لم أنسَ ذلك الوقت حيث إن مجرد الفكرة في ذلك كانت كافية في أن ترعبك. أو هل نسيت اتهاماتك كارين تماماً هنا في هذه الشقة بالذات؟» تكلمت بعنف أكثر مما نوت.

نظر إليها مطولاً وباحثاً. «هذا فعلاً أثر بك، أليس كذلك؟»

«بالتأكيد فعلت جملتي أدرك كم تقدر حريتك.» حملت كلماتها الأخيرة بنبرة جرارة حاولت أخفاءها بأن أضافت نبرة إضافية: «باستطاعتي أن أفهم كيف تشعر، لأنني أيضاً أقدر حريتي.»

نظر إلى عينيها مباشرة وسأل: «هل تحاولين خداعي، أم خداع نفسك؟»

نظرت فيونا بعيداً عنه عاجزة عن الإجابة، لكن أصابعه الحازمة فوق ذقنها أجبرتها على أن تواجهه مرة أخرى. «لست عازمة على مناقشة ذلك.» قالت له بهدوء، ثم، وبمحاولة لتغيير الموضوع، قالت: «هل تظن فعلاً أن فيكتور وإيدي سيحضران للعمل في الحديقة غداً؟»

«باستطاعتك أن تراهني على أنهما سيكونان هنا.»

«ألست قلقاً من أن إيدي سيكون خارجاً منكباً على العمل بينما يمشي فيكتور وقته في الشقة، بصفته مفتوناً بي بطريقة غير سديدة؟» سألت ببراءة.

www.liilas.com

لم يظهر جيلز أي علامة من السرور، نبرته جادة وهو يقول: «لا. لقد تخليت عن القلق بشأن فيكتور.»

سألته وقد ذهلت: «هل هذا صحيح؟ هل أستطيع أن أسأل ما الذي سبب هذا التغيير بالموقف؟»

«لأكون صادقاً، كان حديث مع طبيبه الذي أكد لي أنه ذهنياً بحالة أفضل بكثير مما أدركت... مع أنني بدأت أشك بأنه كان...» توقف وكأنه يمتنع عن الاقرار بافكاره الحقيقية في المسألة.

«تقصد أنه بدأ يدرك بأنه لم يعد كثير النسيان مثلما جعلك تعتقد؟»

«تماماً. أشار طبيبه أيضاً إلى أنني دللته بما يكفي، وليس عنده مشكلات عاطفية ولا مالية، وكل شيء كان مؤمناً له. كانت أمي عظيمة معه.»

«لذلك...» تساءلت: «إلى أين كان يقود كل هذا؟»

«اعتبر طبيبه أيضاً أن الوقت حان له ليقف على قدميه.» قال جيلز. «وإلا فهو لن يسترد الثقة للقيام بذلك.»

نظرت إليه مفكرة. «إنك تقول إنك لم تعد حارسه؟»

«هذا صحيح. أيام المطاردة للبحث عن مكان وجوده انتهت الآن. على أي حال، سيكون من المستحيل القيام بذلك، لأن الطبيب قال له بأنه يستطيع شراء سيارة الآن.»

«هذه أخبار سارة! إنني متأكدة من أنك سعيد لمعرفة تأكيد الطبيب بأنه أصبح أفضل بكثير.» توقفت فيونا، وهي تنظر إليه بشك. «أم أنا على خطأ؟ لماذا يأتيني شعور بأنه يقلقك؟»

«لأنني خائف من أن يتابع ازعاجه لك بحضوره. أقصد، أكثر بكثير من السابق.»

«لا أستطيع أن أفهم لماذا هذا يقلقك إلى حد كبير. ولماذا

استعمال كلمة إزعاج؟ قد أسرّ برفقته.» تحركت مبتعدة عنه وهي الآن تنحني فوق الطاولة في المطبخ.

أومأ جيلز بطريقة تظهر نفاد صبره. «كوني مدركة، يا فيونا! لا تستطيعين ربط نفسك برجل في سن فيكتور.»

ارتفعت كتفاها قليلاً وهي ترد: «عزيزة رجل كهل أفضل من حبيبة رجل شاب.»

عبس ثم قال بحدة غاضبة: «هل تعتقدين حقاً أنك فكرت بالزواج من فيكتور؟ سيكون هذا أمراً سخيفاً!»

أصبح لون عينيها أخضر داكناً واتسعت حدقتاها بدهشة مريبة. «إنك فعلاً تحيرني، يا جيلز. لماذا تناقش نفسك؟»

بدا مجفلاً، ثم سأل مستوضحاً: «أناقش نفسي؟ ماذا تعنين بحق السماء؟»

«حسناً، أنكر كلماتك بوضوح. الحياة الزوجية مع فيكتور من غير الممكن أن تكون غير سارة. فلتكن واثقاً كل مشاحناتي المالية، أكدت لي. ستمنحني الأمان، أشرت... والحاجة إلى الخياطة لأطفال الناس الآخرين ستزول كلياً. نعم.» هزت رأسها بعقلانية. «أنا متأكدة من أنها كانت كلماتك الصحيحة.» بينما انتهت من كلامها صعقت بموجة من الكآبة، ومن خوفها ملأت عينيها دفعة من الدموع.

خطوتان. وصلت ذراعاه لتجذباها نحوه، يد تضغط على رأسها فوق كتفه. «أنت مليئة بجرح عاطفي.» قال. «هيا ابكي وانتحبي جيداً فهذا سيريحك.»

طن انتحب.» أجابت متحدية، تطرف بعينيها بسرعة.

«ربما العلاج هو نوم مريح... أمر قد يساعدك لتتذكر الأشياء الجميلة.» توقف جيلز، ثم سأل بصوت منخفض: «أمل أن تكوني

www.liilas.com

راغبة في الاقرار بانه كانت هناك لحظات جميلة قليلة؟»

هزت رأسها. «آه، نعم، كان هناك بعض اللحظات الجميلة.» قالت وقررت أنها ستكون منافقة لو أنكرت. واستمتعت بشعور سترته فوق خدها، فلفت ذراعيها حول خصره.

هذا الفعل جعله يحكم ذراعيه حولها، ويريح ذقنه فوق جبهتها، وتمتم: «من الحكمة أن تذهبي إلى السرير... من دون أن تسحبيني معك.»

«سحب؟ لديك الجرأة!» لهثت، اهتز صوتها من الإهانة. «أنت حملتني، هل تذكر؟»

لم ألحظ أي مقاومة أو اعتراض.» قال وهو يستفزها. «وأنت بين ذراعي وفي السرير، كيف باستطاعة شخص مخبول مقاومة الاغراء وهو قريب منك إلى هذه الدرجة؟»

«مخبول؟» تمتمت ذاهلة بالكلمة.

«ربما رجل يعاني من جنون مؤقت هو الذي كان واجباً علي قوله.»

«آه، حسناً إنها حالة يجب أن تختفي قريباً جداً.» أمسكت فيونا أنفاسها بينما انتظرت إنكاره لما قالت. لكن بالمقابل زادت كلماته التالية من احباطها.

«ما من شك بأننا سنلتقي عاجلاً أم آجلاً.» قال لها بنبرة عادية.

عاجلاً أم آجلاً؟ بدت غامضة، لكن الكبرياء لن تسمح لها بنطق الفكرة. ثم انتعشت روحها عندما عانقها لكن يديه لمسكتا بكتفيها وأبعدها عنه بإيماءة ثابتة.

«عمت مساء، يا فيونا.» تمتم، ثم خرج من الشقة.

تركها رحيله المفاجيء مجردة الشعور، بينما تغلب الأسى عليها. بقيت عند نافذة المطبخ تراقب تراجع السيارة إلى الطريق

العام، ثم انحنت فوق المقعد الطويل لتراقب الأضواء الخلفية الحمراء الزاهية إلى أن انعطف من شارع تشارلز إلى داخل شارع جيمس. ثم أقفلت منها تنهيدة طويلة وهي تقفل الأبواب وتذهب إلى الفراش.

عاجلاً أم آجلاً؟ تردد صدى هذه الكلمات في ذهنها بينما استلقت على الشراشف. جعلها المعنى الغامض تشك بأنها قد تكون آجلاً وليس عاجلاً. أو على الأرجح ستكون فرصة لقاء في موعد بعيد في المستقبل القاتم، لأن عمل جيلز المفروض ذاتياً لأجل مراقبة تحركات فيكتور على ما يبدو قد انتهى، إذاً ليس من المحتمل أن يحضر إلى الشقة في البحث عن ابن خالته.

لكن على الرغم من الطرق المتنوعة التي سلكتها أفكارها، كانت فيونا عاجزة عن محو صورة جيلز مستلقياً إلى جانبها... لو لم يرن الهاتف، ما كان سيحدث؟ هل سيقيمان علاقة ما؟ كان ذلك أكثر من احتمال، لأنها أحبته، وأرادته... لكن يبدو أن ذلك الاتصال الهاتفي سحبها بعيداً عنه.

هل منعه أيضاً من القول لها إنه أحبها؟ بالطبع لم تمنعه. لو أحبها لكان استطاع قول ذلك. والواقع المر أنباها أنه كان منتبهاً لاشباع رغباته الحسية لا غير. انقبضت بشعور من الانزال العميق جعل الدموع تنهمر فوق وسادتها، وبينما استلقت تستمع إلى الأمواج تتكسر فوق شاطىء وستشور بدت وكأنها ترد صدى كآبتها في روحها.

كانت فيونا في صباح اليوم التالي مثقلة العينين بعد ليلة متعبة. بذلت جهداً كبيراً للخروج من السرير، لكن عندما دخلت المشغل لفت نظرها ثوب نوم الطفل. كان كافياً ليدفعها إلى

www.liilas.com

النشاط، وبعد فطور سريع جهزت نفسها في مهمة انهاء الثوب الصغير. جعلت القطب الصغيرة التركيز ضرورياً. وهذا خوّلها دفع جيلز بعيداً عن أفكارها مع أنها لم تمنعها من الاصغاء إلى وصول إيدي وفيكتور.

هل سيحضران لزرع الحبوب في حديقة الخضار كما وعدا؟ هل سيكون باستطاعتها سؤال فيكتور بما يتعلق بالخطة التي في ذهنه... الخطة التي تعنيها بطريقة ما؟ وهي تفكر به، كان من السهل أن تخمن بأنه سيدخل ويجلس في الشقة بينما يقوم إيدي بالعمل وهذا سيمنحها الفرصة للقيام بتحقيق صغير ولطيف.

يجب أن تأخذ الأمر بهدوء، قررت، مدركة أنها يجب أن لا تندفع في مسألة كهذه لكن إذا كان باستطاعة فيكتور أن يثق بكارين، ربما يستطيع أن يثق بها أيضاً. ماذا قالت كارين بالفعل؟ تقيت فيونا ذهنها جاهدة لتتذكر كلمات الصبياه بالتحديد، لكن ذهنها بقي مشوشاً ولم تتذكر غير أن جيلز حذّر من نوايا فيكتور، مهما كانت. ما هو احتمال تورطها بهذا الموضوع؟

قفزت إلى ذهنها كلمة تلاعبات التي استعملتها كارين، لكنها دفعتها جانباً لكونها غبية كلياً. لأن جيلز كان شخصية قوية ليسمح لأحد بالتلاعب معه. إلا... إلا إذا كان لطفه الغريزي واهتمامه بابن خالته أعميا بصيرته عن خطط فيكتور له. حتى هذه الفكرة أيضاً فشلت في اقناع فيونا، لأن جيلز أعلن بأنه يعلم جيداً ما يدور في خلد فيكتور.

تنهدت، وهي تدرك بأنها تسمح لجيلز بالزحف إلى أفكارها بينما تعلم جيداً بأنه يجب القيام بكل جهد لابعاده عنها. وبمرور ساعات النهار عملت باستمرار في ثوب النوم الصغير بينما تصغي إلى سماع وصول إيدي وفيكتور.

كان وصولهما متأخراً عند بعد الظهر، وفي ذلك الوقت كان أمل فيونا قد تضاءل من رؤيتهما في ذلك اليوم بالتحديد. لكنهما وصلا فجأة، وكانت مندهشة عندما اكتشفت بأنه بدلاً من دخوله إلى الشقة لتمضية بعض الوقت معها كما توقعت، بقي فيكتور مع إيدي، ينقب التربة، يمدد خطوطاً ليقيم صفوفاً مستقيمة.

وقفت وراقبت هذا النشاط عندما دفعتها اللياقة الاجتماعية إلى الخارج لتشكرهما على جهودهما، لكن بسبب وجود إيدي كان من المستحيل طرح أسئلة من نوع خاص على فيكتور، لذلك بقيت إلى وقت قصير فقط قبل العودة إلى الداخل، آملة في الوقت نفسه بأنه قد يدخل ويراها قبل مغادرته.

مهما يكن، كانت الساعة الخامسة قبل أن يخيم ظل عبر باب مدخل الشقة المفتوح، وبعدها لم يكن فيكتور الواقف هناك... كان جيلز، مرتدياً بدلته بأناقة ويبدو أكثر وسامة من أي وقت مضى.

جعلت الصدمة غير المتوقعة من رؤيته الدماء تندفع إلى وجه فيونا. ارتجفت أصابعها وكادت أن تسقط ثوب نوم الطفل. فتحت فمها للكلام، لكن الصوت الوحيد الذي خرج كان ترحيباً ضعيفاً: «مرحباً.»

نظر إلى الثوب، ثم دخل إلى الشقة ليتفحصه عن كثب: «انتهى تقريباً؟»

هزت رأسها، وهي تقول بغير ثقة: «سأسلمه إلى سو صباح يوم الغد. آ... آمل أن يعجب صديقتها.» ثم، بدا عاجزاً عن منع نفسه من مد الثوب الصغير ليتفحص التطريز، نظرت إلى الأعلى لتراقب ردة فعله.

لكن عينيه لم تكونا على الثوب، كانتا عليها، تعابيرها الحية مع شيء عجزت عن تحديده... شيء جعلها تشعر بالدفء

www.liilas.com

والسعادة في داخلها وتدرك وجود سحر ما في الأثير. ومع أنه بقي صامتاً بدا وكأنه يريد قول ما تاقت نفسها إلى سماعه من دون التلفظ بالكلمات. «وجوك، يا جيلز، قل لي، صلت بياس في داخلها.

لكن كل ما قال: «أعتقد أن هناك ذراعين صغيرتين كفاية لهذين الكمين.»

«ستكونان هناك.» قالت، وهي تتخيل العضوين الصغيرين يندفعان بين ثنيات القماش برقة بالغة. ثم جعلت كلماته التالية قلبها يشب.

حمل صوته العميق نغمة قوية غير متوقعة. قال: «يجب أن أقول بأنك تبدين رائعة بانحناءة رأسك فوق خياطة ثوب الطفل. رائعة بالفعل.»

وهبت عيناها وهي تبتسم له. «شكراً لك... سأقول بأنها كانت الشيء الذي استمتعت بالقيام به أكثر من أي شيء آخر.» انتظرت متقطعة الأنفاس لتسمع المزيد بينما تستمتع بالحميمية التي تنمو بينهما.

لكنه وضعها جانباً فجأة عندما تحرك مبتعداً ومغيراً الموضوع. «لقد عمل الصبيان جيداً في الخارج هناك.» قال فجأة: «زرع إيدي صفوفاً من بذوره الخاصة من الخس، الملفوف، الزهرة والشمندر. تبدو التربة في حالة جيدة.»

ذهلت فيونا من أسلوبه الحاد، لكنها حجبت الأذى الذي سببه لها، بالبحث عن السبب. خمنت أن أي مشاعر رقيقة شعر بها نحوها كانت الآن تحت مراقبتها تماماً، وأنه لم يكن لديه أي نية من الانجذاب أكثر... خاصة من خلال السحر غير الملموس من ثوب نوم الطفل.

قالت وهي تحافظ على صوتها هادئاً: «هل ذهبت لرؤية عملهما قبل مجيئك إلى هنا؟»

«نعم، هذا صحيح.» أقر جيلز بعدم مبالاة.

مالت برأسها على عملها، حقيقة اهتمامه بما يقوم به الرجلان أكثر من اهتمامه بما تقوم هي به، سبب لها ألماً جديداً. لكنها قالت لنفسها مرة ثانية بأن تسيطر على عواطفها، وحالما تخرج هذا الرجل المدمر من دورة حياتها ستأتي الحياة الأسهل.

جاءها صوته من نافذة العرض حيث وقف يتفحص ثوباً صغيراً من اللون الزهري والأبيض المزركش. «ما الخطب، يا فيونا؟ هل قلت شيئاً أزعجك؟»

أمسكت بالموت التي انتابت بالانهمار. «لا، لا. ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة السخيفة؟»

«حقيقة بأنك ذبلت. الأسى مرسوم عليك بشكل تام.»

رفعت رأسها. «إنك تتصور أشياء.» قالت له. ثم أجبرها تأثرها على القول: «كيف باستطاعتي أن أشعر أي شيء غير السعادة عندما يقوم إيدي وفيكتور بعمل عظيم في الخارج هناك؟ جعلا الحديقة جاهزة لقطاف الربيع. لنتناول لو برغبان بفنجانين من الشاي.»

رمق جيلز ساعته، ثم هز رأسه. «ليس في هذه الساعة. خلال دقائق سيذهبان إلى المنزل من أجل حمام وشراب أقوى من الشاي.»

لم يكن لديها أي فرصة لسؤال فيكتور بشأن الخطة التي من المفروض أن تكون عالقة في ذهنه. أدركت بكآبة. والآن بما أن جيلز هنا اصبحت فرصها بالعمل على ذلك معدومة.

www.liilas.com

قال وهو يراقب وجهها: «لماذا تعبسين؟ هل هناك شيء يقلقك؟ قد أضيف أنه من عديم الفائدة انكار ذلك.»

ترددت، ثم أقرت باندفاع: «كنت... كنت أتذكر ما قالت كارين حول فيكتور. لم أستطع أن أنسى بأنها قالت إن له خطة تورطني.»

«هل سألته بشأنها؟» جاء السؤال حاداً.

«لا، ليس بعد، لكني لا أرى سبباً في عدم القيام بذلك.»

كانت نبرته باردة: «أتذكر بأني نصحتك بخلاف ذلك.»

ارتفع ذقنها بجرأة. «قد تكون محامياً، يا جيلز، لكني لم أضطر إلى مناشدة نصيحتك.» ابتسمت بعذوبة وهي تضيف: «سأخبرك عندما أحتاج إلى ذلك.»

«من الواضح أنك بحاجة إليها الآن.» قال بخشونة. «لذا دعيني أقول لك مرة أخرى، فقط لتسمي الأمر، وإلا لن تكوني فقط منزعجة بل منحرجة بشدة أيضاً.»

انكمشت تحت تأثير العدائية في نبرته. كانت تستطيع الملاحظة بأنه منزعج حقاً ونادم بمرارة من ذكر الموضوع، لذلك قامت بجهد لتهدئته: «حسناً، سأنسى الأمر، من المحتمل أن الموضوع ليس مهماً بهذا الشكل... ربما هو فقط فكرة مجنونة في عقل فيكتور الباطني. شيء لن يرى النور أبداً، لنتركها تأتي وحدها إلى أي شيء واضح.»

نظر إليها بصمت لفترة طويلة وأخذت تتساءل إن كانت هدأته حقيقة، لكنه قال أخيراً: «هل ستنسين الأمر فعلاً؟»

«هزت رأسها: «إنها... إنها مسألة صعبة، لكنني... لكنني سأحاول.»

«فتاة منطقية» تردد صدى علامات الرضا في نبرته، ثم ترك

نافذة العرض وعاد إلى حيث تجلس. وصلت يداه لتنتزع الثوب الذي تخيطه من يدها، ثم جذبها لتقف على قدميها. بأصابع حازمة تحت ذقنها رفع وجهها إلى الأعلى وعانقها.

شعرت بالبهجة تسري في جسدها بأكمله ولكن فيما كانت ترتفع إلى عالم الأحلام عادت فجأة إلى الواقع بعد أن سمعت صوت باب سيارة يصفق فجأة.

جذب جيلز تنهيدة عميقة وهو يدفعها عنه بلطف، وبعد لحظات شاهدا سيارة إيدي تتراجع من نهاية الممر نحو الطريق. مشى فيكتور من ورائها إلى أن وصل إلى مدخل الشقة، حيث وقف ليدخل. «آه، أنت ما زلت هنا.» قال لجيلز بأسلوب مرح. «لا تستطيع الابتعاد عن فتاتنا، هه؟ هل كنت تعانقها؟»

قطب جيلز حاجبيه، التفت جانباً، معاً وهو يهيب بحدة: «اهتم بشؤونك الخاصة!»

استهزأ فيكتور: «لا حاجة لانكار ذلك، يا غلام. ما عليك سوى أن تنظر إلى وجهها إنه يتوهج، وهناك نجوم في عينيها.» قال وهو يضحك.

شعرت فيونا أن وجنتيها أصبحتا بلون الدم، لكن قررت بأنه الوقت المناسب لتغيير الموضوع. تواجه فيكتور مباشرة، قالت: «شكراً لك من أجل كل ما فعلته مع إيدي في الخارج هنا. أنا في الحقيقة ممتنة كثيراً، وأعلم بأن والدي سيكونان...»

«من دواعي سروري.» أكد لها فيكتور. «دعيني أعرف متى ينمو الجزر... سيحتاج إلى تخفيف.»

«آه، بالتأكيد باستطاعتي أن أتولى العناية بهذه المهمة!» اعترضت فيونا.

تقدم فيكتور منها. طيس بهذه الأنامل الرقيقة.» أعلن، رافعاً

www.liilas.com

يديها الاثنتين ليقبل أولاً واحدة وبعدها الأخرى. «يجب أن تبقى ناعمة ولطيفة من أجل أعمال الخياطة.»

عبّر جيلز ساخطاً: «إداء مؤثر، أيها الشاب المجوز.» علق بنبرة مستهزئة. «قد تكون شخصاً نافعاً جداً في المسرح!»

بدأت فيونا تشعر بشيء من الهيستيريا وهي تجذب يديها من قبضة فيكتور. الغضب الذي لمحته فوق وجه جيلز أدهشها، وحالما كانت على وشك أن تشير إلى أنه لا يحق له الاعتراض على اهتمام فيكتور بها، ظهر إيدي عند الباب.

«أعذرني، أيها الرئيس.» قال لجيلز. «هل سيذهب فيكتور معي، أم معك؟»

بدا مفكراً بالسؤال قبل أن يعطي قراره: «سوف يذهب معي إلى المنزل. شكراً لك، يا إيدي.» قال أخيراً.

هزّ إيدي رأسه. «حسناً، في هذه الحالة سأذهب في طريقي.»

أسرعت فيونا إلى الباب. «انتظر، يا إيدي... أريد أن أشكرك على كل ما فعلته هناك في الخارج. أنا متأكدة من أنها ستنمو بشكل مدهش. وأنا في الحقيقة أقدر فعلاً جهودك.»

أشرق إيدي. «هذا حسن، يا آنسة... كان من دواعي سروري.»

بقيت عند الباب تراقبه يسير نحو سيارته، وبينما كانت تفعل ذلك عرفت أن نظرات فيكتور وجيلز تنصب عليها. شعرت بالخيبة المريرة من قرار جيلز في ابقاء فيكتور معه بدلاً من أن يسمح له بالعودة إلى المنزل مع إيدي، وباستطاعتها فقط أن تفترض بأن تصرفه كان مثل رسالة لها... رسالة تشير إلى أن لا نية له في أخذها بين ذراعيه مرة أخرى.

الفصل العاشر

ترك جيلز وفيكتور شقة فيونا بعد وقت قصير، لكن، بينما هزّ جيلز رأسه فقط مودعاً بايجاز، أخذ فيكتور وجهها بين يديه وقبلها من وجنتيها. ومع مغادرتهما زحفت كلمة واحدة إلى ذهن فيونا وبدأت تطن بانتظام رتيب. رسالة. آه، نعم، لقد أدركت الرسالة جيداً. جاءت بشكل واضح وعالٍ.

لو عاد فيكتور مع إيدي، قد يقوى جيلز لأخذها بين ذراعيه مرة أخرى. لكنه توخى الحذر منها. عرف بأنهما كانا سيمضيان الليلة في الشقة، وبعد الذي حدث في غرفة النوم سيكون هناك خطراً من أن ينورط معها، وكانت هذه خطة يريد تجنبها بأي ثمن. الأسوأ، هو أنه قد يسلم نفسه، ومن الواضح أنه لا ينوي القيام بذلك. لأن ذلك قد يكلفه حريته.

حمداً لله لأنها لم تذكره في رسائلها إلى والديها. ستبدو غبية حقاً عندما يعودان من رحلتهما، أين هو السيد الرائع؟ قد تسألها والدتها. لقد اختفى في طي الظلام ولاحقته الحجارة الصغيرة، ستكون فيونا مجبرة على الاقرار. ذهب مع الريح، إيه؟ قد يعلق والدها. إذاً دعيه يذهب. أخرجيه من ذهنك. كيف باستطاعتها أن تقول لهما بأنهما كانا ينصحانها بالمستحيل؟

حدث بعد ذلك أنها أخذت بالنحيب، وبينما تدحرجت الدموع فوق خديها أمسك بجسدها تشنج هائل لأنها عرفت بأنها لا تستطيع اخراج جيلز من ذهنها... على الأقل، ليس كلياً. أصبح بطريقة غريبة جزءاً من تفكيرها اليومي.

www.liilas.com

ذهبت إلى الحمام، حيث سلمت نفسها إلى انهيار أكبر من حزن لا يمكن السيطرة عليه وبدا أنه يصل إلى أعمق أعماق وجودها، ثم، وبينما همدت العاصفة، انحنت فوق المغسلة ورشت وجهها بمياه باردة. لم تفدها إلا بالقليل، وعندما عاينت نفسها في المرآة ارتعبت من مظهرها.

«هل هذه هي الحالة التي تنوين الوصول إليها؟» طلبت من انعكاس صورتها. «يوماً بعد يوم، تنادينه بعينيك؟ يجب أن تجتازي هذه المرحلة. هل تفهمين؟» لكن كل الذي فهمته أن الحياة لن تكون أبداً مثلما كانت. ستستمر الآن بالأسى وذلك الألم الحاد بجانب قلبها من المحتمل أن يبقى. آه، نعم، لقد تلقت الرسالة بلا ريب.

أخيراً جرت نفسها إلى السرير، ومع أنها لم تتوقع النوم لكن الإرهاق جرفها في نوم قلق حيث حلمت أنها تقاوم ضد الأمواج المتكسرة التي قذفتها فوق الصخور. عندما استيقظت مذعورة استطاعت أن تسمع أمواج المد تتكسر فوق الشاطئ، وعرفت بأن الصوت اخترق ذهنها.

في الصباح كانت تشعر بفقدان الحس وزوغان العينين لكنها نهضت عازمة على الانتهاء من ثوب نوم الطفل. مع ذلك، قبل أن تأخذه إلى سو في الشقة المقابلة، وضعت مساحيق التجميل في محاولة لاصلاح ما أفسده ارهاق الليلة السابقة، وعندما فحصت انعكاسها في المرآة مرة أخرى شكت بمدى نجاحها.

نظرت سو نظرة واحدة طويلة، لكنها لم تقم بأي تعليق. بدلاً من ذلك حولت انتباهها إلى ثوب النوم الصغير، وعبرت عن تفحص شغل الابرة الرائع: «لقد أضفت أفكاراً حسنة عليه كان من الممكن أن يكون لطفلك.»

ضربت الكلمات فيونا في موضع قاس، وعلى الرغم من حالتها امتلأت عيناها بالدموع. نظرت بعيداً، آملة أن لا تكون سو قد لاحظت، ثم وجدت انه من الضروري أن تمسح أنفها.

لكن سو لاحظت. «ما الخطب، يا فيونا؟» سألت بأسلوب هادىء. «أرى بوضوح أنك غير سعيدة... إنها مرسومة عليك. بالتأكيد باستطاعتك أن تقولي لي.»

«إنه... إنه لا شيء.» غمغمت فيونا، وهي تربت على نقطتين كبيرتين من رطوبة انذرت بالانحدار فوق جفنيها وانسيل نحو وجهها.

«هناك بالتأكيد شيء أزعجك.» تابعت سو. «أظن من الأفضل أن تخبريني بالأمر. قد تشعرين بتحسن عندما تتكلمين. سأضع الغلاية على الموقد.»

«لا، أرجوك لا تفعلي ذلك، يا سو.» اعترضت فيونا. «أنا في الحقيقة، يجب أن أعود إلى المنزل والعمل على انهاء بعض الثياب. العمل هو العلاج الوحيد لي في هذه اللحظة.»

تمعنين أن التركيز هو الذي يضع طرفاً معيناً خارج دائرة تفكيرك.» قالت سو، وهي تنظر إليها بعنف. «لقد رأيت هذين العازبين المعززين في حديقتك الخلفية في وقت متأخر من بعد ظهر أمس. تخميني بأنك وقعت في حب أحدهما.»

هزت فيونا رأسها بيأس. عرفت بأنه قد يكون من عديم الجدوى أن تنكر الحقيقة عن سو.

«طبعاً هو جيلز.» قالت سو بادراك حسي. «وليس باستطاعتي القول بانني ألومك.»

«أعرف أنني غبية.» أقرت فيونا بحزن. «لكن لا تطلبي شيئاً أكثر من ملابس الأطفال في هذه اللحظة. أشك إذا كان

www.liilas.com

باستطاعتي مواجهتها ولا أظن أنني سأنجز واحداً لنفسي.»

أصبحت سو عملية. «هراء.» أعلنت. «يجب أن تتمالكي نفسك، وعليك أن تنسيه. لا أريد أن أبدو عديمة الفؤاد، لكن إذا ذهبت إلى النافذة ساريك شيئاً.»

لحقت فيونا بها، وهي تشعر بحيرة قليلة.

أشارت إلى امتداد من الرمل ظهر خلال الأشجار عبر الطريق. «أترين ذاك الشاطئ؟» سألت. «هناك أكثر من حصاة واحدة فوقه... وهكذا سيكون أكثر من رجل واحد في حياتك. فقط انسحي الوقت لنفسك.»

حملقت فيونا بالرمل الناعم. ما من شك كان هناك ببساطة ملايين من الحصى فوق الشاطئ، لكنها عرفت أيضاً بأنه سيكون فقط هذا الرجل في حياتها.

تابعت سو: «أترين ذلك المحيط؟ ما يزال هناك سمك أفضل من الذي أخرج منه في ما مضى.»

تنهدت فيونا. «ربما أنتِ على حق، لكن هذا لا يمنعني من أن أرغب بجيلز أكثر من أي رجل آخر.»

«انسحي نفسك بعض الوقت.» نصحت سو بحدة.

عندما عادت فيونا إلى منزلها انغمست في شعرها لثم استمرت للعمل في الثياب التي كانت بحاجة إلى القليل من اللمسات النهائية. رن جرس الهاتف ثلاث مرات، وفي كل مناسبة قفزت وهرعت إليه، لاهثة متوقعة. الاتصال الأول كان من امرأة اشترت فستاناً لابنتها منذ بضعة أيام فقط. بدت الطفلة مبتهجة للغاية به لذلك طلب فستاناً مشابهاً لابنة أصغر. الاتصالان الأخيران كانا أيضاً من أجل طلب، وكان بعدها أن بدأت فيونا تقدر تقدم صناعتها المنزلية، مع أنها نوعاً ما

افتقرت إلى السعادة التي يجب أن تمنحها هذه الصناعة.

مع مرور الأيام من دون اتصال أو زيارة من جيلز أصبحت حزينة على نحو متزايد. عرفت أنها خسرت من وزنها، وعرفت أيضاً أن هناك ظلالاً تكونت تحت عينيها، لكن على الرغم من جهودها كانت عاجزة عن إخراجه من ذهنها.

أصبحت مدركة أيضاً أنها كانت تمشي رقناً كثيراً وفي جالسة شديد، لذلك تمت عادة السير على الرمل في وقت الجزر، أو إلى السوق من أجل بعض المشتروات. وعند ذاك ظهر أحد الأيام وقفت على الشاطئ، ونظرت عبر البحر إلى حيث ينتصب برج المدفع عند حافة صخرية امتدت خارجاً إلى داخل الخليج. كانت نافذته مقفلة اليوم لأن سباق اليخوت لن يجري اليوم، ومن دون سيارات متوقفة بالقرب ولا أناس بدت مثل مكان موحش.

شبدو تماماً مثلما أشعر... مهجوراً وبائساً.» قالت لبرج المدفع، مدركة بأنها بدت آسفة لنفسها. ثم، وهي تراقب الزبد الأبيض يتكسر عند أسفله أضافت: «من أجل التغيير فقط سأمشي لأحصل على مشهد أقرب منك، ومعاً سنكون قادرين على الشعور بحدتي بالأسف نحو نفسينا.»

رمقت ساعتها. الرابعة والنصف. قريباً سيقفل جيلز المكتب وتورت، وأفكارها تميل في الاتجاه المعتاد. هل كان الوقت متأخراً كثيراً لمشي هذا المشي الطويل؟ تركت الشقة وهي عازمة على شق طريقها بمحاذاة الشاطئ، لكن المد كان آتياً وكان البحر هائجاً بأمواج كبيرة متكسرة. الهياج يلائم تماماً المزاج الذي بدا ليكون ملازماً لها هذه الأيام.

حسناً، لقد أصبحت معتادة على النزهات الطويلة سيراً على الأقدام، لذلك تابعت الطريق الذي كانت تقطعه عادة عندما

www.liilas.com

تذهب إلى المدينة، عدا أنها تحولت في نقطة معينة لتشق طريقها نحو القناة حيث تركت الهوت مراسيها الواقية لتدخل الخليج. أدت بها طريق ضيقة إلى جرف واسع من مكان موقف وإلى برج المدفع الذي كان قائماً قرب ما يبدو أنه بقايا سد ماء قديم.

من ورائه حافة الماء العليا، امتدت إلى نقطة خشنة من الخليج، وشكل من قوالب عظيمة وألواح من الأسمنت الرمادي. وعلى طول قاعدتها كانت هناك معركة متواصلة بين الأمواج التي تبعثرت إلى كتل ضخمة من الزبد والرذاذ الضبابي.

عرفت فيونا أنه يجب عليها عدم البقاء طويلاً، مع أنها شعرت بحاجتها إلى الراحة قبل أن تبدأ الرحلة الطويلة إلى المنزل. لكن أين تجلس؟ كان المقعد المتحدر مغطى بأشجار رمادية مسطحة غير مرحبة. لفتت نظرها القمة الواسعة من الجلمود الأسمنتي على بعد نصف المسافة بمحاذاة حافة المياه، من غير الممكن أن يكون هناك صعوبة في شق طريقها إليها، قررت. وبعد عدة دقائق كانت تتسلق الأسمنت للوصول إليها.

أثبتت القمة أنها غير متوازنة، انحدارها الخفيف جعل موضعها مترجرجاً، لكنها ما كانت تشعر بعدم الارتياح وهي تحملق عبر الخليج نحو مدخنة سفينة مستوعبات والرافعات تعلو فوق أبنية المرفأ. وأدركت أيضاً رائحة الملح في الهواء، وطيور النورس تدور وتصرخ فوقها، وتنحني، ورأت أن المياه في الأسفل تبدو عميقة جداً.

ثم لفت انتباهها صوت لم يصدر عن النورس، كان صوتاً بشرياً، والتفتت نحو مصدره، رأت شكلان لشخصين اثنين. وتعرفت عليهما بسرعة، كارين وفيكتور. الأخير حمل لوازم

الصيد: الصنارة والسلة، بينما قبضت كارين على سلة نزهة صغيرة ذات غطاء.

صرخ فيكتور بفيونا للمرة الثانية. «مرحباً هناك!»

انتظرت إلى أن اقتربا ثم قالت: «أليس البحر مائجاً أكثر مما ينبغي للصيد؟»

قطب فيكتور ونظر نحو الأمواج ثم قال صارخاً بصوت يعلو صوت ضجيج الأمواج: «نعم، إنه كذلك الآن، لكنه لم يكن بهذه الرداءة عندما تركنا جيلز هنا بعد الغداء. إزداد الطقس رداءة قبل أن أستطيع الحصول على لقمة واحدة. إننا الآن ننتظر جيلز. ليقلنا مرة ثانية. يجب أن يكون هنا في القريب العاجل.» التفت ليحملق نحو مكان الموقف.

التوت شفتا كارين. «عرفت بأننا كنا هنا.» قالت بصوت عالٍ وبغضب شديد مكتوم. «أراهن على أنها رأتنا من خلال المنظار الثنائي عندما كنا متجهين إلى هنا. وعندما لم تستطع رؤية سيارتي في الموقف خمنت بأن جيلز قد يحضر ليقلنا.»

«أنت مخطئة جداً.» صرخت فيونا من فوق صوت الأمواج التي تحطم نفسها فوق الصخور. «لا، لقد جئت للنزهة لا غير. لا فكرة لدي عن وجودكما هنا.»

«أنت كاذبة بغيضة.» صرخت بها. «إنك تجلسين هنا منتظرة جيلز!»

سيطرت فيونا على اندفاعها نحو الصراخ نفياً. كانت ترتجف من الكره البغيض الذي انبلع من وجه كارين، وشعرت بالدماء تنزح عن وجهها وهي ملتفتة نحو فيكتور، وقالت بصوت أملت في أن يصله: «أرجوك خذها بعيداً. إني... إني لا أريد التكلم معها...»

«لكنك ستفعلين!» انبلعت كارين بغضب جاد: «ستقولين لي

www.liilas.com

أين أوقفت سيارتك، وسوف أتأكد من انك تدخليتها».

«قلت لك، مشيت إلى هنا...»

«إذاً سوف تمشين مرة أخرى إلى المنزل! لا تفكري بانك سوف تقومين برحلة العودة إلى المنزل مع جيلز. في الحقيقة بامكانك أن ترحلي الآن، قبل أن يصل. إن لم تغادري هذه الصخرة سوف أسحبك منها».

«أود رؤيتك تحاولين» تقدمت فيونا نحوها.

«إذاً راقبيني فقط.» أجابت كارين.

«لا تكوني غبية يا كارين.» قال فيكتور بحدة.

لكن غضب كارين كان قد ازداد. أسقطت سلة النزهة وبدأت بالتسلق صعوداً إلى حيث جلست فيونا فوق الجلمود.

كرتاعة فجأة، اندفعت فيونا واقفة على قدميها، أحست بالهدف الخاطئ خلف كلمات كارين، وبينما كانت مدركة بأن فيكتور كان يصرخ بكارين لتكون واعية، عرفت أيضاً أن الأخيرة كانت من دون ريب لا تأخذ نصيحته بعين الاعتبار. بعد ذلك، بينما تقدمت كارين بيدين ممتدتين، استجمعت فيونا نفسها للهجوم الضاري.

كان الصراخ وجيزاً. ارتفعت يدا فيونا إلى الأعلى لتحمي نفسها من أي هجوم، وبينما انقبضت ذراعاها أدركت أن قوة كارين كانت أعظم من قوتها. وجدت أيضاً صعوبة في الحفاظ على قدميها فوق الأسمنت غير المتوازن، وهي تقاوم سحبها إلى الأمام، قامت بخطوة إلى الوراء نحو حافة الجلمود.

صدر صراخ محذر عن فيكتور، الذي ليس باستطاعته القيام بشيء ليبعدهما عن بعضهما البعض لأنه لم يكن هناك مكان لثالث فوق الجلمود. لكن صوته شجع فيونا لتقوم بجهد أعظم لتسحب ذراعيها من قبضة كارين وبينما فعلت ذلك دفعتها كارين بعنف

فيما هي تطلق سراحها على نحو مفاجيء. المفاجأة من هذا الفعل جعلت فيونا تفقد خطواتها وتوازنها، أفلتت منها صرخة وهي تشعر بنفسها تهوي إلى الحافة. ونزولاً إلى البحر.

ضربت البحر برشاش وضاعت بين الزبد، لكنها شعرت بقوة الأمواج تسحبها بعيداً عن حافة المياه، ثم تجرها رجوعاً نحوها. بعد ذلك على ما يبدو أخذ ثقل سترتها يجرها نزولاً إلى عمق المياه، وكانت مدركة بطنين في أذنيها وبالم يتعاظم في رأسها.

رفست فيونا وكافحت بمحاولة للارتفاع إلى سطح المياه، لكن قوتها خانتها. بعد ذلك، بينما كانت رئتاها على وشك الانفجار، تشبثت بها يدان قويتان من سترتها وسحبتها نحو الأعلى. بعد لحظات شعرت بنفسها محمولة ثم مستلقية فوق الشاطيء المغطى بالحصى وبدان حارتان تضغطان على ظهرها. أخرجتا المياه من فمها بينما ارتمى وجهها فوق الحجارة.

استطاعت سماع أصوات مبهمة من فوق رأسها. كارين تنتحب، فيكتور يقوم بشروح عما حصل، جيلز يزمجر بأن باستطاعة كارين الإجابة عن ذلك. لكن بعد ذلك لم تع فيونا شيئاً.

كان صباح اليوم التالي قبل أن تفتح فيونا عينيها، ثم أخذت تتحسن ببطيء، لأنها شعرت بالمرض والدوخة. وبعد ذلك بدت المسألة واضحة. بعد صعودها التدريجي من حفرة الظلام. ألمها رأسها وذهلت عندما اكتشفت انه ملفوف بضمادات. كانت رؤيتها مشوشة، عرفت أيضاً انها كانت في سرير محاط بستائر خضراء، بعدها، حاولت جاهدة أن تدير رأسها، ورأت الرجل الجالس إلى جانب السرير. كان جيلز.

حتى في حالتها المربكة استطاعت أن ترى أنه غير حليق

www.liilas.com

الذقن، وبأن عينيه كانتا محتقنتين بالدماء لافتقارهما للنوم وبأنه بدا نحيلاً. بدا أيضاً أكبر سناً بشكل غريب، كأنما مرت عليه أجيال منذ رأته آخر مرة، ثم أغمضت عينيها مرة ثانية، قائلة لنفسها لا بد وأنها تحلم. من غير الممكن أن يكون جيلز جالساً إلى جانب سريرها.

عندما فتحتهما مرة ثانية كان ما زال هناك. إذاً، ربما لم يكن حلماً برغم كل شيء. ثم طافت عيناها نحو الستائر المحيطة وسألت بصوت لم يبد أبداً مثل صوتها: «أين أنا؟»

«في المستشفى.» قال لها بهدوء. «كيف تشعرين؟»

«يا إلهي، رأسي يؤلمني فعلاً.»

«ليست مندهشاً. كان الدم ينزف منه عندما سحبتك خارج المنحدر لديك بضعة كدمات.»

«كنت هناك... سحبتني خارجاً؟» تساءلت.

«نعم... لكن لا تحاولي التكلم بهذا الموضوع الآن.»

«أريد الكلام بشأنه.» قالت ملحة. «هل رأيت ما حدث؟» إن تذكر الرعب من ذلك الصراع مع كارين جعلها تقبض بشدة على الدثار.

انحنى جيلز إلى الأمام وأخذ يديها في يديه. ممسكاً بهما بحزم، وقال: «وصلت المكان في الوقت المناسب لأراك وكارين تتماسكان بالأيدي مع بعضكما فوق كتلة ضخمة من الأسمنت. رأيتك تذهبين فوق الجهة الأخرى.. لذلك خلعت سترتي وحذائي واندفعت نزولاً إلى المياه. انتصب فيكتور في الأعلى ليوجهني.

«كارين... ماذا فعلت؟» كانت فيونا عاجزة عن مقاومة السؤال. «جيلز، لقد دفعتني.»

«انتزعت تنورتها، أو شيئاً من هذا القبيل، وضمدت بها جرح رأسك. جئنا بك بأسرع ما يمكن إلى المستشفى.»

ابتسمت فيونا له ابتسامة شاحبة. «والآن لقد جئت لترى كيف أصبحت حالتي؟ شكراً لك، يا جيلز. أقدر لك ذلك.»

«لم أصل الآن. بينما كانوا يقومون بالغرزات اللازمة لرأسك أسرعت إلى المنزل وغيرت ملابسي إلى شيء جاف، ثم عدت لأجلس قربك، منتظراً لأقول لك....»

نظرت إليه متسائلة، محاولة فهم كلماته، لكن الألم في رأسها جعل التفكير صعباً. «هل تعني بأنك كنت هنا طوال الليل؟»

«هذا صحيح... مع أنني حصلت على اغفاءات قصيرة غريبة من فترة لأخرى.»

«مكان هذا الطفأ منك.» عبست، محاولة أن تتذكر ما الشيء الآخر الذي قاله، ثم عادت إلى رأسها بيطء. «لقد ذكرت شيئاً بشأن انتظارك لتخبرني....»

لكن قبل أن يستطيع الإجابة فتحت الستائر وظهرت ممرضتان. نهض جيلز على قدميه، مدركاً أن رحيله كان محتوماً. «سأعود آجلاً.» وعد، بينما وضع ميزان للحرارة في فم فيونا.

قالت الممرضة المشرفة: «سوف نأخذها إلى غرفة الأشعة، ثم ستكون جاهزة لإغفاءة أخرى. باستطاعتك العودة بعد الغداء خلال ساعات الزيارة. يمكنك أن تسدل الستائر.» أضافت بابتسامة ذكية.

كانت الستائر مسدلة حول سرير فيونا عندما عاد جيلز في وقت مبكر من فترة ما بعد الظهر. كما كان متوقعاً، لقد نامت، والدواء المزيل للألم خفف من حدة الوجع في رأسها. لاحظت أنه قد حلق ذقنه وبدا جيلز الشخص اللطيف نفسه، حتى لو كان إلى حد ما مرهقاً. ما هو الشيء الذي ينتظره ليقول لها؟

www.lilas.com

انحنى إلى الأمام ليتفحص بتعمد. «أثق بأنك على طريق الشفاء. عيناك أقل إرهاقاً.» علّق برضى كامل.

«أشعر بتحسن.» أقرت. «سيخرجونني ربما غداً، لكنني سأكون بخير في المنزل.»

تكلم بحزم: «لن تذهبي إلى المنزل. سوف تأتين إلى فوق الثلة معي. سوف تعتني بك آغي إلى أن تشعري فعلاً بأنك بخير. لقد ثير الأمر، لذلك لا تجادلي بهذا الشأن.»

شاعرة أنها ضعيفة جداً للاعتراض، وفي الحقيقة لتعتني بنفسها في المنزل، قالت بامتنان: «شكراً لك، يا جيلز. أنت متفهم جداً. لقد جلست معي طوال الليل والآن هذا. لا أستطيع الكف عن التساؤل لماذا أنت بهذا اللطف عندما أبدو أنني أزعجك باستمرار؟»

ران صمت طويل إلى أن قال أخيراً بهدوء: «ربما لأنني أحبك. هذا ما انتظر لأقوله لك.»

أغمضت عينيها، متسائلة عما إذا كان الذي سمعته صحيحاً. «ماذا قلت؟» همست.

«قلت أنا أحبك.» كرّر وصوته قد توتر بالعاطفة.

امتلأت عينا فيونا بالدموع وهي تنظر إليه بصمت. هل كان الجرح في رأسها يؤثر على خيالها؟

راقب جيلز الدموع. «هل هذا الاعتراف يزعجك إلى هذا الحد الكبير؟ يمكنك أن تعرفي أيضاً أنني كنت أصارع حتى لا يحدث هذا تقريباً منذ اللحظة الأولى للقائي بك.»

«حتى عندما فكرت بأنني صديقة فيكتور الصهباء؟»

«حسناً، بعد ذلك بوقت قصير. يجب القول إنك لم تكوني تماماً صنف الانسانة التي كنت أتوقعها، لذا كنت بمثابة صدمة. في الحقيقة، لقد هززت وجودي الكامل. لذلك... هل تتزوجينني؟»

طنت الكلمات في أذنيها مثل أجراس موسيقية، ما زالت مترددة أيضاً من أن تعلن بهجتها. وبدلاً من ذلك قالت بشك: «لكن... لكن ماذا بشأن... بشأن حريتك المقدسة؟»

«لقد رحلت. وقد سقطت كل حصوني. عندما تلمست طريقي نحوك في الماء عرفت أنني لن أستطيع العيش من دونك.» كان صوته أجش. «أرجوك قولي إنك ستتزوجين مني. سوف أعلمك محبتي.»

دارت برأس مبتسم نحوه. «يا جيلز الأعز، ما من داعٍ لتعلمني. لقد سبق وتعلمت أن أحبك. ظننت بأنك تكهنت بذلك حتماً.» أضافت بحياء.

«حسناً، عنائك أعطاني الأمل، وفي اللحظة التالية سوف أسمع ما يخص حريتك. أرجوك أن تقولي بأنك ستتزوجين مني قريباً.»

جذبت نفساً عميقاً. «نعم... نعم... حالما يعود والداي. آه، يا جيلز، أنا فعلاً أحبك كثيراً، و إنني سعيدة للغاية! أستطيع بصعوبة أن أصدق بأنك تحبني.» امتلأت عيناها بالدموع مجدداً.

«يا أعز مخلوق، ربما هذا سيساعدك لتعتادي على الفكرة.» وضع جيلز يداً في جيب سرواله وجذب منه علبة صغيرة. فتح الغطاء بضربة أصبع خفيف ليظهر خاتم كبير مزين بالماسة مفردة. وأدخله في الأصبع الثالث من يدها اليسرى، وتمتم: «أنسة فيونا ماك كي أصبحت الآن مخطوبة إلى الرجل الأكثر حظاً في العالم.» ثم قبلها برقة.

خرجت فيونا من المستشفى بعد ظهر اليوم التالي، وفي ذلك الوقت بدأت تشعر بالتحسن. أخذها جيلز، بعد أن أحضر ملابسها التي غسلتها آغنز، إلى الشقة حيث وضعت بعض الأشياء الضرورية في حقيبة سفر. ثم نقلها إلى منزله فوق

www.liilas.com

القتلة، والح عليها بأن تعود إلى السرير لبعض آخر.

أرشدتها آغنز إلى غرفة نوم الضيوف مع جناحها الذي يطل على مساحة طبيعية واسعة. «إنه محق، تعرفين.» قالت عندما اعترضت فيونا بأنها لا تحتاج إلى أكثر من سرير. «لقد تلقيت صدمة، وأنت بحاجة إلى الراحة. ودعيني أقول إني مبتهجة حقاً بسماع أخبار خطوبتكما. إيدي وأنا قررنا معاً بأنك الإضافة المناسبة لجيلز.»

«شكراً لك، يا آغي.» قالت فيونا، وهي تشعر بوجنتيها تغليان. أخذت رداء النوم الذي وجدته السيدة الأكبر سناً في حقيبتها، ثم شعرت بالامتنان وهي تتوجه إلى السرير. رفعت آغنز ستائر النافذة وفي خلال بضع دقائق استسلمت للنوم بعد سماعها صوتين اثنين يتبادلان على أصوات ضجيج خارج الباب الذي تراه معلقاً خلف آغنز. تلاشى الصوت الأخير إلى أنينها، كانت نبرتها حازمة وهي تحاول الحصول على إذن بالدخول.

«إن كانت نائمة لن تدخلي. لقد قال جيلز إنه يجب أن لا تكون منزعجة. مهما يكن، أشك إذا كانت تريد رؤية كارين.»

«لكنني أريد الاعتذار منها... وأريد التأكد من أنها على خير ما يرام.» كان صوت كارين. «فيكتور، اجعلها تفتح لي الباب.»

شعرت فيونا بتوتر يزحف نحوها بينما صوته العميق، مثل صوت جيلز تماماً، جاء من خلال الباب. «أظن أنه من الأجدر بك الانتظار إلى ما بعد.» نصح.

«لا نية لي في الانتظار.» أعلنت كارين، ثم دفعت الباب وفتحته وجامت لتقف إلى جانب السرير. حملقت إلى رأس فيونا المضمد للحظات عديدة، ثم تغير اسلوبها إلى شيء من العذوبة.

«فيونا، عزيزتي، كيف تشعرين؟ أنا آسفة جداً للذي

حدث. إن انزلاقك وسقوطك في المياه كانا من سوء الحظ.»

«أنتِ دفعتني.» اتهمت فيونا بصوت واهن.

تصنعت كارين الصدمة وقالت: «دفعتك؟ كيف باستطاعتك قول هذا الشيء الفظيع؟ لا أقدر على تصور نفسي أقوم بمثل هذا الشيء الرهيب.»

قاطع فيكتور بخشونة: «لا تكوني بهذا القدر من النفاق اللعين، يا كارين. رأيتك تقومين بذلك.»

رمقته بعنف شديد في عينيها. «من غير الممكن أن تكون... مطيعاً من الممكن لي. كنت في موقع حيث باستطاعتي رؤية ما يدور تماماً. دفعتها إلى فوق الحافة. إذا أرادت فيونا أن ترفع دعوى ضد الهجوم سأكون لها شاهداً.»

قالت آغنز: «سيكون جيلز الذي سيتصرف بحكمة في المحكمة، يا كارين. هو وفيونا متحابان باستعداد للزواج.» أضافت باعتذار مسافتح الستائر كي تستطيعين رؤية حجم الخاتم الذي تضعه.»

عندما تدحرجت الثنيات الزهرية الطويلة أرسلت شمس ما بعد الظهر المتأخر ومضات من نار على اليد التي جذبتها فيونا من تحت أغطية السرير. ولم تكن هي نفسها معتادة بعد على رؤية الخاتم في أصبعها، وكان باستطاعتها فقط أن تحملق به بتساؤل.

نظرت كارين إليه، فكها يتدلى قليلاً، بعدها وادهشة فيونا التفتت إلى فيكتور بتلميح من نصر وهي تهتف: «إذا خطتك نجحت!»

زم فيكتور فمه. «خطة؟ ما الخطة التي تتكلمين بشأنها؟» راوغ.

«أنت تعرف جيداً ما الذي أتحدث بشأنه.» أصرت كارين. «لقد خطتك في تدبير زواجهما.»

«اخرسي، يا كارين.» زمجر بغضب. «هذا كان عملي الخاص بي...»

www.liilas.com

«وعملي.» قاطعت بعنف.

«وأظن عملي أيضاً.» قالت فيونا من وسادتها، مدركة أنها فرصتها الآن لتضغط على هذه المسألة. «أرجوك أخبرني عن خطتك هذه، يا فيكتور. لقد تناهى لسمعي بعض منها.»

تململ فيكتور وبقي صامتاً، أصبحت كارين غير قادرة على الاحتمال. «سأقول لك عنها.» قالت لفيونا بصوت مرتفع قليلاً. «ولا واحدة من تلك الإيماءات العاطفية الصغيرة التي أظهرها فيكتور لكِ عنت شيئاً. لقد كانت أفعالاً ترمي إلى إثارة غيرة جيلز لا غير. أليس باستطاعتك رؤية ما كان يصبو إليه؟»

شعرت فيونا بحيرة. «لا، أخشى انني لا أستطيع.»

«يا إلهي، لا بد أنك غبية!» قالت كارين بقساوة. «ألا ترين أن فيكتور أراد كي جيلز أن يتزوجك؟ ثم ستعيشين هنا وتكون صديقة شقيقي في متناول اليد. سيستأجر هنا منك. وعندما تذهب عائلة الكونروي إلى أوكلاند... والذي سيحدث عما قريب... هو وأنا سنعيش بها معاً. أليس كذلك، يا عزيزي؟» التفتت لتبتسم بنصر إلى فيكتور.

أطلق سعلة خفيفة. «حسناً، ليس صحيحاً منة بالمنة. أقرّ بانني لعبت دوراً قليلاً. أملاً في جعل جيلز غيوراً ولدفع الأمور في الاتجاه الرومانسي. وسأقر أيضاً بانني اعتقدت إذا نجحت بضمهما معاً سيكون هدفي التالي هو اقناع فيونا بان تسمح لي أن أستأجر الشقة. لكن أنتِ، يا كارين، لن تعيشي معي أبداً فيها. خطتك الأكثر حكمة هي أن تذهبي إلى أوكلاند مع عائلة الكونروي.»

«حقاً؟!» صاحت. «لكنك وعدت...»

«آسف، يا كارين. رأيت ما حدث لفيونا، وبهذه الذكرى في ذهني لن أستطيع العيش معك. أقل بكثير الزواج منك. أنت كنت

أن تقضي على حياة فيونا... أولم يطرأ ذلك على بالك؟»

تكلمت آغنز بحدة إلى كارين: «أشعر بان كل هذا مزعج لفيونا... وإذا كنت تأخذين بنصيحتي، ستتركين. قبل وصول جيلز إلى المنزل. إنه بالتأكيد توافّ ليدق عنقك. كما قال فيكتور، تكونين حكيمة أكثر لو بقيت مع عائلة الكونروي، والانتقال إلى أوكلاند.»

رفعت كارين رأسها باسلوب متحدٍ. «من تكونين لتأمريني؟ أنت فقط مدبرة المنزل. سأترك عندما يروق لي.»

«وهذا سيكون في الحال.» تكلم جيلز: «أستطيع بفرح شنقك.»

ناشدت كارين فيكتور: «أليس لديك شيء لتقول...؟»

قاطع جيلز: «الذي يكنه فيكتور... لك، هو شأنه، لكنه لن يأتي بك إلى هنا مرة أخرى. ولا، إن أجرت فيونا شقتها له، سيأخذك إلى هناك. إن فعل هذا فقد الايجار يسعك أيه. نعم، أنا مدرك تماماً للخطة التي كانت تدور في رأسه. الآن أرجوك اذهبي. سيرشدك فيكتور إلى الطريق.»

تركت كارين الغرفة من دون التفظ بكلمة أخرى. لحق بها فيكتور، الذي لحقت به آغنز. أقفل جيلز الباب من بعدهم جميعاً، ثم خطا إلى جانب السرير، حيث أخذ فيونا بين ذراعيه. وقال: «هل أزعجتك، يا حبيبتي؟»

تعلقت به. «لا، بالفعل شعرت بالأسف نحوها. أنا متأكدة من أنها كانت في وقت ما مساعدة جداً لفيكتور.»

«لأنها أرادت فقط أن تبقي عيناً مفتوحة على الفرصة الأساسية.» قال جيلز بنبرة مستهزئة. «كانت جاهزة لأن تتخلى عنه في أول فرصة مناسبة. أترين، أعرف ما جرى في مطبخ عائلة كونروي. ألم تلاحظي أن باب مكان الخدمة بين الغرفتين كان مفتوحاً قليلاً؟ حدث وانني كنت جالساً من

www.liilas.com

الجهة الأخرى وسمعت كل كلمة دارت بينك وبين كارين.»

حاولت فيونا أن تتذكر ما حدث في مطبخ عائلة كونروي، لكن، بعيداً عن حقيقة أن كارين قررت تحويل اهتمامها من فيكتور إلى جيلز، فقد نسيت معظم الحديث. تنهدت وقالت: «آه، حسناً، لننسها... إلا أمراً واحداً.» أضافت فيما عاد سؤال إلى ذهنها: «لا أستطيع الامتناع عن التساؤل لماذا أخذتهما إلى حافة الماء. هل كانت كارين من دون سيارتها لسبب ما؟»

«نعم. لحسن الحظ كانت في المرآب من أجل عطل ما أرادت تصليحه، وإلا لما كنت هنا الآن بين ذراعي، ولما كان بمقدوري القول كم أحبك كثيراً.» أصبح مفكراً للحظات عديدة قبل أن يسأل: «كيف تشعرين بشأن تأجيرك الشقة لفيكتور عندما تتزوجين؟»

«لن أستطيع تحمل تأجيرها لأي واحد آخر.»

«هذه فتاتي... سيسعدني هذا.»

استكانت نحوه، مفكرة بسؤال آخر قفز إلى ذهنها. عاجلاً أم آجلاً. سيكون من الواجب طرحه، لذا لما لا تأتي لتسأله الآن؟ وسألت بتردد: «أعتقد... أعتقد ستريد مني أن أقبل صناعتي المنزلية قبلة الوداع؟»

«فقط إن رغبت بذلك، يا حبيبتي.» أجاب. «لا داعي للقول، إنك لن تعتمدي عليها، لكن يمكنك الاحتفاظ بها كهواية. سوف تمنحك شيئاً من احترام الذات.»

أفلتت منها تنهيدة رضى. «نعم، أود ذلك.»

«طبعاً، ما كل الأشياء تكون للبيع. كم من ثياب النوم سيحتاج إليها الطفل غراهام هاميلتون؟»

«الطفل غراهام ...؟» لهثت فيونا. «عرفت أن اسم والدي هو غراهام؟ لا أذكر أنني قلت لك...»

«لم أعرف. لكن جدي كان غراهام هاميلتون. يجب أن أفكر بواحد آخر سيجيء إلى المؤسسة.»

ضحكت فيونا. «هل تمانع منحي الوقت لازالة القطب عن رأسي قبل حتى أن يذكر الجيل التالي؟»

تحرك جيلز واستلقى على الفراش إلى جانبها. «تشعرين بأنك ذُفق، أليس كذلك؟ حسناً، استعدي لذلك، لأنني لن أستطيع الانتظار لأجعلك زوجتي.» وبدأ يعانقها.

لكنه وقف فجأة وبتحرك مفاجيء دفع أغطية السرير إلى أسفل نقنها.

نظرت فيونا إليه بقلق. «هل هناك شيء ما؟» سألت.

«السلالم تحدث صريراً.» شرح برباطة جاش، متحركاً ليقف قرب النافذة. «أعرف جيداً أن هذا يحدث.»

في اللحظة التالية قرع الباب. فتح لدخول آغنز، التي جاءت بالوجبة المسائية لفيونا. «إن لم تأكل هذه الفتاة وتسترجع قوتها فلن يكون باستطاعتك نقلها إلى غرفة النوم الرئيسية.» قالت لجيلز بمكر وهي تسوي الوسادة من وراء ظهر فيونا. «وعشاؤك جاهز.» أضافت بنبرة حازمة.

مرت الأيام القليلة التالية مثل حلم ضبابي بالنسبة لفيونا. نامت كثيراً، الجرح في رأسها اندمل، وخفت الأوجاع والآلام منه تدريجياً إلى أن تلاشت نهائياً. وجاء يوم عرفت فيه بأنها يجب أن تعود إلى الشقة، لأن التحضيرات لكل الأشياء التي ستحصل في المستقبل بدأت تتجمع في ذهنها. نقلها جيلز إلى وستشور وما كادا يخطوان خلال الباب حتى جاء اتصال خارجي من والديها. أعطياها موعداً قاطعاً لعودتهما ومن ثم أخبرتهما عن خطوبتها إلى جيلز.

www.liilas.com

بينما أعادت السماعة أخذها جيلز بين ذراعيه. «الآن باستطاعتنا ضبط موعدنا.» تمتم. «سنمنحهما يومين ليرتاحا من سفرهما، ثم باستطاعة والدك أن يقودك في ممشى الكنيسة.»

«ويومان؟ مسكينة والدتي ستكون في حالة دوران ذهني عظيم!» هتفت فيونا. «ستحتاج إلى وقت أكثر للتحضير...»

«لن تحتاج إلى الكثير على أي شيء.» أكد جيلز لها. «سأطلب من آغنز أن تكون على استعداد للأوامر والطلبات. آغنز وكل شيء ستكون على أتم الاستعداد لأي شيء.» نظر إليها مفكراً، وهو يجذبها إلى نحو أقرب بينما سأل: «ما رأي حبيبتي في شهر عسل في ما وراء البحار؟»

فكرت للحظات عديدة، ثم قالت: «لا أظن ذلك. أفضل مكاناً من الأمكنة الهادئة والمتوحشة من بحيرات وجبال ساوث ايلاند الجميلة.» ثم ابتسمت. «ولكن هذا هو ما وراء البحار، أليس كذلك؟ يجب أن نقطع كوك سترايت لنصل إلى هناك.»

«سوف أدبر ذلك.» تمتم، مقبلاً إياها بتودد.

أخيراً بزغ فجر اليوم عندما تألقت فيونا بالزي الأبيض. مشت صعوداً في ممشى الكنيسة متأبطة ذراع والدها. الدرع في رأسها قد سدل وغطاه شعرها الكستنائي الذي نما من جديد. واختفى الأثر تماماً بوضع الإكليل فوقه. لازمتها سو رولينز كإشبينة لها، بينما وقف ديكتور إلى جانب ابن خالته كإشبين.

عندما خرجا من الكنيسة شعت الشمس بزهو على العروس والعريس. كان هناك الناس مهتمون يقفون عند الممر، بينما التقطت الكاميرات صوراً. لمحت فيونا شعر كارين الأحمر، التقت عيونهما بإيجاز قبل أن تستدير كارين

وتسرع بعيداً، راكضة تقريباً تختفي في المنطقة التجارية.

«هل رأيتها؟» همس جيلز، قابضاً على يد فيونا.

«نعم.» منظر كارين لن يفسد عليها يوميها.

«عائلة كونروي ستغادر إلى أوكلاند غداً. ستذهب معهما... وخارج حياتنا.» قال لها.

«أنا سعيدة... مع أنني أشعر بالأسف نحوهما.» قالت فيونا. وفي الوقت نفسه أزيل حمل ثقيل عن كاهلها، لأن كارين ستكون بعيدة جداً لتحاول شق طريقها مجدداً إلى ارتباط مع ديكتور.

تم حفل الاستقبال في المنزل فوق التلة، الذي تحول إلى بستان من الأزهار. أبرزت آغنز نفسها، لم تهمل أي تفصيل دقيق.

وعندما كان جيلز وفيونا يغيران ملابسهما لذهابهما في رحلة شهر العسل قال: «لن أنساها من أجل النجاح الذي قامت به في هذا اليوم.»

بعدها ذهبا بعيداً في منتصف حفلة الزفاف الصاخبة، تأخذهما الطريق جنوباً نحو ولينغتون، حيث يغادر المركب وسط الجزيرة. لكنهما كانا ما يزالان على بعد عدة أميال عن ولينغتون عندما انعطفا إلى داخل فندق ساحلي حيث أُرشدا إلى جناحهما. عندما كانا يستعدان للنوم وجدت فيونا نفسها تبدأ بالارتعاش، ومع أنها حاولت إخفاء ذلك إلا أن جيلز لاحظ توترها.

أخذها بين ذراعيه. «حبيبتي المروس، أعرف أنك متوترة.» همس. «إن كنت غير مستعدة سأنتظر إلى أن تستعدي.»

كانت ذراعاها محكمتين حوله وهي تهمس: «أرجوك، يا زوجي العزيز، أريد أن...»

تمت

www.lifas.com